# ثقافة الهند

يصدرها مجلس الهند للروابط الثقافية

سبتمبر ١٩٥٤

# ثقافة الهند

تصدر أربع مرات فى السنة: مارس، ويونيو، وسبتمبر، وديسمبر

---

الاشتراك للسنة: فى الهند : ثمانى روبيات فى الخارج : ثمانى شلنات

ثمن العدد الواحد: روبيتان

---

تطلب من

مجلس الهند للروابط الثقافية، پتودى هاؤس، دلهى الجديدة نمرة ١

---


مطبعة «ق» بالهند

لصاحبها خليل شرف الدين، ٢٩ شارع محمد على، بمباى ٣

طبعت بأمر مجلس الهند للروابط الثقافية

# ثقافة الهند

يصدرها مجلس الهند للروابط الثقافية


| المجلد الخامس | سبتمبر سنة ١٩٥٤ | العدد الثالث |
|---|---|---|


## محتويات هذا العدد

# مها بهارت

## «ديوياني» و «كاچا» — «ديوياني» و «سرمستها»

تعريب ـ عبدالحميد النعماني

كانت هناك حربا مهولا من قديم الزمان، وصراعا شديداً بين الآلهة وطائفة «أسورا» للسيطرة على العوالم الثلاثة والحكم عليها. وعلى رأس كل من الفريقين المتحاربين، قيادة ساهرة تدير الحال بحكمة الحلك وتعمل باليقظة والوعي. فكان «برهسبتي» الحجر بأسرار الكتب المنزلة «معارفها من ناحية قائد الآلهة وروحهم الرعيمة. وكان الحلك البصير «سوكر آچاريا» يقود أسورا من ناحية أخرى في كفاحهم ضد الآلهة. وكان من الحظ المريع في صالح أسورا أن سوكر آچاريا كان خبيرا بمفعول «سنجيوني» عملية يستطيع بها إعادة الميت حياً. فكم انهزم أسورا، ووقعوا في ساحة الحرب صرعى. ولكن سوكر آچاريا أعادهم بمفعول تلك العملية أحياء مرزوقين. فاستأنفوا للقتال وتواصلوا. وأصبحت بذلك الآلهة في أحرج المواقف وأفدح الخسائر على يد حرب ظلت ملتهبة النار مع ألد أعدائهم منذ عهد طويل.

فذهبوا إلى «كاچا» ابن برهسبتي، والتمسوا عونا على ما هم فيه مقترحين، أن يتوسل هو بكل عزيز لديه إلى سوكر آچاريا. ويتصل به اتصال الطالب إلى شيخه. وعند ما ينال منه الثقة تماما يتمكن أن يظفر بعملية «سنجيوني» إما طوعا وإما خداعا. وهناك القضاء على العقبات والعراقيل التي حالت دون الآلهة في سبيلهم.

رضى كاچا بذلك وانطلق إلى عاصمة أسورا حيث كان يسكن سوكر آچاريا، فدخل عليه وحياه ثم قال «أنا كاچا ابن برهسپتى وأنا برهمچارى — المتعاهد على العزوبة — قصدت إليك لأتلقى دروس الحكمة والعرفان تحت وصايتك». وكان من المحتوم المشروع فى تلك الأيام أن الأستاذ البارع المتضلع لا يرد طلب التلميذ النبيل. فأجاب سوكر آچاريا دعوة كاچا وقال: «إنك من أسرة كريمة يا كاچا! فلك ما أردت وإنى رضيت بك تلميذا تقديرا مني كرامة برهسپتى».

قضى كاچا عدة سنوات كمستخدم فى بيت الأستاذ قائما بالأعمال المنزلية وفق رغباته وأوامره أحسن قيام. وكانت لسوكر آچاريا بنت جميلة «ديوياني» كان يحن إليها ويعطف عليها بأقصى درجات العطف والحنان. فكان كاچا يقضى أكثر أوقاته كمطرب لها، مرة بالأغاني المتنوعة وأخرى بالرقص المصحب الجذاب، إلى أن حل منها محل السويداء من القلب من غير أن يعبث أو يمس بكرامة ما عاهد عليه من العزوبة والعفاف.

استاء أسورا بذلك وارتعوا، مرتابين أن كاچا إنما ينوى تحت ستار طلب العلم والاستخدام أن يعلم سر سنجيونى. فقاموا يدبرون لما خافوا عنه حيلة وفاجئوه يوما من الأيام، وكان يرعى ماشية الأستاذ فقتلوه شر قتل ومزقوه ثم طرحوا حذاذات لحمه طعما للكلاب. فعند ما عادت الأنعام ولم يعد كاچا قلقت ديوياني وأسرعت إلى أبيها صارخة بالبكاء والعويل وقالت «يا أبت! إن الشمس قد غربت وها هو الليل غشى والماشية آبت ولما يأت كاچا، إنى أخاف عليه كارثة أو شرا نزل به، إنى لا أستطيع أن أعيش ولا أراه بجانبى».

فتأثر ورق لجزعها الأب الشفوق الشغوف، واصطنع «سنجيونى»، ولم يكد يتم عمله وإذا كاچا الميت المقتول لحاه مقبلا إليهما ضاحكا مستبشرا مسلما على الأستاذ المحترم. فسأله ديوياني عما حدث به، فقال إنه كان يرعى سوائمه وإذا

به أسورا قد طلعوا عليه فبطشوا به وضربوه حتى قتلوه فلا يدرى كيف أصبح حيا بعد ما كان قد قتل.

وأخرى كان أن ذهب كاچا يوما من الأيام إلى الغابة ليأتى بالأزهار لديويانى بألوانها. فأتته أسورا على حين غرة. فقتلوه هناك ومزقوه ثم سحقوه وألقوه فى اليم. وهلعت ديويانى واضطربت عند ما طال بها الانتظار ولم يعد كاچا. فأعلمت أباها الذى أحياه مرة أخرى واسترد كاچا عليها ما جرى له.

قتل أسورا كاچا ثالثا ومزجوا رماد جثته بعد ما حرقوه بالراح، ثم قدموا لسوكر آچاريا فى كأس. فشرب منه دون أن يرتاب أو ينتبه. وأقبلت عليه ديويانى تبلغه أن البقر والثيران عادت اليوم كذلك من دون راعيها. ولكن سوكر آچاريا أجابها، محاولا إقناع ابنته عبثا: «ابنتى العزيزة! لقد علمت إننى كلما أحييت كاچا أبى أسورا إلا أن يقتلوه. وكل نفس ذائقة الموت. فلا يليق بك وأنت امرأة عاقلة واعية أن تتألمى. ويأخذ بك الأسف كل مأخذ. وإن أمامك حياتك الغض العطريف شبابها وجمالها. فتمتعى بها وبأعمالك الخيرية فى صالح الناس».

ولكن حب ديويانى لكاچا لم يكن ليؤثر فيه نصح ناصح أو يستهويه إرشاد مرشد. فقد أحبته من كل قلبها، والحب منذ أن خلق العالم لم يستطع طبيب أو لبيب أن يعالج داءه أو يذهب بآلامه بالكلمات المأثورة أو الأقوال الحكيمة. فردت ديويانى إلى أبيها أن «كاچا ابن برهسپتى كان برا وبريئا وصالحا تقيا، وكان نشيطا أطوع لنا من أيدينا لمآربنا كل حين، وقد أحببته من أعماق نفسى، فإذا كان أن يذهب هو قتيلا، فحياتى إذن مظلمة وليس لها من نصير، وليس على إلا أن أذهب حيث ذهب كاچا»، وأخذت تواصل الصيام.

شق على سوكر آچاريا حزن ابنته وتألمها، وغضب على أسورا، وخيل إليه أنهم سيذوقون وبال أمرهم، وبال قتل نفس برهمى. وبدأ بعملية سنجيونى، فعاد كاچا إلى الحياة ولكنه لم يستطع أن يتمثل بين أيديه وإنما كان يجيب عندما يدعى باسمه، فقد كان داخل بطن سوكر آچاريا حيث كان ممزوجا بالخمر، فحال ذلك دون أن يخرج من جوفه. فاستشاط سوكر آچاريا غضبا واحتار فى الأمر وصاح «من أين لك يا الفتى العازب! وقد دخلت أحشاى وهل ذلك هو مما فعله أسورا. إنه لعمل شنيع يدفعنى إلى أن أقتلهم حالا وأتصل بالآلهة ضدهم. فقل لى ما بدا لك من بداية الامر حتى نهايته». فقال كاچا بكل ما حدث، وقاسى فى ذلك ما قاسى من الألم لموقفه المتورط.

مضى «ويشمپانا» يقول إن سوكر آچاريا التقى الكبير غضب على من خدعوه فى الخمر. وأعلن سعادة للبشر وفلاحا لبنيه:

«لا تقترب الفضيلة شارب الخمر. ويزدرى به الناس احتقارا. هذا بلاغ منى إليكم فاتخذوه توصية من الكتب المقدسة السماوية».

ثم التفت إلى ديويانى وقال «بنتى العزيزة! لك أن تدركى أن حياة كاچا تقاضى موتى وأنه لا يخرج من ضلوعى إلا أن يشق بطنى».

بكت ديويانى وقالت: «إذن أنا بين مخالب الموت على كل حال، فلست بعائشة بعد موتك يا أبت! ولا بعد موت كاچا».

بينما كان سوكر آچاريا يتأمل فى سبيل إلى الخروج من الارتباك الفكرى والتطاحن العاطفى إذ فتح عليه الباب. فقال لكاچا «الآن عرفت أنه ما الذى جاء بك إلى يا ابن برهسپتى! وقد فزت بالمرام. فأنا لا أرى سبيلا أمام وجهى غير أن أبقاك حيا منا بديويانى وأن لا أموت أنا بنفسى منا بهاة ولا

مندوحة لى إلا أن أعطك عملية سنجيونى، تعيد بها إليك الحياة بعد ما تخرج من شق بطن الناهج ملاكى. فلا يزعج ديويانى حزن عليك ولا يضايقها منى الأسف».

فعلم سوكر آچاريا، كاچا عملية سنجيونى وخرج كاچا حالا من بطنه كما يخرج القمر المتكامل من الغمام وخر سوكر آچاريا مغشيا عليه ومات. ولكن سرعان ما قام كاچا بالعملية وأحياه ثم خفض رأسه راكعا بين يديه، وقال إن الشيخ الذى يعلم التلميذ الساذج، يقوم مقام الأب. فأنت أبى وحيث أننى خرجت من داخلك فأنت لى كذلك أم حنون».

مرت الأيام تلو الأيام وكاچا يقضى حياته عند سوكر آچاريا حياة طالب صالح إلى أن تم ميعاده. فطلب من سوكر آچاريا أن يأذن له بالانصراف إلى عالم الآلهة. بينما تقدمت إليه ديويانى فى خضوع وتذلل وقالت «يا ابن برهسپتى! لقد سحرتنى حياتك الطاهرة النقية، وأعجبتنى سلالتك العريقة السامية، وأخذت بلبى معرفتك بالعلوم والمعارف. وكل مزاياك هذه جعلتنى أشعر فى قرارة نفسى منذ أمد بعيد أنى أحبك. أحبك وأنت فى دور وفائك بما عاهدت عليه نفسك من أن تعيش عازبا. فهلا تشاركنى الهوى بعد ذلك وتبادل الحب، فترضى عنى بالزواج لكى أسعد وتسعد باتصالك أحوالى. ومما لا شك فيه أباك وأبك ليلائمان كرامة صلتى هذا وشرفها».

لم يكن غير مألوف فى تلك الأيام أن تبث سيدة (من برهمن) بما يدور فى خلدها إلى أحد بكل حرية بالاتزان. فأجابها كاچا «أيتها الطاهرة! إنك بنت من علمنى فأرشدنى، ومكرّمة لدى، جديرة بكل إكبار واحترام. وتعلمين أن حياتى هذه منة من أبيك فأنى أنا أخوك. فليس يستحسن من مثلك يا أختى أن تطلبى ما طلبت».

حاولت ديويانى بلا جدوى أن تحمل كاچا على هواها فقالت «إنك ولد برهسپتى يا كاچا! ولست بولد والدى، وحملت تعى علة عودتك إلى الحياة لأنى أحبك، وما زال فؤادى حقا وحقيقة عالقا بك يتمنى أن تكون لى بعلا، فلا تجدر بك أن تعرض عن امرأة محصنة مثلى مخلصة لك حبها من كل قلب».

أجاب كاچا «لا تدعينى إلى السوء يا ديويانى، ولا تحضى إياى على المنكر، أراك جاهدة فى أن تغالينى مدفوعة بغيظ لا عهد لك به، ولكننى أخوك أطلب منك الوداع راجيا أن تحتفلى نشؤن أبيك مرشدى واعتنى بها كل الاعتناء».

قال دلك وتوجه إلى عالم الآلهة برفق وهدو، وأخذ سوكر آچاريا يدارى ابنته بالصبر ويلاطفها بالتهوين.

## ﴿ زواج ديويانى ﴾

حدث أن خرجت «سرمستها» بنت ملك أسوريا يوماً إلى الضاحية ورافقتها «ديويانى» والأتراب، ليتمتعن هناك متنزهات فى إحدى الغابات. وعندما أتممن دور اللعب وتعبن من العدو والركض والقفز، وردن الماء لخضن المستنقع بادرات نحو التطس والاغتسال. وإذا بالعاصفة قد اشتدت، حتى أصبحت بهزاتها العنيفة ملابسهن الموضوعة فى ناحية ملتوية، عاليها سافلها واتشعب البعض منها إلى البعض. فأسرعن إلى الخروج وهممن واثبات إلى الملابس مختطفات لجعلن يرتدين ما صادفن منها على غير معرفة. فكان بهذا الشتات أن إرتدت بنت الملك على غرة كسوة «ديويانى»، فأرادت ديويانى أن تمازحها فقالت وهى تداعب:

«كفاك جهلا يا بنت أسوريا! ألا تعلمين إن كسوة بنت الشيخ هى أكبر من أن ترتديها بنت التلميذ، حقا إنك بلهاء إلى هذا الحد!»

ما من شك أن ديوياني كانت مستكبرة بشرف السلالة وسمو النسب، ولكنها لم تعن بما هامت به الجد. فكان هدفها الدعابة والهزل. غير أن سرمستها غضبت والتهبت حتى خرجت عن طورها وردت إلى ديوياني قائلة:

«أيتها الصغيرة! هل ذهلت ذاكرتك أن أباك الصعلوك يمتثل كل يوم بين يدي أبي راكعا راهبا إليه أكف السؤال؟ يا بنت المتسول المعدم! أبلغت بك الكبرياء إلى هذا الحد؟ ألا فاعلمي ولا يذهب عن بالك يا برهمنية! أنني أنا نجلة ملك يذكره الناس شاكرين على إياديه في بوادبهم، وأنت بنت فقير يعيش على صدقات أبي ويأكل على حساب نفقاته. فلا تغرنك سلالتك ولا تغرنك رهبة أسرتك. عشيرتي عشيرة البر والاحسان كما تعلمها الدنيا، وعشيرتك أنت عشيرة الاستعطاف والسؤل. وهل بعد ذلك كله تخاطبيني كمرشدة تعلمني في الأدب الدروس. تبا لك وسحقا لعشيرتك!».

غضبت من ديوياني الاصطبار فاستشاطت غضبا وقامت تكيل صاعا بصاع وانتهى الأمر حتى العراك والاصطدام فدفعت سرمستها، ديوياني ثم ألقتها في البئر. وانصرفت الزميلات متأكدات أن ديوياني قد ماتت.

لم تمت ديوياني بسقوطها في البئر. وإنما حزنت واكتئبت حيث لم تتمكن من مأزقها أن تتسلق إلى الجرف. وصادف أن وصل البئر بحسن الحظ «راجه يياتي» في اصطياده فاحصا عن الماء مدفوعا بالعطش. فنظر في البئر فلمح داخلها شيئا يلمع، ولدهش إذ تبين له أن داخل البئر فتاة ذات جمال. فسألها «من أنت يا حسناء! جميلة بأظفارك الحمراء وأذنيك ذواتي قرطين؟ ومن أنت وكيف وقعت في هذه البئر؟».

فأجابت ديوياني «أنا كريمة سوكر أچاريا، وأبي لا يعلم أنني سقطت في البئر، فأخرجني من هذا». ومدت يمناها فأمسك بها يياتي وأخرجها.

لم تشأ ديوياني عودتها إلى منزلها، وكلما تفكرت فيما فعلت بها سرمستها تبين لها أن لا تعود إلى عاصمة أسورا. ثم التفتت إلى يياتي فقالت ملتمسة:

«إنك أخذت يمين فتاة. فعليك أن تتخذها لك زوجة، وإني أراك جديرا بأن تكون بعلي من كل الوجوه!».

أجاب يياتي «عزيزتي! أنا من طائفة كشتري وأنت من أسرة برهمن فكيف السبيل إلى الزواج. وكيف يتاح لمثلي أن يكون زوجا لبنت سوكر آچاريا العالم العارف الذي يكاد يكون مرشدا للعالم كله. فعليك يا سيدتي المحترمة، أن تعودي إلى دارك.

قال يياتي ذلك واتخذ سبيله إلى عاصمته.

تلك الأيام القديمة ما كانت ترى تقاليدها بأسا أن تزوج فتاة كهشترية بالرجل البرهمي ولكنها رأت عكس ذلك ذنبا حرصا على صيانة مستوى المرأة النسبي وكرامة بمركزها العائلي وتنص التوصيات الدينية (شاستر) على ذلك.

صممت ديوياني على أن لا تؤوب إلى منزلها، فأوت إلى جانب شجرة في تلك الغابة في غمرة من الهم والحزن الشديد. ومن ناحية أخرى ضاقت على سوكر آچاريا ساعات الانتظار، فقد تأخرت ديوياني ولم تعد من نزهتها مع أترابها، فأرسل جاريته في طلبها وكانت أحب إليه من نفسه. راحت الجارية تبحث عنها في كل مكان. فوصلت إليها نهاية الأمر تحت تلك الشجرة، ووجدتها جالسة حزينة، احمرت عيناها من الغيظ.

فسألتها الجارية عما نزل بها. فردت إليها ديوياني أن ترجع حالا إلى أبيها تبلغه أن ديوياني لا تريد أن تعود إلى عاصمة أسورا من مكانها.

هرع سوكر آچاريا إلى ديوياني مهرولا بعد ما سمع عنها، واحتضنها، ثم

خاطبها بالملاطفة ولين الكلام لمواسيها :

« بنتى العزيزة ! يا مهجتى وروحى ! إن الناس بما كسبت أيديهم. فهم سعداء بخير ما عملوا، وأشقياء بشر ما فعلوا. ولا تزر وازرة وزر أخرى ».

بهذه الكلمات الحكيمة أراد سوكر آجاريا أن يعزى ابنته ولكنها أجابت فى هم وسخط « دعنى يا أبت ! « ما يتصل بى من الحسنات والسيئات. فإنها تختص بنفسى ولنفسى على كل حال. ولكن هل صدقت سرمستها عندما قالت عنك إنك لست إلا منشدا للقصائد المدحية أو معينا فى مناقب أبيها؟ وهل نطقت صوابا إذ قالت إنى بنت مسكين يرزق بالملق والاطراء » وما انتطقت غلتها بما عجرفت واستحقرت حتى دفعتنى إلى الثغر. إنى يا أبت ! لا أستطيع أن أعيش بعد ذلك على قطعة أرض تقع داخل ثغور أبيها ! » وعادت تبكى وتنتحب.

رفع سوكر آجاريا رأسه بالكبرياء وقال :

« يا ولدة كبدى ! إنك لست إبنة ناشد القصائد فى البلاط الملكى. وليس أبوك عائشا على هبات من وراء الاطراء والملق. إنما أنت كريمة من هو مكرم بين العالم كله. يشهد بذلك « إيندرا » ملك الآلهة ولا يجهل بنعمتى هذه ملك أسورا نفسه. ولكن اللبيب لا يمدح نفسه فلا أقول لك عنى أكثر من ذلك. فقومى يا عزيزتى إنك جوهرة بين النساء عديمة المثال. وإن وراءك لأسرتك سراء ورخاء ويسرا. واصبرى على ما أصابك، ولنذهب إلى البيت ».

هنا ألقى مؤلف الملحمة « وياس » دروسا فى الحكمة والموعظة للبشرية عامة على لسان سوكر آجاريه لابنته فقال :

« من صبر على عدوان جيرانه وغفر فقد ملك الرقاب فى الدنيا. وأن القاهر غيظه كالفارس القادر على الجماح، لجدير بالفضل حقا، لا الذى يقبض على العنان ولا يستطيع أن يغالب جماح الفرس فيذهب بالفارس حيث يشاء. والبطل الجليل

من ترك غضبه ترك الحية قشرها. يدرك المنال من لا يحركه شر الاضطهاد. والذى لا يأخذه الغضب هو أعظم درجة من الذى قام مائة عام بالجهاد والتضحيات المفروضة من الكتاب المقدس. والذى يغتاظ ويوقد للغضب نارا، يهجره المستخدمون، والأصدقاء، والاخوان وينفض من حوله الأهل والأولاد، وتتولى عنه الفضيلة، ويعرض عنه الصدق. والعقلاء لا يحتفلون بما تفوه به البنات وما يتحدث به الصبيان».

أجابت على ذلك ديويانى متواضعة: «يا أبت إننى رغم نعومة أظفارى وبداية عهدى، أستطيع أن انتفع بدروسك عن الصدق. مع ذلك ليس من السداد عشرة قوم، ليس لهم من الأدب حظ، ولا من الشرف نصيب. إن النبلاء لا يصاحبون من يعبث بكرامة آبائهم وشرف أسرتهم. والمبتذلون المستهترون مهما جمعوا مالا ممدودا وملكوا رغدا ورخاء، شرسون وعصاة وعتاة. أيا كانت حظيرتهم طبقة وطائفة. وللبررة والصالحين أن لا يدعوهم يعاشرون ويخالطون. إن فوادى يا أبت! ملتهب حنقا ومتقد. أوقدته كلمات سرمستها. وإنك لتعلم حق العلم، جراحات السنان لها الالتيام. ولا يلتام ما جرح اللسان».

عاد سوكر آچاريا إلى الملك ونظر إليه جادا ثم قال بالرزانة والوقار:

«أيها الملك! ولو أن الجناية لا يتبعها العقاب على الفور ولكنها تجزى على كل حال، فتذهب عاجلا أو آجلا بهناء الجانى ورخائه. قضى الفتى العازب «كاچا» ابن برهسپتى عندى أياما طوالا. لم أر فى غضوتها يوما ما أن غالبه العواطف فاقترف ذنبا، إنه خدمنى بالأمانة والاخلاص، وما حاد عن طريق الفضيلة شبرا. أراد به رجالك سوءا فهموا بقتله فتماسكت وتحملت. إن ابنتك أهانت ابنتى المعتزة بالشرف السامى، وعبثت بكرامتها بالكلمات القارصات الماتكات، فهى إذن تأبى أن تواصل أيامها فى حكمك، وها أنا تارك بلادك وذاهب إلى أرض غير الأرض، لأنى لا أستطيع أن أعيش ولا أرى فلذة كبدى

بين أيدى».

رزء الملك بهذه الصراحة القاسية وقال: «لا تؤاخذنى يا مرشدى! بما لا أعلم به. ولئن هجرتنى فسأرم بنفسى بين لهيب النار»!

أجاب سوكر آچاريا: «أنا تهمنى مرضات ابنتى أكثر من أن أعنى بعاقبة أمرك أو شئون أسوريا. فهى المخلوق الوحيد الذى أحبه أكثر من حياتى. فان نلت منها رضاها فمها ذلك. وإن لم تنل فانى عنك منصرف».

قام الملك وأسرع تحاشيته نحو الشجرة التى كانت ديويانى جالسة تحت ظلها. ولما اقتربها ارتمى بنفسه ورجاله إلى قدميها متضرعين. لم تحتفل بذلك ديويانى وغيبت كثير مستطير ثم قالت:

«أريد التى دعتنى ابنة متسول، ساخرة بى، لاذعة فؤادى، لتكون خادمتى فى البيت الذى يزوجنى فيه أبى».

نزل الملك على ما أرادته ديويانى ورضى. فأرسل من حاشيته من يحضر بابنته حالا

حضرت شرمستها واعترفت متأسفة بما جنت. خاضعة أمام ديويانى، متضرعة فى خطابها إليها:

«ليكن الأمر كما تحب أيتها العزيزة! فلست أرضى أن يضيع أبى مرشده لخطيئتى. فسأقوم كخادمتك فى بيتك».

هنا هدأت ديويانى كاظمة، وعادت إلى منزلها بأبيها.

وحدث أن قابلت ديويانى، يياتى بمناسبة أخرى فعرضت عليه مرة أخرى أن يقبلها كزوجته فقد سبق له ان تمسك بيدها اليمنى، فرد يياتى لما يحول بين الزواج. فأتيا سوكر آچاريا نهاية الأمر واستأذناه ونالا منه الرضى. وكان هذا

الزواج من نوع Pratiloma زواجا شاذ الموقف، غير عادى. إن التوصيات الدينية (شاستر) لا شك تأمر بالحق وتحظر الباطل ولكن الزواج إذ ما تم عقده مرة فلا يحل.

قضى يياتى بديويانى أياما فى متعة الحياة ومسراتها. ولبثت سر مستلها تخدمها حتى سنحت لها يوما فرصة أن أفضت إلى يياتى حديث فؤادها. والتمست منه من صميم النفس أن يأخذها كذلك زوجة له، فخضع لرغبتها وتزوج بها من غير أن يخبر به ديويانى. ولكنها علمت بما حدث وثارت بالطبع ثائرتها. وشكت إلى أبيها الذى لعنه حنقا ودعا عليه أن يشيب قبل الأوان.

فاجأ يياتى بتقدم فى سنه وأحس بالكهولة بغتة، فتضرع إلى سوكر آچاريا أن يصفح عنه ويغفر له فرق لحاله وعطف عليه ذاكرا بر انقاذه إبنته من البئر، وقال:

«يا راجه! إنك ضيعت مجدك، مجد الشباب، فان دعائى عليك لا يرد، ولا مخرج لك من هذا المأزق إلا أن تغرى شابا فيوثر بفتوته ويرضى عن شيبك لنفسه بدل الشباب!» بهذه الكلمات ودعه سوكر آچاريا، وباركه، ودعى له بالخير والسلام.

# الأمثال السائرة
# من شعر أبي الطيب المتنبي

### بتحقيق الاستاذ امتياز على عرشى

ناظم المكتبة الرامبورية، الهند

— ٤ —

( الثعالبى )

وثالثهم زمانا ، وإن كان مثليهم علما و أدبا ، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسمعيل النيسابورى المعروف بالثعالبى صاحب التصانيف الأدبيه السائرة فى الدنيا.

قال ابن بسام فى الذخيرة :

«كان فى وقته راعى تلعات العلم ، وجامع أشتات النثر والنظم ، رأس المؤلفين فى زمانه ، وامام المصنفين بحكم أقرانه . سار ذكره سير المثل ، وضربت إليه آباط الابل . وطلعت دواوينه فى المشارق والمغارب ، طلوع النجم فى الغياهب .

«تواليفه أشهر مواضع وأبهر مطالع وأكثر راو لها وجامع من أن يستوفيها أحد أو وصف ، أو يوفى حقوقها نظم أو رصف» .

وقال الباخرزى :

«هو جاحظ نيسابور ، وزبدة الأحقاب والدهور . لم تر العيون مثله ولا أنكر الأعيان فضله . وكان من أئمة العربية ، بارعا فى سائر الفنون طويل الباع فى الآداب ، رقيق العبارة ، دقيق المعانى ، كثير النادرة وافر الفاكهة» .

وله من التآليف «يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر». وهو أكبر كتبه وأحسنها وأجمعها. وفيها يقول ابن قلاقس:

أبيات أشعار اليتيمه ۞ أبكار أفكار قديمه

ماتوا وعاشت بعدهم ۞ فلذاك سميت اليتيمه

وله مصنفات أخرى جمع فيها أشعار الناس وأخبارهم وأحوالهم. وهى تدل دلالة ظاهرة على كثرة اطلاعه وغزارة علمه. وله أشعار كثيرة أيضا.

ولد سنة ٣٥٠هـ (٩٦١م) وتوفى سنة ٤٢٩هـ (١٠٣٨م) أو ٤٣٠هـ (١٠٣٩م).

ونسبته إلى خياطة جلود الثعالب وعملها. وقيل له ذلك لأنه كان فرّاء.[1]

قال الثعالبى بعد ما ذكر من أشعاره ما استقبحه الصاحب وغيره من النقاد: هذا آخر المقابح والمعائب. وأول المحاسن والروائع والبدائع، والقلائد والفرائد، التى زاد فيها على من تقدم، وسبق بها جميع من تأخر. فمنها حسن المطلع كقوله:

ك فؤاد ما تسلّيه المدام ۞ وعمرٌ مثل ما تهب اللئام

ومنها التمثيل بما هو من حسن صناعته كقوله:

ك وإنما نحن فى جيلٍ سَواسيةٍ[2] ۞ شرٍ على الحر من سُقمٍ على البدن

ك حولى بكل مكانٍ منهم خِلَقٌ[3] ۞ تُخطى، إذا جئتَ فى استفهامه بمن

ومنها المدح الموجه كالثوب، له وجهان. ما منهما إلا حسن كقوله:

ك يخيّل لى أن البلاد مسامعى ۞ وأنىَ فيها ما تقول العواذل[4]

---

١ — ابن خلكان ١/٤١٢ وشذرات ٣/٢٦٤ ومقدمة فقه اللغة المصحح طبع بيروت.

٢ — متساوون من الناس متساوين فى الخسة.

٣ — جمع خلقة والمراد الأشباح. ورروى «حلق» وهى القوم يتحلقون مستديرين.

٤ — [illegible]

ومنها مخاطبة الممدوح من الملوك بمثل مخاطبة المحبوب والصديق مع الاحسان والابداع. وهو مذهب له. تفرد به واستكثر من سلوكه، اقتدارا فيه وتبحرا فى الالفاظ والمعانى. ورفعا لنفسه عن درجة الشعراء، وتدريجا لها إلى مماثلة الملوك فى مثل قوله لكافور:

ح إذا نلتُ منك الودَّ، فالمال هين . وكل الذى فوق التراب تراب

وكقوله لسيف الدولة:

ح كم تطلبون لنا عيبا فيعجزكم؟ . ويكره اللهُ ما تأتون والكرم[1]

ح إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا . أن لا تفارقهم، فالراحلون هم[2]

ومنها حسن سياقة الأعداد كقوله:

ك على ذا مضى الناس: اجتماع وفرقة . وميت ومولود وقال[3] ووامق[4]

ومنها إرسال المثل فى أنصاف الأبيات كقوله:

ومعمعة الغوث[5] قبل العطب[6] .
هيهات تكتم فى الظلام مشاعل[7] .
وما خير الحياة بلا سرور .
كل ما يمنح الشريف الشريف .
ح ك إن النفيس غريب حيثما كانا .
فمن الرديفُ وقد ركبت غضنفرا؟ .

١ — قال ابن حجة: «ويعجبني من هذه القصيدة قوله يخاطب سيف الدولة ويشير إليه أنه سمع منه كلام الأعداء وقد أحضرهم لمواجهته. ولم يخرج عن إرسال المثل. كم تطلبون اه».

٢ — قال ابن حجة: «وليس لمثله مثيل».

٣ — مبغض.

٤ — محب.

٥ — المعركة.

٦ — الهلاك.

٧ — يريد أن الظلام لا يكتم نور المصابيح بل يزيدها ظهورا.

٭ إن القليل من الحبيب كثير ٭

٭ والبر أوسع، والدنيا لمن غلبا ٭

ك ٭ وبين عتق الخيل فى أصواتها ٭

ومنها إرسال المثل والاستملاء. والموعظة وشكوى الدهر والدنيا والناس وما يجرى مجراها كقوله:

ح يخفى العداوة وهى غير خفية ٭ نظر العدو بما أسر يبوح[1]

والأمر لله، رب مجتهد ٭ ما خاب إلا لأنه جاهد

إليك[2]: فانى لست ممن إذا اتقى ٭ عضاض الأفاعى، نام فوق العقارب

ح وأحسب أنى لو هويت فراقكم ٭ لفارقته[3]، والدهر أخبث صاحب

ح تلف الذى اتخذ الشجاعة خلة ٭ وعظ الذى اتخذ الفرار خليلا

فان يكن الفعل الذى ساء واحدا ٭ فأفعاله اللاتى سررن، ألوف

ك واحتمال الأذى ورؤية جانيـ ٭ ـه غذاء تضوى[4] به الأجسام

وتوهموا اللعب الوغى، والطعن فى الـ ٭ ـهيجاء غير الطعن فى الميدان

ومن الخير بطء سيبك[5] عنى ٭ أسرع السحب[6] فى المسير الجهام[7]

كم مخلص وعلى فى خوض مهلكة ٭ وقتيل قرنت بالذم فى الجبن

وما قلت للبدر: «أنت اللجيـ ٭ ـن[8]»، ولا قلت للشمس: «أنت الذهب»

ح ك إذا ما الناس جربهم لبيب ٭ فانى قد أكلتهم وذاقا

فلم أر ودهم إلا خداعا ٭ ولم أر دينهم إلا نفاقا

---

١ — يظهر.

٢ — أى كف عنى، فانى لست ممن إذا خاف من هلاك صبر على الذل.

٣ — الضمير للفراق. والمراد أن الدهر مغرى بمخالفتى فيكون ... حتى لو أريد فراقكم لحال بينى وبين ... [illegible]

٤ — تهزل.

٥ — العطاء.

٦ — جمع سحاب.

٧ — الذى لا ماء فيها

٨ — الفضة.

تَمَنّ[1] يلذ المستهام بمثله ◦ وإن كان لا يغنى فتيلا[2] ولا يجدى[3]

وكقوله :

فلا ينحل[4] فى المجد مالك كله ◦ فينحل مجد كان بالمال عقده

ودبّره تدبير الذى المجد كفه ◦ إذا حارب الأعداء والمال زنده[5]

إذا كنت فى شك من السيف فابله[6] ◦ فاما تنفيه وإما تعده

وقوله :

إنما أنت والد والأب القا ◦ طع أحنى من واصل الأولاد[7]

وقوله :

وجائزة دعوى المحبة والهوى ◦ وإن كان لا يخفى كلام المنافق

وقوله :

وفيك، إذا جنى الجانى، أناة[8] ◦ تظن كرامة وهى احتقار

وقوله :

ألا ليت شعرى، هل أقول قصيدة ◦ ولا أشتكى فيها ولا أتعتب؟

وبى ما يذود[9] الشعر عنى أقله ◦ ولكن قلبى، يابنة القوم، قُلَّب

ومنها افتضاضه أبكار المعانى فى المراثى والتعازى كقوله :

سلم أهل الوداد بعدهم ◦ يسلم للحزن لا لتخليد[10]

١ — أى هذا تمن.
٢ — ما على شق النواة.
٣ — لا ينفع.
٤ — لا يعطى.
٥ — موصل الذراع من الكف.
٦ — اختبره.
٧ — يريد، أنت فى تربيتك إياه كالوالد، والوالد القاطع أبر من الولد وإن كان يصله.
٨ — حلم.
٩ — ويذود، يدفع، و «قلب»، بصير بتقليب الأمور حسن التصرف فيها.
١٠ — يريد أن الذى يسلم من المتوادين، أنما بقى ليحزن على فراقهم، لا ليخلد، لأن الدنيا لا خلود فيها.

ومنها إبراز المعانى اللطيفة فى معارض من الألفاظ الرشيقة والرمز بالطرف والملح كقوله .

إنما التهنئات للأكفاء ۞ ولمن يدّنى من البُعداء
وأنا منك، لا يهنّىء عضو ۞ بالمسرات سائر الأعضاء

وكقوله

الصوم والفطر والأعياد والعُصُر ۞ منيرة بك، حتى الشمس والقمر

وكقوله

تعثر حالى، واللىالى بحالها   وشبتُ وما شاب الزمان الغُرانِق [2]

وقوله

لـ مُشيبُ الذى يبكى الشباب مشيبه ۞ فكيف توقيه وبانيه هادمه؟

## ﴿ العكبُرى ﴾

ورابعهم محب الدين أبو البقاء عبدالله بن الحسين بن أبى البقاء العكبرى الضرير صاحب التصانيف

قرأ القراآت على البطائحى، وتأدب على ابن الخشاب، وتفقه على ابى يعلى الصغير، وروى عن ابن البطى وطائفة وحاز قصب السبق فى العربية، وتخرج به خلق وكان ديِّنا ثقة

قال الناصح الحنبلى

«كان إماما فى علوم القرآن، إماما فى الفقه، إماما فى اللغة، إماما فى النحو، إماما فى العروض، إماما فى الفرائض، إماما فى الحساب، إماما فى

١ — العربية ٢ — الشاب الناعم .

معرفة المذاهب، إماما في المسائل الطويلات. وله في هذه الأنواع من العلوم مصنفات مشهورة».

وقال ابن أبي الحُبيش:

«كان يحيى في تسعة علوم وكان أوحد زمانه في النحو واللغة، والحساب والفرائض، والجبر والمقابلة، والفقه، وإعراب القرآن والقراآت الشاذة. وله في كل هذه العلوم تصانيف كبار وصغار ومتوسطات»

وقال ابن النجار

«قرأت عليه كثيرا من مصنفاته وصحبته مدة وكان حسن الأخلاق متواضعا، كثير المحفوظ محبا للاشتغال والاشتغال ليلا ونهارا ما تمضي عليه ساعة بلا اشتغال أو إشغال حتى أن زوجته تقرأ له بالليل كتب الأدب وغيرها»

توفي ليلة الأحد ثامن ربيع الآخر سنة ٦١٦هـ (١٢١٩م) ودفن بمقبرة الامام أحمد بن حنبل باب الحرب.

قال العكبري[1]

ولأبي الطيب أمثال كثيرة كهذا البحر أتت في أبياته وسأذكرها هنا مجتمعة وأتكلم عليها في مواضعها إن شاء الله تعالى. فمنها

ﻫ والمستغرَّ بما لديه الأحمق[2]

ﻫ وليس بمنكر سبق الجواد[3] ﻫ

ﻫ وأبي من المشتاق عنقاء مُغرب[4] ﻫ

---

١ — ابن خلكان ٢/٣٧٧ وشذرات ٥/٦٧ ومختصر طبقات الحنابلة لجميل أفندي ٤٤ دمشق ١٣٣٩هـ.

٢ — شرح ديوان المتنبي ١٤ (طبع كلكتة ١٣٦١هـ) و ١/٢٢ (طبع مصر)

٣ — الفتل. ٤ — الفرس الكريم. ٥ — قال، أغرب الرجل، إذا أمعن في البلاد.

« غير مدفوع عن السبق العِراب[1] »
« والشيب أوقر والشبيبة أنزق[2] »

وقال فى موضع آخر[3]:

قد أجمع الحذاق بمعرفة الشعر والنقاد أن لأبى الطيب نوادر لم تأت فى شعر غيره. وهى مما تخرق العقول. فنها:

ح إذا غزته أعاديه بمسئلة » فقد غزته بجيش غير مغلوب

ومنها:

فذى الدارُ أخون من مومس[4] » وأخدع من كِفة الحابل[5]
تفانى الرجال على حبها » وما يحصلون على طائل

ومنها:

أرجو نداك. ولا أخشى المِطال به[6] » يا من إذا وهب الدنيا، فقد بخلا

هذا من أبلغ الوصف بالجود. ومنها:

تأبى خلائقك التى شرفت » ألاّ تحِنّ[7] وتذكر العهدا[7]

هذا والذى بعده من أرق المدح وأظرفه. ومنها:

ح ومراد النفوس أصغر من أن » نتعادى فيه أو أن نتفانى

---

١ — الخيل العربية.
٢ — من النزق، وهو الطيش.
٣ — شرح الديوان ٩٣ و ١٦١/١.
٤ — المرأة الفاجرة.
٥ — شرك الصائد.
٦ — الوعد مرة بعد أخرى يدق الايفاء.
٧ — «الخلائق» الاخلاق. و «تحن» تشتاق يقول، تأبى عليك طباعك الكريمة الشريفة ألا تشتاق إلى أحبائك وأن لا تذكر العهد الذى بينك وبينهم فتسلم

ومنها

فلا تحررك ألسنة موال ۞ تُقلبهن أفئدة أعادى

وكن كالموت لا يرثى لباك ۞ بكى منه ويروى وهو صادى[٢]

وإن الماء يخرج من جماد ۞ وإن النار تخرج من رماد

ومنها

ولي لمن قوم كأن نفوسهم ۞ بها أنف[٣] أن تسكن اللحم والعظما

فلا عرفت في ساعة لا تسرني ۞ ولا تصحبني مهجة تقبل الظلما

ومنها

وأما الذي اخلف المنه طرفه ۞ فمن المطالب والفضل الغائل؟

ما بال أهل الجاهلية كلهم ۞ شعرى ولا سمعت بسحرى بابل

ومنها

ولا تحسبن المجد زقا[٤] وقينة ۞ فما المجد الا السيف والفتكة البكر[٥]

ومنها

ومكلة العيش الصبى وعيبه ۞ وغاب لون العارضين[٧] وقادمه[٨]

ومنها

يدق بعضها بعضا ويمشى ۞ أواخرها على هام الأوائل

فكم عن مثقلة الرواسى ۞ كحلة[٦] بالجنادل[٩] والرمال

---

١ — الشح
٢ — عطشان
٣ — استكبار
٤ — خمرا
٥ — مرة من تلك القلادة إذا عقلتى به والفتكة البكر القاطعة القاتلة
٦ — الشباب
٧ — سواد الشعر
٨ — بياض الشعر
٩ — الحجارة

ومنعشٍ كان لا يغنى لحَطَب ❊ و بال[١] كان يفكر فى الهُزال

ومنها:

وما الموت إلا سارق دق شخصه ❊ يصول بلا كف ويسعى بلا رِجل
يَرُدُّ ابو الشبل الخيسَ[٢] عن ابنه ❊ ويسلمُه عنــد الولادة للنمل

ومنها:

إذا ما لبستَ الدهر مستمتعا به ❊ تخرقتَ، والملبوس لم يتخرق[٣]
وما ينصر الفضل المبين على العدا ❊ إذا لم يكن فضلَ السعيـد الموفَّق

فهذا الذى لم يأت شاعر بمثله. وإنما ذكرناه مجملا ليسهل أخذه وحفظه. ولو تصفحت دواوين المجيدين المولدين والمحدثين، لم تجد لأحد منهم بعض هذا إلا نادرا. والفضل بيد الله، يؤتيه من يشاء.

## ﴿ ابن حجة ﴾

وآخر هؤلاء الأدباء الفضلاء تقى الدين أبوبكر بن على بن عبدالله الحموى الحنفى المعروف بابن حجة.

ولد، رحمه الله، سنة ٧٦٧هـ (١٣٦٥م) بحماة وبها نشأ. وحفظ القرآن الكريم وطلب العلم. وتعانى عمل الحرير وعقد الأزرار وقتا. ثم مال إلى الأدب وتردد إلى الشمس الهيتى وغيره من الأدباء حتى تقدم فى عمل الأزجال والمواليا[٤]. ثم أقبل على نظم القصيد ومدح أعيان بلده. ثم ارتحل إلى الشام قبل سنة ٧٩٠هـ (١٣٨٨م) فمدح قاضيها البرهان ابن الجماعة بقصيدة كافية طنّانة

---

١ — من البلى. ٢ — الجيش.
٣ — يقول: الدهر مشتمل على أهله اشتمال الثوب على لابسه. إلا أن هذا الثوب لا يرث ولا يبلى. فمن لبسه واستمتع به، فإنه يبقى هو على جدته.
٤ — هما فنان من الشعر من مخترعات المحدثين.

بديعة قرّظها له نبهاء عصره. واتصل بخدمة نائبها الأمير الشيخ المحمودى. ثم قدم صحبته إلى القاهرة. فلما تسلطن قرّبه وأدناه وجعله من ندمائه وخواصه. وصار شاعره. وله فيه عدة مدائح. وعظم فى الدولة وصارت له ثروة وحشمة.

ونظم بديعيته المشهورة على طريقة شيخه عزالدين الموصلى وشرحها شرحا حافلا عديم النظير. وجمع مجاميع أخرى مخترعة.

ومات فى ٢٥ شعبان (وقيل رجب) سنة ٨٣٧هـ (١٤٣٤م) بحماة على حالة حسنة.

وكان إماما عارفا بفنون الأدب متقدما فيها. طويل النفس فى النظم والنثر، حسن الأخلاق والمروءة مع بعض زهو وإعجاب. ذكره ابن خطيب الناصرية فقال: «الامام الأديب البليغ الفاضل الناظم الناثر إمام أهل الأدب فى زمنه». ووصفه بعض المحدثين بالامام العالم الأديب البارع رأس أدباء العصر وأعرفهم بفنون الشعر. وقال المقريزى: «هو أحد أدباء العصر المكثرين المجيدين». وقال ابن قاضى شهبة: «تقدم فى صناعة الأدب وشاع فضله قديما فى أيام ابن أيبك. وله النظم البليغ والنثر البديع». وقال السخاوى: «ونظمه ونثره يفوقان الوصف. وكتب شيخنا فى تقريض كتابه تقديم أبى بكر — أشهد أن أبابكر مقدم على أنظاره»[1]. وسئل الحافظ ابن حجر: «من شاعر العصر؟» فقال: «الشيخ تقى الدين ابن حجة».

فهذا هو ابن حجة. وقد اجتنى هو من قصائد المتنبى أثمارا جنية يستحلاه الذوق العصرى، وانتخب من درر أفكاره ما يفتخر به جيد الفكر الأدبى. ونظم تلك الأبيات فى كتابه شرح البديعية قائلا[2]:

١— الضوء اللامع ١/٥٣-٥٦، والشذرات ٧/٢١٩.
٢— تقديم أبى بكر (مخطوطة رامفور) ٤٩ الف. ومطبوعة مصر (باسم خزانة الأدب) ١٠٢.
٣— شرح البديعية المسمى بتقديم أبى بكر والمطبوع باسم خزانة الأدب، ط ١٠٢ وخ ٤٩ ب.

•ذكر ابن أبي الاصبع فى كتابه المسمى بتحرير التحبير أنه استخرج أمثال أبي تمام من شعره، فوجدها تسعين نصفا وثلثمائة بيت وأربعة وخمسين بيتا. واستوعب أمثال أبي الطيب المتنبي، فوجدها مائة نصف وثلثة وسبعين نصفا وأربعمائة بيت. ولكنه أخرج من أمثال أبي الطيب ما ولده من أمثال أبي تمام، وصدر الجميع بما وقع فى كتاب الله العزيز من الأمثال بزيادات على ذلك. وهى أمثال الأشعار الستة[1] والحماسة، وأمثال أبي نواس بعد أن ألحق أمثال القرآن بأمثال دواوين الاسلام الستة[2]، وختم الجميع بأمثال العامة فى كتاب الأمثال له.

•وقد عن لى أن أجمع هنا ما حلى بذوقى من أمثال أبي الطيب المتنبي، وإن كان فيها ما ولده من شعر أبي تمام كما ذكره ابن أبي الاصبع، فان القصد أن تصير عدة لأهل الانشاء إذا أوردوها فى الوقائع التى تليق بها على اختلاف أنواعها.

فمن ذلك قوله:

قد ذقتُ شدة أيامى ولذتها  فما حصلت على صاب[3] ولا عسل
وقد وجدتُ مكان القول ذا سعة  فان وجدت لسانا صادقا، فقل[4]
إذا صديق نكرتُ جانبه  لم تعينى فى فراقه الحيل

وقوله من قصيدة:

أشد الغم عندى فى سرور  تيقن عنه صاحبه انتقالا

---

١ — المراد بها دواوين الشعراء الستة الجاهليين: نابغة الذبياني، وعنترة بن شداد العبسي، وطرفة بن العبد، وزهير بن أبي سلمى، وعلقمة الفحل، وامرأ القيس.
٢ — المراد بها دواوين الشعراء الستة الاسلاميين: حسان بن ثابت، وكعب بن زهير، والنابغة الجعدي، وجرير، والفرزدق، والاخطل. والله أعلم.
٣ — صاب مر. وحصل على الشيء، أحرزه وملكه.
٤ — أي لا ينقصه شيء يحتج به، وانما ينقصه لسان يقوم يحتج بما فيه.

وقوله :

قد هون الصبرُ عندي كلّ نازلة     ولينَ العزم حد المركب الخشِن[1]

وقال من قصيدة :

وأشجع مني كل يوم سلامتي     وما ثبتت إلا وفي نفسها أمر[2]
ذر النفس تأخذ وسعها[3] قبل بينها     فمفترق جاران دارهما عمر[4]
وإني رأيت الضر[5] أحسن منظرا     وأهون من مرأى صغير[6] به كِبر

ويعجبني من المدح منها :

وما أنا وحدي قلت ذا الشعر كله     ولكن لشعري فيك من نفسه شعر؟

وقال من قصيدة :

وما ليل بأطول من نهار     يظل بلحظ حسادي[7] مشوبا[8]
ولا موت بأبغض من حياة     أرى لهم معي فيها نصيبا

وما أطرف ما قال منها :

وشيخ في الشباب وليس شيخا     يسمى كلُ من بلغ المشيبا
قسا، فالأسد تفزع من يديه     ورقّ، فنحن نفزع أن يذوبا

وقال من قصيدة :

إذا قدمتُ على الأهوال، شيّعني[9]     قلب، إذا شئتُ أن يسلاكم[10]، خانا

١ — أي الأمور الشاقة.
٢ — يريد: ليس طول صبري وسلامتي إلا لأمر عظيم يظهر على يدي. فثبوت سلامتي معي في المتاعب لأمر عظيم.
٣ — طاقتها.
٤ — والمراد بالجارين الروح والبدن. قال العكبري: «ولقد أحسن أبو الطيب في نظم هذا الكلام».
٥ — الفقر وسوء الحال.
٦ — الرجل الحقير الذليل.
٧ — من إضافة المصدر إلى مفعوله.
٨ — مخلوطاً.
٩ — تبعني.
١٠ — ينساكم.

أبدو، فيسجد من بالسوء يذكرني ٭ ولا أعاتبه صفحاً وإهوانا[1]
لا أشرئب[2] إلى ما لم يُفتْ طمعاً ٭ ولا أبيت على ما فات حسرانا[3]
ولا أُسَرُّ بما غيري الحميد به ٭ ولو حملتَ إليَّ الدهر ملآنا

وقوله من قصيد :

فما لي وللدنيا طِلابي[4] نجومها ٭ ومسعاى منها فى شدوق الأراقم[5]

وقال من قصيد :

فياليت ما بيني وبين أحبتي ٭ من البعد ما بيني وبين المصائب!
يهون على مثلي، إذا رام حاجة، ٭ وقوع العوالي[6] دونها والقواضب
كثير حياة المرأ مثل قليلها ٭ يزول وباقي عيشه مثل ذاهب
بأي بلاد لم أجرّ ذوابتي[7]؟ ٭ وأي مكان لم تطأه ركائبي[8]؟

وتخلص إلى مدح طاهر ولكنه أتى فى تخلصه بالعجائب فقال :

كأن رحيلي كان من كف طاهر ٭ فأثبت كوري[9] فى ظهور المواهب

ما يقول «أثبت كوري فى ظهور المواهب» إلا المتنبي.

وقوله :

كريشة بمهب الريح ساقطةٍ ٭ لا تستقر على حال من القلق

ويعجبني قوله من أبيات يتمثل بها فى كثرة الاحسان المفرط :

وصار أحب ما تُهدى إلينا ٭ لغير قِلىً. وِداعَك والسلاما

---

١ — إهانة.
٢ — أمد عنق لأنظر.
٣ — من انتحدت حسرة وندمت على أمر فاته.
٤ — طلوبي.
٥ — ذكور الحيات.
٦ — صدور الرماح. والمراد بها الأسنة.
٧ — ذوابة الرحل، الجلدة المعلقة على آخره.
٨ — جمع الركاب، بعير الابل.
٩ — الرحل.

ولم نملَل تفقدك الموالى ⋄ ولم نذمُم أياديك الجساما[1]
ولكن الغيوثَ إذا توالت ⋄ بأرض مسافرٍ، كره الغماما

وقال من قصيد:

بليتُ بلى الأطلال. إن لم أقف بها ⋄ وقوفَ شحيح ضاع فى الترب خاتمُه!
وما استعبرت عينى فراقا رأيته ⋄ ولا علّمتنى غير ما أنا عالمه

وقال من قصيدة:

إذا اعتاد الفتى خوض المنايا ⋄ فأهونُ ما يمر به الوُحول[2]

وقوله:

هل الولد المحبوب إلا تعلة ⋄ وهل خلوة الحسناء إلا أذى البعل
وقد ذقت حلواء البنين على الصبى ⋄ فلا تحسبنى قلت ما قلت عن جهل

وقوله:

ووجه البحر يعرف من بعيد ⋄ إذا يسجو[3]. فكيف إذا يموج؟

وقوله مفتخرا:

وأنـّا. إذا ما الموت صرح[4] فى الوغى. ⋄ لبسنا إلى حاجاتنا الضربَ والطعنا

وقوله:

أهُمُّ بشىءٍ[5] والليالى كأنها ⋄ تطاردنى عن كونه وأطارد
ولكن إذا لم يحمل القلبُ كفه ⋄ على حالة، لم يحمل الكفَّ ساعد

---

١ — أى لم نرحل عنك لملال ولا أنا ذما إنعامك المتوالى علينا.
٢ — جمع وحل وهو ما يبقى فى الأرض من السيل.
٣ — يسكن ويدوم.
٤ — برز وانكشف.
٥ — أريد فعله.

وقوله:

وما كل وجه أبيض بمبارك ٭ ولا كل جفن ضيق بنجيب

وقوله:

ولست أبالى بعد إدراكى العلا ٭ أكان تراثا ما تناولت أم كسبا؟

ويعجبنى من هذه القصيدة قوله فى مديح سيف الدولة، وقد كسر الدُّمُسْتُق على مَرْعَش[1]:

أتى مرعشاً يستقرب العبدَ مقبلا ٭ وأدبر، إذ أقبلتَ، يستبعد القُربا
كذا يترك الأعداءَ من يكره القنا ٭ ويقفل[2] من كانت غنيمته رُعبا

ومن أنصاف مطالعه التى يتمثل بها الناس:

وا حرَّ قلباه ممن قلبه شَبِمُ[3]

ونصفه الثانى لأحلى تمام تخص المطلع:

ومن بجسمى وحالى عنده سقم

وقوله:

لولا مفارقة الأحباب ما وجدت ٭ لها المنايا إلى أرواحنا سبلا

وقوله:

لا بقومى شرُفتُ بل شرفوا بى ٭ وبنفسى فخرت لا بجدودى

وما أحلى ما قال من غزلها:

أى يوم سررتنى بوصال ٭ لم ترُعنى[4] ثلاثة[5] بصدود

١ — اسم مكان. ٣ — بارد.
٢ — يرجع. ٤ — لم تفزعنى. ٥ — أى ثلاثة أيام.

منها:

أين فضلي إذا قنعت من الدهـ ... ـر بعيش معجّل التنكيد[1]
عش عزيزاً أو مت وأنت كريم ... بين طعن القنا وخفق البُنود[2]

وقال من قصيدة:

وعذلتُ أهل العشق حتى ذقته ... فعجبت كيف يموت من لا يعشق

وقوله من قصيدة:

تُحقِّر عندي همتي كل مطلب ... ويقصر في عيني المَدَى[3] المتطاول

وما أحلى ما قال بعده:

وما زلتُ طوداً[4] لا تزول مناكبي ... إلى أن بدت للضيم[5] فيَّ زلازل[6]

وله من قصيدة:

ليس التعلل بالآمال من أربي ... ولا القناعة بالإقلال من شيمي
ولا أظن بنات الدهر تتركني ... حتى تسد عليها طرقها هممي

وما ألطف ما قال منها:

أرى أناساً ومحصولي على غنم ... وذكر جود ومحصولي على الكَلِم[7]
لقد تصبرت حتى لات[8] مصطبري[9] ... فالآن أقحم[10] حتى لات مقتحم

١ — أي إذا قنعت من الدهر بعيش قد عجل لي نكده وتأخر عني خيره. فإذاً لا فضل لي.
٢ — جمع البند (بفتح الباء) وهو العلم الكبير. وخفق البند، اضطرابه.
٣ — الغاية والمنتهى. ٤ — الجبل العظيم. ومناكبه أعاليه.
٥ — الظلم. ٦ — حوادث الدهر.
٧ — يريد، أرى صور الناس ولكنهم كالغنم لا عقل لهم ولا جراءة. وأسمع ذكر الجود ولكن لا أحصل منه إلا على المواعيد.
٨ — بمعنى ليس. والأصل فيه لا. فزيدت التاء كما في ربت وثمت.
٩ — صبري. ١٠ — أرمي بنفسي بلا روية.

وقال:

وكاتم الحب يوم البَين منهتِك[1] ✽ وصاحب الدمع لا تخفى سرائره

وقال من قصيدة:

فوتى فى الوغى عيشى، لأنى ✽ رأيت العيش فى أرَب النفوس

وقال من أخرى:

إن تَرمِنى نَكبات الدهر عن كَثَب[2] ✽ ترمِ امرأً غير رِعديد[3] ولا نَكِسِ[4]

وقال أيضاً:

وهبنى، قلتُ هذا الصبح ليل ✽ أ يعمى العالَمون عن الضياء؟

وقال أيضاً:

وشُغل النفس عن طلب المعالى ✽ ببيع الشعر فى سوق الكساد[5]
وما ماضى الشباب بمسترد ✽ ولا يومٌ يمر بمستعاد
متى لَحظت بياضَ الشيب عينى ✽ فقد وجدته منها فى السواد[6]
وكيف يبيت مضطجعا جبان ✽ فرشت بجنبه شوك القتاد؟

وما أحلى قوله من قصيدة:

إنى، وإن لمتُ حاسدىَّ، فما ✽ أنكر أنى عقوبة لهم
كفانى الذمَّ أنى رجل ✽ أكرمُ مال ملكتُه، الكرم

١ — متفضح.
٢ — قرب. يقال «رماه عن كثب» أى رماه إذ كان قريبا منه.
٣ — الجبان المرتعد من الخوف. ٤ — الساقط النذل.
٥ — أى ولكم أشتغل نفسى عن طلب المعالى بنظم الشعر فى مدح من لا قيمة عنده للشعر.
٦ — أى كأنما [illegible]

وبما سار من أمثالها:

يروع ركانة[1] ويذوب ظرفاً[2] فما ندرى، أ شيخ أم غلام؟

وقال من قصيدة:

أمسى الدنيا، فلما جئتها مستمطراً مطرت علىّ مصائبا

خذ من ثناى عليك ما أسطيعه لا تُلزمَنّى فى الثناء الواجبا

وقال من غيرها:

ومن لُبه مع غيره، كيف حاله؟ ومن سرُّه فى جفنه، كيف يُكتم؟

وقوله:

أنا صخرةُ الوادى إذا ما زوحمت وإذا نطقت فاننى الجوزاء

وكذا الكريم إذا أقام ببلدة سال النضار[3] بها وقام الماء

وقال من قصيدة:

لا تعذُل المشتاق فى أشواقه حتى يكون حشاك[4] فى أحشائه

وما أحلى ما قال بعده:

إن القتيل مُضرَّجاً بدموعه[5] مِثل القتيل مضرجا بدمائه

وما أحلى ما قال من قصيدة:

أُصرِّف نفسى كما أشتهى وأملكها والقنا أحمــر

ويطربنى من مديحها قوله منها:

كفتك المروءة ما تتقى وآمنك الود ما تحـذر

١ — رزانة ووقارا.

٢ — خفة الروح وذكاء القلب. وهو ما يوصف به الشبان. يريد أنه جمع بين وقار الشيوخ وظرافة الشبان.

٣ — الذهب.

٤ — ما انضمت عليه الضلوع.

٥ — مضرج الثوب، أى أصبغه بالحمرة.

وقال:

فلا تطمعن من حاسد فى مودة ٭ وإن كنت تبديها له وتُنيل[1]

وقال:

ومن يجعلِ الضرغام[2] للصيد بازه ٭ تَصيَّده الضرغام فيما تصيدا

ويعجبنى منها فى افتخاره:

وما الدهر إلا من رُواة قصائدى ٭ إذا قلت شعرا، أصبح الدهر منشدا
فسار به من لا يسير مشمراً[3] ٭ وغنَّى به من لا يغنى مُغرِّدا

وقوله:

وكيف يَتِمُّ بأسك فى أناس ٭ تصيبهم[4]، فيؤلمك المصاب

ويعجبنى من مديحها:

وقفتَ، وما فى الموت شك لواقف، ٭ كأنك فى جفن الرّدى، وهو نائم

ومن أنصافها:

٭ هكذا هكذا، والا فلا لا ٭

وقال من قصيدة:

لولا العقول، لكان أدنى ضيغم[5] ٭ أدنى[6] إلى شرف من الانسان
ولما تفاضلت النفوس ودبرت ٭ أيدى الكماة[7] عوالىَ المُران[8]
وإذا الرماح شغلن مهجة[9] ثائر[10] ٭ شغلته مهجته عن الاخوان

---

١ — تعطى.
٢ — الأسد.
٣ — مسرعا.
٤ — تصيبهم بمكروه.
٥ — «أدنى» الأول بمعنى أخس، والثانى بمعنى أقرب.
٦ — جمع الكمى وهو الشجاع.
٧ — الرماح اللينة.
٨ — الروح.
٩ — طالب الدم.

**وقال أيضا:**

هارم بي ما أردت مني، فإني ... أسد القلب آدمي الرُّواء[١]
وفؤادي من الملوك وإن كا ... ن لساني يُرى من الشعراء

وما أحلى ما قال:

وفي الناس من يرضى بميسور[٢] عيشه ... ومركوبه رجلاه، والثوب جلده
ولكن قلبا بين جنبيّ ماله ... مدًى ينتهي بي في مراد أحُدُّه

وقال:

إذا حللتَ مكانا بعد صاحبه ... حملت فيه على ما قبله تيها[٣]

منها:

رضيتُ بما ترضى به لي محبة ... وقُدتُ إليك النفس قودَ المسلِّم

وقال من قصيدة:

لا تلقَ دهرك إلا غير مكترث[٤] ... ما دام يصحب فيه روحَك البدنُ

وله من قصيدة

وفيه سر في علاك، وإنما ... كلام العدا ضرب من الهذيان

وما أحلى ما قال:

وملَّني الفراشُ، وكان جنبي ... يَمَل لقاءه في كل عام[٥]

١ — المطر.
٢ — ما تيسر.
٣ — افتخارا. والمراد أن المكان الثاني يتيه على الأول افتخارا بنزولك إياه.
٤ — غير مبال.
٥ — اي ولو مرة في كل عام.

منها في المدح قوله في كافور

يجاوز قدر المدح حتى كأنه ... بأحسن ما يُثنى عليه يُعاب

وما أحلى ما قال بعده

وما كنت لولا أنت إلا مهاجرا ... له كل يوم بلدة وصحاب

تصفو الحياة لجاهل أو غافل ... عمـا يراد به وما يتوقع

وقوله

سبحان خالق نفسي كيف لذتها ... فيما النفوس تراه غاية الألم!

ومن أمثاله التي ضارب في هجو كافور

ما كنت أحسبني أحيا إلى زمن ... يسيء بي فيه كلب وهو محمود

وقال من قصيدة

أعطى الزمانُ فما قبلت عطاءه ... وأراد لي فأردت أن أتخيرا

وقال من قصيدة

وقد تقارب الوصفان جداً ... فموصوفاهما متباعدان

ولقد رأيت هنا في هذا القدر الذي أوردته من شعر أبي الطيب من إرسال المثل ما تطيب به الأذواق وتجول به فرسان الانشاء بالحبر من جياد الأقلام في ميادين الأوراق وعلى كل فقد فما لأبي الطيب في حكمه وأمثاله نظير[1]

٤ — تعجب من أن الله جعل لذته في ركوب الأخطار والأسفار وهو غاية ألم النفس

١ — شرح الديوان ط ١١٧ و ج ٥٥ ب وقريبه ما قال ابن رشيق في العمدة (طبع مصر ١٩٠٧م) ١٩٦/١ ولابد لكل شاعر من طريقة تغلب عليه ينقاد إليها طبعه ويسهل عليه تناولها كأبي نواس في الخمر، وأبي تمام في التصنيع والبحتري في الطيف وابن المعتز في التشبيه وديك الجن في المراثي، والصنوبري في ذكر النور والطيور، وأبي الطيب في الأمثال وذم الزمان وأهله.

أقول: هذا آخر ما تيسر لى من جمع ما سار من أبيات المتنبى فى الآفاق مسير الأمثال، أو تداولتها أيدى الأدباء الفضلاء فى القرون والأعصار، لأنها تشتمل على حكمة أخلاقية نادرة، أو درس اجتماعى ذى قيمة، أو رأى سياسى مبتكر. وقد بقيت هناك أبيات أخر غير قليلة من هذا النوع لم يذكرها الصاحب ولا غيره من المنتخبين، إما لضيق الوقت، أو لملال القارى والناظر. فأحذو الآن حذوهم، وأتركها منتظمة مع أخواتها فى سلك نظم القصائد. ولكن أرجو الله أن يوفقنى لالتقاطها وجمع شذورها فى زمن قريب. وهو المعين المستعان.

# إلى الادب العربى

للدكتور زبيـد أحمد

## الكتب عن اللغة

للبحث عما ساهمت به الهنـد فى الأدب العربى من ناحيـة اللغة وما يتفرع منها ثلاث وجهات: النحو. المعاجم والقواميس. البلاغة والبيان. وإليك منها كل الوجهات.

### (١ - النحو)

مما لا شك فيـه أن نهاية القرن السابع من الهجرة هى الأيام التى بلغت فيها حركة الوضع والابتكار فى علم النحو أقصى حدود الكمال. فليس هناك بعد الهشام المتوفى ١٣٥٩-٧٦١ من يبتكر فى النحو ويأتى بأشياء من عنـد نفسه بعد الفحص والتنقيبات. وابن الهشام هذا هو الآخر من النحاة الأربع البارزين الذين أولهم الزمخشرى صاحب «المفصل» ثم الحاجب واضع «الكافيـة» ثم ابن المالك كاتب «ألفية». ولكن ذلك لا يعنى أن دراسة النحو فى الأيام الأخيرة ظلت غير ناتجة. وأن ما جادت به القرائح بعد، لا يستحق الذكر والرواية. فأول كتاب نستطيع أن نقدمه كساهمة معتبرة من الهند إلى الأدب العربى فى هـذا القسم المختص، هو كتاب «تعليق الفوائد» لواضعه العالم النحرير محمد ابن أبى بكر الدماميني من نحاة مصر. وقـد دعاه بعض أنجـال الملوك إلى الهند مكرما بالتشريفات الملكية وتعضيداتها. فكتب الواضع هذا الكتاب فى موضع «كهمبات» من إقليم گجرات (٨٤٦-٨١٤) وهو شرح كتـاب «تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد» لابن المالك.

والكتاب الثانى وهو للواضع نفسه «المنهل الصافى» شرح الكتاب «الوافى» لمحمد بن عثمان بن عمر البلخى. كتبه للاهداء إلى ملك آخر سمى الملك الأول أى أحمد شاه البهمنى (٨٣٨-٨٢٥) أيام ١٤٢١-٨٢٥ وهو فى طريقه إلى إحسان آباد (گلبرگه).

والكتاب الثالث وهو كذلك للواضع «تحفة الغريب» شرح كتاب «مغنى اللبيب» لابن الهشام. كتبه فى بهروالا أيام ١٤٢١-٨٢٤. فهذه الكتب الثلاثة ثمينة قيمة كذلك تقديرا بها ما قاله السيوطى فى كتابه «بغية الوعاة» عن الواضع مثنيا عليه.

وهنالك فى النحو كتاب آخر «الارشاد» أو إرشاد النحو لشهاب الدين الدولت آبادى المولود فى موضع «دولت آباد» (الدكن) فى المنتصف من القرن الثامن. وقد أتم دراسته فى دهلى على العالمين البارزين فى تلك الأيام، القاضى عبد المقتدر ومولانا خواجگى. وعندما هاجم تيمور على دهلى عاصمة الهند واجتاحها، اضطر خواجگى ومعه طالبه شهاب الدين أن يغادرا دهلى إلى محل آخر. فحدث أن وصل الشيخ إلى قرية تسمى «كالپى»، ووصل التلميذ إلى «جون پور» حيث رحب به ابراهيم شاه الشرقى (١٤٤٠-١٤٠٠—٨٤٤-٨٠٤) وأكرمه فنصبه قاضيا ثم شرفه بلقب ملك العلماء تقديرا بجدارته وحذاقته فى المعارف والعلوم وكان خليقا بكل ذلك. وله عدة كتب. وتوفى عام ١٤٤٥-٥٤٩ أو قبل ذلك.

«الارشاد» كتاب مدرسى فى علم النحو يراه علماء الهند[1] فوق «كافية» ابن الحاجب. وفضلا على المزايا التى تجعله من خيرة الكتب أنه يتصف بما لا يتصف به كتاب آخر فى علم النحو. كما يقول الواضع عنه: «وتيسر لى بتيسير الله

١ — انظر أخبار قصة لركيل احمد ص — ١١٩.

إيراد النظير لأحكامه فى ضمن التعبير، مثلت لكل حكم تمثيلا يتعلق بعبارته أو بعبارة ما سبق أو سبق». فوضع كتاب درسى بكامله ملتزما هذا الوصف الغريب ليس من الهين الميسور، ولكن الواضع ذلل الصعاب بحذاقته وأخضع المعضلات من اللزوم بكفاءته. وها دونك بعض الأمثال من الكتاب:

«من الحروف الجارة «من» التى يراد منها إبتداء لغاية فى المكان أو ما يرجع من البيان. و «الباء» لالصاق الشيء بالشيء. و «على» لاستعلاء الشيء على الشيء. و «فى» لوقوع معنى الفعل فى زمان أو مكان. و «إلى» لبلوغ الشيء إلى غاية». و «عن» للبعد والمجاوزة عن الشيء. و «حتى» لحصول شيء حتى منتهاه. و «الكاف» لكون الشيء بشيء آخر معنا».

فاذا قارنت ذلك بما فى الكافية من بيان حروف الجر وهو «فمن للابتداء والتبيين. والباء للالصاق. وعلى للاستعلاء. وفى للظرفية. وعن للمجاوزة والكاف للتشبيه. لاستبان لك ميزة ما بين الكتابين. واتضح عليك الوصف الذى يختص به كتاب الارشاد. نعم، إنه لم يبلغ من السمعة والاذاعة عند الناس ما بلغ إليه «الكافية». ولكن المقارنة العادلة تبين لنا أن الأول أحسن تنسيقا من الثانى وأوفى بيانا للمسائل منه، وأن اختصاص الارشاد بايضاح المبادى والمصطلحات بنفس تلك الكلمات التى يصف بها الواضع إياها يجعله موجزا مستوعبا أكثر من الكافية، وأن سمعة «كافية» وشعبيته تعودان إلى أنه وضع بين الناطقين بالعربية أيام لم يكن للنحو فى المدارس كتاب يدرس. بينما وضع «الارشاد» فى الهند التى لم تنطق بالعربية كلمتها يوما ما ولا عبرة للفترة القصيرة التى غبرت فيما مضى لها بالسواحل الغربية للهنـــد. وزد على ذلك أنه وضع وفى أيدى المتعلمين من النحو مولفات ومجموعات، على أن المثل السائر فى الشرق «اللاحق فوق السابق» مما يعضد الارشاد ويعززه ولكن «الكافية» لايزال يتمتع «بالفضل التقدم».

وفيما يلى تعليق الحاجى على كتاب الارشاد:

«هو متن لطيف تعمق فى تهذيبه كل التعمق، وتأنق فى ترتيبه حق التأنق». وكم من العلماء قد شرحوا الارشاد. فيذكر الحاجى من الشارحين اسم أبى الفضل الكازرونى أحد شيوخ مبارك والد أبى الفضل الذى أثنى عليه فى كتابه «آئين اكبرى». وكذلك يذكر الاستاذ بكلمان عن شارحين آخرين ولكنهما لا يتصلان بالهند. وهذا عبد الحى الشطارى عالم هندى جليل من أعيان عهد الملك جهانكير كتب شرحا على كتاب الارشاد.

وشهاب الدين المذكور آنفا شرح كتاب الكافية باسم «شرح الهندى». يقول الحاجى «إن شرح الهندى من أجل الشروح للكافية» وهناك شارحون آخرون لا يقل عددهم من أربعة، منهم رضى الدين. ومنهم الشاعر الفارسى المعروف بجامى الذى يقولون عنه أنه كتب شرحه مدفوعا بما بلغه من صرامة وتهور من قبل عالم هندى. والقصة كما فيها أن أحد أبناء جامى وصل إلى الهند فحدث أن سأله أحد من العلماء من هو؟ وعندما علم به استخف به قائلا «فأنت ولد شاعر» أى الذى لا يعتد ولا يعتنى به. فلما بلغ ذلك جامى عزم أن يبرهن على جدارته العلمية فكتب هذا الشرح. ولما أتى بهذا العمل العلمى الجليل إلى الهند وعرض على ذاك العالم الهندى، فعلق عليه بعد التفحص والنظر أنه لا يتضمن إبداعا وإن كل ما فيه ليس إلا على أساس شرح الهندى[1].

لك أن تنكر صدق ما يقصون عليك ولكنك لا تستطيع أن تنكر أن شرح الجامى ماعدا بحثه عن الحاصل والمحصول لا يمتاز عن شرح الهندى، وعلى غالب الظن أن شرح الهندى كان للجامى مأخذا فى شرحه، وأن قول الحاجى بأن شرح الهندى وشرح الجامى هما المصدران للأبحاث الواردة فى

١ — أخبار الجمالة لوكيل أحمد، ص ١٢٥.

الشرح التركى للكافية ان لم يدل على مماثلة الكتابين. ففيه ما يشهد لنا فضل شرح الهندى على وجه الكفاية.

وقصارى الكلام أن شهاب الدين الدولت آبادى وضع فى النحو كتابين: كتابا فى المتن وكتابا فى الشرح. فالمتن إن فاته أن يفوق الكافية فلا يفوته أن يكون نظيرا خطيرا لعمل ابن الحـاجب. وأما الشرح فهو كالمصدر والأساس لأجود شروح الكافية وأحسنها. ولو صرفنا النظر عن هذه الكتب الثلاثة التى وضعها الدمامينى فان كتابى الدولت آبادى هذين كمساهمة من القطر الذى لا يتكلم باللغة العربية فى قسمها النحوى، لعملان خطيران يستحقان التقدير والاعتبار. وأكثر من ذلك أن الهند عدا هذه المؤلفات وضعت كتبا عديدة فى النحو. فعبد الرشيد الجونپورى كتب «تذكرة النحو» و «بداية النحو» كتابين. وبداية النحو هذا أول كتاب من نوعه. فقد التزم الواضع فيه أن يأتى بكل الأمثلة من الفقه. وعبد الحكيم السيالكوتى كتب شرحين مبسوطين فوق شرح الجامى: أحدهما كالتكملة للعمل الناقص من عبد الغفور تلميذ الجامى فى شرح شرحه، والثانى هى الحواشى على شرح عبد الغفور. وكلاهما طبعا فى قسطنطينية وفوق ذلك نجد فى ملحق الكتاب قائمة تذكر عديدا من الكتب التى وضعت فى الهند. ولا سيما كتاب «غايات التحقيق» لصافى بن ناصر تلميذ شهاب الدين فى شرح الكافية، وقد استحسنه الحاجى.

وقبل أن نتم الكلام عن الكتب النحوية الموضوعة فى بلاد الهند يجب أن نذكر عن رسالة نادرة لعلى المهائمى السالف بالذكر. وهى ليست بجوهرها كتابا نحويا ولكنها تبحث عن تحليلات نحوية لفاتحة سورة البقرة «ذلك الكتاب لا ريب فيه» بأنواع الطرق. وهى معدومة لا توجد. أورد منها غلام على آزاد فى كتابه «سبحة المرجان» اقتباسات طويلة، وهى كذلك تشهد أن الهند أنجبت

علماء نابغين فى العلوم العربية ومعارفها.

## ( ٢ — المعاجم والقواميس )

هناك من رجال المعاجم ثلاثة يتصلون بالهند بنوع ما، ولهم مؤلفات تعد نخبة القواميس وصفوة منها. فمنهم رضى الدين الحسن الصغانى الهندى ١٢٥٢-٦٥٠. وهو كما عرفناه فيما سبق ليس بالهندى أرومة، وإنما نزل أبوه الهند واستوطن لاهور حيث ولد رضى الدين ولذلك يدعى اللاهورى فوق الهندى. هو محدث جليل ولغوى كبير وضع عديدا من الكتب، ومن مصنفاته اللغوية:

١ـ العباب ـ وهو قاموس معتبر، متداول بين العلماء من أكبر المعاجم التى وضعت بعد «المحكم» مسد «الصحاح» إلى «مزهر»، وقد بلغ من الصيت مكانا غنيا عن أى تعليق.

٢ـ تكملة وذيل وصلة ـ كتاب من نوع الانتقاد على «الصحاح». وقد استطاع الواضع كتابة جزئين أولين منه وماتعة الجزء الثالث إلى حرف العين ثم توفى، رحمة الله عليه. وفى واحد من الجزئين صحح الواضع أغلاط «الصحاح»، وأورد فى الثانى من الكلمات ما تركها صاحب الصحاح. ولا يخفاك ما فى هذا العمل من التعذر والصعاب. فوضع قاموس بكامله من جديد أيسر وأهون من النقض عليه ورتق فتقه. كما نرى فى القاموس العربى لذوزى.

٣ـ كتاب الأضداد. كتاب يبحث عن الكلمات التى تتباين فى المفهوم، وهو مع اقتضابه نافع جدا. ومن أحدى مزايا اللغة العربيـة أنها تتضمن كثيرا من الأضداد، كالبيع للبيع والشراء، والصارم لليل والنهـار، والمسيح للنبى والدجال. والكتاب مرتب وفق ترتيب حروف الهجاء.

١ — مقدمة لين فى كتابه Arabic English Lexicon. P.X.V.

٤ — كتاب الذئب. فى البحث عن كل الكلمات التى تطلق على الذئب، فهو يرمز إلى مزية أخرى للغة العربية، وهى أنها أوفر حظا وأكثر نصيبا من ناحية الترادف. ففيها للنور ٢١ كلمة وللظلام ٥٢ وللشمس ٢٩ وللبئر ٨٨ وللاسد أو النمر ٣٥٠ وللجمل ١٠٠ وللناقة ٣٥٥[١].

فكل هذه الكتب يشهد على ما كان للواضع من التمكن على اللغة العربية شهادة لا تنكر.

وأما اللغوى الثانى مجد الدين الفيروز آبادى، صاحب كتاب القاموس المعجم العربى الشهير. فهو إن لم يكن من أبناء الهند ولكنه زار الهند مرتين، وكان متمتعا بالاعتناء الملكى. فنزل الهند المرة الأولى أيام الملك فيروز شاه تغلق (١٣٥١-١٣٨٨)، وأخرى أيام محمود الثانى تغلق[٢]. فالقاموس ليس مما يعد عملا هنديا ولكن لا يستطيع أحد أن ينكر أو ينسى إيادى البلاط الملكى الهندى فى إنتاجه.

واللغوى الثالث هو السيد مرتضى الزبيدى الهندى الذى ارتحل إلى الحجاز بعد ما تعلم فى الهند، ثم سافر إلى مصر من الحجاز للتفقه والتضلع فى المعارف والعلم. فكان أن طلع نجما ثاقبا فوق سماء الأدب العربى وكتب شرحا موسوعا مستوعبا على القاموس، وسماه «تاج العروس» الذى بلغ من السمعة مبلغا فوق البحث والتعليق.

وعدا هؤلاء ثلثة أخرى من اللغويين الهنديين الذين تمارسوا اللغة العربية فتضلعوا، فنهم:

عبد الرشيد التهتهوى واضع معجم كبير للكلمات العربية باللغة الفارسية بأمر من

---

١ — تاريخ آداب اللغة العربية لجرجى زيدان، ج ١، ص ٤٩.

٢ — P. 303 ... Hi...

سلطان شاهجهان وسماه منتخب اللغات، وهو متداول فى الهند على وجه العموم.

ومنهم عبد الرحيم الصفى پورى الذى ترعرع وازدهر أيام أفول نجم المغول، وتوفى قبيل الثورة الهندية. وضع هذا اللغوى الجليل قاموسا مبسوطا «منتهى الأرب» فى ثلاث مجلدات ضخام، يشرح فيه الكلمات العربية باللغة الفارسية. وقد نال هذا القاموس فى الهند من الناس قبولا عاما وأغناهم من المعاجم الأخرى كلها.

وأما اللغوى الثالث فهو المفتى سعد الله المراد آبادى، الذى وضع كتاب «القول المأنوس فى صفات القاموس». فأطال الكلام على تقدير القاموس وتحسينه فى ثلثمائة صفحة. ومع أن الكتاب لا يدخل حدود عهدنا المفروض علينا فان الواضع توفى بعد السنة الرابعة عشر من الثورة الهندية. ولكن فضل الكتاب وجدارته تقاضى أن نذكر منها على الأقل بعض العناوين من أبوابه الخمسة والثلاثين، ليعلم الناظرون منه أسلوبه ومنزلته.

الباب الأول فى حياة الواضع وذكر سيرته. الباب الثانى فى شرح اسم الكتاب. الباب الثالث فى أعداد الكلمات المذكورة فى القاموس بالضبط. فلم يكتف بمجموعة ما ورد فيه من الكلمات وإنما عدد كل باب على الانفراد بكلماتها الواردة تحته. ويقول إن القاموس يحتوى على ١٠٤٠٦ مادة، يذكر منها الصحاح ٥٧٧٧، وأما التى بقيت فهى الزيادات. الباب الرابع فى وصف مختلف المخطوطات للكتاب. الباب الخامس فى المصادر. الباب السادس فى المقارنة بين الصحاح والقاموس. الباب السابع فيما يتعلق بشروح القاموس. الباب الثامن فى المصطلحات الفنية. الباب التاسع فى الاشارات والرموز المستعملة فى القاموس. الباب العاشر فى مزايا أسلوب الواضع. الباب الحادى عشر فى الحواشى على المواضع المعقدة الملتوية. الباب الثانى عشر فى بيان الأغلاط. الباب الثالث عشر فى النقد الخاطئ من الواضع على صاحب الصحاح. الباب الرابع عشر فى ذكر الكلمات

التي وردت في الصحاح ولم يذكرها صاحب القاموس  الباب الخامس عشر في ذكر المعاني لبعض الكلمات التي وردت في الصحاح وهي لا توجد في القاموس  الباب السادس عشر في التكرير الواقع في القاموس دون اللازم  الباب السابع عشر في الاعتبار البالغ حد الغموض في بعض المواضع  الباب الثامن عشر في الرد على نقد عبد من الواضع

ولعل مقالتنا هذه لا تكون تامة من دون أن نلحقها بذكر كتاب قد وضع في الهند على أنه ليس قاموسا بكل معنى الكلمة ولكنه كمعجم للمصطلحات الفنية وهو «كشاف اصطلاحات الفنون» وضعه محمد علي الفاروقي من تهانة بهون في مركز مظفر نكر في منتصف القرن الثاني عشر وكما يدل عليه اسمه يبحث عن العلوم العربية فنونها كلها وقد طبع في مجلدين تحت اشراف Asiat. Soc. of Bengal فهو عون كبير ككتب المراجعة والاسناد

وهناك كتاب آخر غير كتاب كشاف اصطلاحات الفنون منزلة فليس هو معجما لمفردات اللغة ولكنه كمعجم لاتصال بالقواميس على وجه العموم إنه قائمة للكتب والمؤلفات موسوم بـ «كشف الحجب والاستار عن اسماء الكتب والأسفار» لواضعه اعجاز حسين الكنتوري عالم نادر من علماء الشيعة للقرن الثالث عشر وقد جمع فيه كل ما صنفه كتاب الشيعة ومحرروها مرتبا على حروف الهجاء كمثل الترتيب في «كشف الظنون»

## { ٣ــ البلاغة والبيان }

من أهم ما كتب في علم البلاغة من الكتب المدرسية حتى يومنا هذا هو كتاب «المفتاح» للسكاكي وكفاك تقديرا بمكانته في المتون ما كتب العلماء له من شروح فوق الشروح وحواش فوق الحواشي في مختلف البلاد التي تتصل بثقافتها بالأدب العربي اتصالا مباشرا أو غير مباشر ولهذه الصلة بالأدب العربي

وبالثقافة العربية إتصالا غير مباشر، نصيب أكبر وأكثر مما يرجى فى مساهمتها فى علم البلاغة التى لا ترادفها كلمة انكليزية غير أن نعبر بالمفهوم. فنقول هو علـم التكلم بالفصاحة.

فأول عالم هندى، على ما يعلم كاتب هذه السطور، هو رضى الدين الصغانى الهندى الذى كتب رسالة فى علم العروض وسماها «مختصر العروض». وهى على إيجازها تتضمن كل مبادئ العروض وإن مخطوطتها توجد فى مكتبة برلن تحت رقم ٧١٣٧.

ثم سننتقل الشاعر الجليل أمير خسرو، الشاعر الفارسى الكبير، غادر أبوه سيف الدين موطنه ماوراء النهر أيام جنكيز خان إلى الهند فنزل بپتيالى موضعا على مقربة من دهلى حيث تزوج بابنة عماد الملك. فولد منها أمير خسرو ١١٦٥-٥٦١[١]. وكان فى مقتبل العمر، قد تطلعت فى ذاته من تباشير الملكة الشعرية ومن الذكاء المفرط لدراسة العلوم بأصناها فوق العادة فأتيح له بذلك بأسرع ما يمكن أقوى سمعة لشاعر، ألمع صيت لعالم فى المجتمع ثم تيسر له الوصول إلى مجالس أجلال الملوك والأعيان بكل الفضل والشرف. وتابع أمير خسرو فى سلوكه مسالك التصوف على يد العارف الشهير «نظام الدين أوليا»، الذى كان يخصه ويهتم به اتصالا والتفاتا. وتمتع أمير خسرو بمصاحبة سبعة ملوك، محببا لدى الجميع مكرما بالحفاوة والاعجاب. وهو أكبر شعراء الفارسية فى الهند وأجودهم وقد وضع عديدا من الكتب. وتوفى ١٣٢٤-٧٢٥ بعد ستة أشهر من وفاة شيخه العزيز عليه بكل ما لديه، وإن عبقريته النادرة وكفاءته المدهشة أملت عليه كتابا فى علم البلاغة ضخما سماه «اعجاز خسروى». ومع أنه فى اللغة الفارسية إلا أن

---

١ — ولد أمير خسرو سنة ٦٠٥ فقبل المذكور من أغلاط مطبعية، وليس من يقول أنه عاش من عمره ١٩٤ عام — المعرب.

واضع استشهد بالأمثلة العربية من عنده على كل ما أورد من الصنائع والبدائع.
أنه ابتكر من الكلام وجوها جميلة، تقدم منها البعض وهي من أجلى البراهين
على أن الفكر الهندى عندما اعتنى وتبسط لأية لغة، عربية كانت أو فارسية،
احتفى بها، فلا يرده عن البراعة فيها أنها تعوزه أدوات من الاصطناع
لتطرف أو تقاليدا مسرفة من التخييل والتشبيه.

ومما اخترعه «صنعة ترجمة اللفظ» وهي أن يأتى الكاتب بكلمتين ترادفان
معنى وتختلفان لغة — كما فى البيت التالى:

إذا دعا لعطاياك أنجما، نادى ٭ غدى النجوم كما فى مسرة شادى

فالصنعة فى كلمتين فى الصدر «أنجما» (انجمن) «ونادى» وفى كلمتين فى العجز
«مسرة» «وشادى» فكلتا أنجما ونادى مترادفتان فى المعنى أى المجلس ومختلفتان
لغة، فأنجما كلمة فارسية ونادى عربية. وكذلك كلتا مسرة وشادى مترادفتان معنى
ومختلفتان لغة، المسرة كلمة عربية وشادى كلمة فارسية، ولكن ماعنى به الناشد المعنى
الفارسى إنما أراد به الغناء. فيقول إن النجوم أصبحت كالطيور الصادحة لدعوة
منك إلى العطايا.

وصنعة أخرى طريفة من مبتكرات أمير خسرو «ذو وجهين» وهي عبارة عن
أن يأتى القريض بشعر يتضمن كلمات لو صرفت منها فى بعض النقط أو قلبت
مكانها من الفوارق لحولت الشعر إلى لغة أخرى كما ترى فى البيت التالى:

رشيدى، نديدى، مرادى، نجانى ٭ رمانى يـاسى تبـارى نسـانى

معناه صديق الرشيد وزميلى ومنيتى ونجانى، رمتنى مسابقة النساء إلى اليأس.
ولكنك إذا قرأته بشيء من التصرف فى النقط لترى الشعر العربى قد تحول إلى
شعر فارسى.

رسیدی، بدیدی مرا، دی بخانم * زمانی بیاشی، یاری بشانی

أى وصلت إلى ورأيتنى اللازمة فى دار. اجلس عندى برهة وإنك جدير بالرفاقة.

ومن مبتكراته صنعة «قلب اللسانين» وهى أن تركب الكلمات فى الشعر بنسق لو قرأتها من خلاف لوجدتك تتلفظ بلغة غير لغة الشعر. مثلا:

مهب مبنك بم راك امهك راى يابب * شاب نم اب يشابهك اجره

فاذا قرأته من خلاف يجرى على لسانك:

یای بنز که ما کار می‌کنیم بهم * هر جا که باشی با من باش

ولعلك سمعت أن الشعر كلما ازداد اصطناعا ازداد تعقيدا والتواء. فقد كاد البيت الأخير أن يفقد معناه لتضمنه تطرفا فى الصناعة.

ثم أكبر الشارحين لأسرار البلاغة من الذين أنجبتهم بلاد الهند هو العلامة عبد الحكيم السيالكوتى، الذى وضع شرحا وافيا على كتاب «المطول» لسعد الدين التفتازانى (والمطول نفسه شرح جامع للمفتاح للسكاكى) وقد طبع شرح السيالكوتى فى قسطنطينية حائزا بالسمعة السائدة بين رجال العلم فى الهند وفى تركيا.

وكاتب آخر السيد على بن أحمد المعروف بابن المعصوم وقد عرفناه سابقا كواضع عدة كتب، منها «سلافة العصر». وكتب ابن المعصوم هذا مدفوعا بعاطفة المباراة بديعية بعد ما طالع «بديعية» ابن الحجة وشرحه عليها. ثم شرحه شرحا مسهبا أوجزه فيما بعد، وسماه «انوار الربيع فى أنواع البديع» (والبديعية عبارة عن أنشودة طويلة تذكر عن كل الصنائع والبدائع وأمثالها) وألحق كتابا ذكر تسعة كتاب من الذين وضعوا البديعيات، وهم:

صفى الدين الحلى ١٣٥١—٧٥٢، شمس الدين ابن الجابر ١٣٧٨—٧٨٠، ابو جعفر

أحمد بن يوسف الرعاطى ١٢٧٧—٧٧٩، عز الدين على بن الحسين الموصلى ١٣٨٧—٧٨٩، ابن الحجة ١٤٣٣—٨٣٧، ابن المقرى ١٤٣٣—٨٣٧، السيوطى ١٥٠٥—٩١١، وجيه الدين عبد الرحمن بن ابراهيم الزبيدى المتوفى ١٥١٤—٩٢٠ بالتقريب، محى الدين عبدالقادر بن محمد الطبرى ١٦٢٣—١٠٣٣.

وأجدر بالذكر ختاما هو الكاتب الخصيب البارع وشاعر الهند الكبير فى اللغة العربية غلام على آزاد الملقب بحسان الهند حقا. فقد خص الباب الثالث من كتابه «سبحة المرجان» ببيان محسنات الكلام وبذكر الصنائع والبدائع بالبسط والاسهاب. وكان كأمير خسرو مبتكرا فى علم البلاغة عديدا من الاختراعات، وقد أجاد فيما تقدم إلى الأدب العربى بعض ما أخذه من اللغة السنسكرتية والهنديه. فيقول فى فاتحة الباب الثالث من كتابه المذكور:

«إن قدماء الاهاند (الهندوس) الذين كانوا قبل زمان الاسلام استخرجوا من الكلام بدائع وافية واستنبطوا من رشحات الأقلام صنائع شافية، منها مشتركة بين العرب وبينهم كالتورية وحسن التعليل ..... ومنها مختصة بالهند. وأنا قصدت أن أنقل القسم الأخير عن الهندية إلى العربية، فرأيت بعضها لا يقبل النقل لخصوصيته بلسان الهند وبعضها يقبل النقل. فنقلت عنها نبذة وجدتها فائقة وألحقت بفن الأدب جملة رائقة. وأرجو من العرب العرباء أن يستحسنوا مخترعات الأهاند كما استحسنوا الأسياف الهندية بين الفرائد. ولما شمرت ذيل الجهد فى هذه الميادين وعمدت على استخراج الأمثلة من المجاميع والدواوين سنحت لى نبذة من الأنواع، وظفرت بأقراط ثمينة الأسماع. فاخترت من الأنواع الهندية ثلاثا وعشرين، وسميتها فى العربية بأسماء مناسبة بمسمياتها وهى التنزه ..... واستخرجت أنا سبعا وثلاثين وهى

التفاؤل والنذر ..... وأوردت نوعا من مستخرجات أمير خسرو الدهلوى وهو أو قلمون وثمانية أنواع قديمات وهى التدارك ..... فصار المجموع تسعة وستين».

ولأن بعض القارئ حسن البدائع المنقولة من اللغة السنسكريتية نقدم هنا نموذجين:

١ـ براعة الجواب، وهى عبارة عن لفظ غامض ملتبس فى الرد عن الأسئلة المختلفة، وللدلالة على الحقيقة نضرب لك مثلا انكليزيا. فلو سأل أحد عن السمك ـ لماذا لا يصطاد؟ وسأل آخر لماذا أنكروا هذا المثلث، فيكون الجواب، لم يكن هناك angle أى الزاوية والشص.

المعرب ـ لا أمر الدكتور عما وصف به «براعة الجواب» تعبيرا صادقا عن تأدية الجواب عن الأسئلة المتعددة بلفظة مشتركة كما قال عنها صاحب «سبحة المرجان». «لا أدرى ما الذى دفعه إلى الاتيان بالمثل الانكليزى وأمسك عن الاتيان بما تقدم به الواضع من عدة أبيات، منها:

قالوا وما زينة اللاتى فتكن بنا ... وما الذى هو حلى العاشق الغزل
قلنا لهم زين الله الوجود بكم ... تزين الغيد والعشاق بالحجل

الحجل كإبل: الخلخال وحلقة القيد. ومنها:

رامت أميمة منى بالخنى رطبا ... والعاذلية تبرا كان مختزنا
وغادة من جوارى الحى عسلا ... فقلت خذن وقاكن الاله جنا

الجنا: الرطب والذهب والعسل.

٢ـ مخالطة الصدق بالكذب، وهى عبارة عن أن يعلل أمر كاذب بأمر صادق كقول أبي نواس:

وأخفت أهل الشرك حتى أنه ۔ لتخافك النطف التى لم تخلق

الأمر الكاذب، خوف النطف التى لم تخلق من الممدوح، والأمر الصادق إخافة الممدوح أهل الشرك. فطلل الأول بالثانى.

وبديع آخر يجدر بالذكر استخرجه أمير خسرو وسماه صاحبنا واضع سبحة المرجان «بوقلمون» ويصفه بأنه لفظ مشترك بين اللسانين أو أكثر ويأتى به المتكلم بحيث يصح معنى الكلام عن اللسانين أو أكثر. وأردف يقول: استخرجت أمثلة من القرآن العظيم. فمنه قوله تعالى «ويأتينا فرداً» ضمير الفاعل لعاص بن وائل أى يأتينا يوم القيمة منفردا عن المال والأهل والعيال، معنى فردا بالفارسية غدا فالمعنى يأتينا غدا أى يوم القيمة ويرى ما وعدناه من العذاب. وقوله تعالى «أى الفريقين خير مقاما وأحسن نديا» الندى بالعربية المجالس وبالهندية النهر ومعنى النهر صالح فى الآية.

المعرب۔ يأتى الدكتور بعد ذالك ببيتين لابن المعصوم فى هذا الصدد. وهما:

وغادة من بنات الهند قد ظهرت ۔ فى زيها بين أسجاف وأستار

فقلت لما سرت فى اللاذمائنة ۔ يا حبذ السير بل يا حبذا السارى

وينسبها إلى صاحب سبحة المرجان. ولعل مصدر هذا الخطا مخيلة الدكتور. عندما قرأ هو العنوان المكتوب فى سبحة المرجان: «وقول السيد على معصوم» .... فخلقت مخيلته بين السيد وعلى كلمة غلام ولم تزد أن تقرأ ما يتبع اسم الشاعر. وليتها فعلت فما أخطأت ولعلها قدمت لناظرى كتاب صاحبها بيتين آخرين لابن المعصوم عندما نزل بأرض «برار» من ديار الدكن، وهما:

نزلنا من برار بكل واد ۔ وليس لنا بأرض من قرار

وقد كانت منازلنا قصورا ۔ ونحن اليوم ننزل فى برار

يذكر الدكتور فى ختام الكلام عن بديعية وضعها صاحب سبحة المرجان، ولعل القارئ يوثر أن يقف من الحديث موقف من يسمع مباشرا بدل أن يلقى إليه مترجم ناقل. فها يحكى إلينا الواضع نصه فى المقالة الخامسة من الكتاب عن قصيدته البديعية.

«..... ثم مشيت على آثار أصحاب البديعيات ونظمت قصيدة فائقة على أزهار الربيعيات، وأخرجت من عمق البحر غرر الدرر، وجددت البديع فى المائة الثانية عشر، وأبيات قصيدتى مائة وواحدة سالمة من تكرار القافية حافلة للمطالب الوافية وما التزمت فيها تسمية النوع، فإنها قاطعة لطريق الوصول إلى المعانى وسد ذى القرنين بين العشاق والغوانى. وقد طالعت أربع قصائد بديعيات مشروحات، هى حاضرة حالة التحرير: الأولى للشيخ صفى الدين الحلى، والثانية لابن حجة الحموى، والثالثة للعلوى، والرابعة للسيد على معصوم المكى وهو سماها أنوار الربيع فى أنواع البديع وأورد فيها تسع قصائد بديعيات، واحدة لنفسه والباقى للشيخ صفى الدين الحلى وابن جابر الأندلسى والشيخ عز الدين الموصلى والشيخ تقى الدين بن حجة الحموى، والشيخ اسماعيل ابن المقرى والشيخ جلال الدين السيوطى والشيخ محيى الدين العلوى اليمنى والشيخ عبد القادر الطبرى. وهؤلاء الجماعة كلهم عرب عرباء وأئمة أجلاء. وأنا سلكت منهج تقليدهم وسللت المهند تأييدهم. وربما يفعل الضعيف فعل الأقوياء والنسيم العليل يفرح أمزجة الأصحاء. والأدباء الكملاء إن التفتوا فهو غاية الاحسان وإن أعرضوا فهو تنبيه على النقصان.

## الكتب عن الادب

الوضع والانشاء فى هذا القسم كقرض الشعر، يقتضى لصاحبه النبوغ فى اللغة والبراعة فى الأدب، وأن يكون ذا حظ أوفر من سلامة الذوق واتزان التفكير.

لهنـــد على ما عرفت بما سبق مرارا ساهمت الأدب العربى بما ساهمت دون
ن تكاتفها الظروف وتساندها الأحوال، فقد يكون ما يتجاوز الحد أن تتوخاها
ساهمة فى وضع الكتب الأدبية كما هى ساهمت فى بعض العلوم التى لم تعارض
ا الظروف، ولكنها رغم ذلك كله قامت بواجبها تماما نحو هذا العمل الأدبى
بحث. وعلينا بالعناوين الستة التالية إذا أردنا البحث:

- الخطبات — ٤
- المختارات — ٢
- الرسائل — ١
- آداب عالية — ٣
- شروح مولفات شعرية — ١
- أساطير وروايات خيالية — ١

الخطبات — ٤

١ـ لقد كثرت الخطبات فى الهند وكثر كانوها. فمنها تستحق الذكر ما
كتبها الشيخ نظام الدين أشهر عارف الهند المعروف بسلطان الأولياء ١٣٢٤—٧٢٥.
كان عالما متضلعا فوق ما كانت له من المكان السامى فى التصوف والسلوك،
نالت خطبته من كافة أنحاء الهند إعجابا عاما بما فى أسلوبها الفصيح من بلاغة
تجعل النفوس تضطرم بنار الحب الالهى. وهى تقرأ حتى يومنا هذا فى بعض
المساجد فى الهند — وفيما يلى بعض القطعات منها الناطقة عن نقاوتها وفصاحتها:

«الحمد لله الذى قصرت عن رؤيته أبصار الناظرين، وعجزت عن نعته
أوهام الواصلين، ابتـــدع بقدرته الخلق ابداعا، واخترعهم على مشيئته
اختراعا، وأنطق لسان الذاكرين بذكر لا إله الا الله، وأودع مفاتيح
الأنوار فى صدور العالمين لا يعلمها إلا الله، وروح المشتاقين بروح اشتياق

في مشاهدة جمال الله. وأحرق دم المحبين سيف الجلال في بيداء وصال الله. وأحرق قلب العاشقين بنار العشق في انتظار لقاء الله. وخلق الجنة والنار للمؤمنين وللكفار ليجزي الذين أساؤا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى. فلو كانت الجنة نصيب العارفين بدون جماله ووصاله فواويلاه. ولو كانت النار نصيب المشتاقين مع جماله ووصاله فواشوقاه».

إن رقة هذه الأفكار وسموها وفصاحة أسلوبها لا تحتاج إلى أي شرح، ولاسيما أني أخذت الخلاصة منها.

٢ـ وكتب الشاه ولي الله الدهلوي بعض الخطبات. فمن أحسنها ما كتب مقتبسا من سورة الدهر، فقال فيها:

«الحمد لله الذي خلق الإنسان، وقد أتى عليه حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا».

ووضع الشاه هذه الخطبة بكاملها مرصعة بآيات سورة الدهر في نظم كلامه، فجاءت خطبة جميلة نالت من الناس قبولا عاما بين بلاد الهند.

٣ـ وللعلامة البارع محمد إسماعيل حفيد الشاه ولي الله الدهلوي كذلك خطبات عديدة معروفة في الهند. وكان من أشداء فرقة «أهل الحديث». وقد لعب دوراً هاماً في الدفاع عن هذه الفرقة في الهند. فوضع في اللغة العربية والفارسية والأردية مؤلفات كلها يحوم حول هذه الحركة المشتقة عن المعتقد المستقرة على التدقيق والتحذير. وأما خطباته فهي فصيحة الكلمات، جميلة الأسلوب، منعشة العواطف والأحاسيس.

٤ـ وختاما نذكر عن الكاتب العصري عبد الحي العالم البارز الذي وضع

كتبا عديدة عن العلوم الاسلامية فى نواحيها المختلفة. فكتابه الموسوم بـ «اللطائف المستحسنة بجمع خطب شهور السنة» يتضمن من الخطبات ما يعادل عدد الجمع فى السنة كلها. ومن مزايا هذه الخطبات عدا فصاحتها وأساليبها البديعة أنها موزعة على الشهور أولا وعلى الجمع ثانيا. فتجد فيها لكل جمعة خطبة خاصة بموضوعها من التوصيات والتقاليد الدينية. وأما من ناحية أسلوب البيان فهى تقارن الكتب المنمقة المرصعة أمثال «أطواق الذهب» للزمخشرى ولشرف الدين.

## مختارات أدبيه — ٢

١ـ من أثمن المختارات من الأدب العربى فى الهند كتاب «نفحة اليمن فيما يزول بذكره الشجن» لمؤلفه أحمد بن محمد اليمنى المتوفى ١٨٤٠—١٢٣٦. وكان موظفا أيام التاليف عند شركة «إيست انڈيا» التى قامت وقعدت وراء تقدم اللغة العربية والعلوم الأخرى (بل وراء صالحها وصالحا من الأهداف — المعرب) فى أيامها. وأحمد بن محمد اليمنى هذا يمت نسبا إلى عائلة من عائلات همدان. خرج أبوه فى طريقه إلى الهند ليتصل بعمه العائش فى «بنارس» من قبل. ولكن من سوء حظه قبل أن يصل إلى الهند سابقت إلى عمه منيته. فقلق بما أصاب من الهم والألم وبما رأى من الجفوة والاهمال من بنى عمه، فقام قاصدا إلى لكناؤ حيث استقبله نواب آصف الدولة ورحب بالحفاوة والاكرام. فلبث هناك ما لبث ثم عاد إلى اليمن. وقد تزوج وهو عائد إلى موطنه بنت رجل سيد فى الحديدة. فكان أن ولد صاحبنا جامع «نفحة اليمن». إنه قضى من أوائل عمره أعواما فى الحديدة حيث تلقى من العلوم أصنافا. وأتبع ذلك أن أتى إلى كلكتا وأصبح موظفا فى كلية «فورث وليم» كمعلم اللغة العربية. وما هى إلا أيام قلائل حتى استقال عن وظيفته وحضر عند غازى الدين حيدر فى لكناؤ متمتعا بالتشريفات الأميريه. وعندما توفى غازى الدين ترك لكناؤ وخرج

يطوف مدن الهند ويزور بلادها، حتى وصل بونا، وهناك توفى أيام ١٨١٠—١٢٢٦.
إنه وضع من الكتب المشورة عديدا تتوسط نثرها منظومات وأبيات. ومع أن اليمن كان مولده ولكن ظلت بلاد الهند على غالب الأحوال مسرحا لحركاته الانشائية ومركزا لنشاطه العلمى.

ولقد حذ المحررون المعاصرون والمتأخرون من العلماء هذه المختارات، وكفى بها تقديرا أنهم رأوها نافعة لدراسة الأدب العربى (فى معناه الخاص) ككتاب مدرسى للمدارس العربية القديمة ولبعض المعاهد الجديدة. وهى موزعة على خمسة أبواب:

فالاول منها فى القصص القصيرة والنوادر الملحة.

والثانى فى المناظرات ومنها مناظرة النرجس والورد[1] ومناظرة المنجم والطبيب[2].

والباب الثالث كما يقول الجامع «شتمل على مقاطيع جيدة وقصائد رائقة انتخبتها من الدواوين التى عثرت عليها وملت لمحاسن أبياتها الآخذة بمجامع القلوب». ومنها قصيدة[3] للشاعر الهندى الكبير السيد غلام على آزاد.

والرابع فى القصائد اللامية الأربعة. الأولى منها لاسماعيل ابن أبى بكر

١ — التى سميت بالموهر الفرد، وهى للشيخ الأديب الشهير أبى الحسن الماردينى — المعرب.
٢ — وهى الموسومة بنبة الطبيب، للكاتب الجليل الشيخ محمد مومن بن الحاج قاسم الجزائرى — المعرب.
٣ — وهى التى أولها:

أدرك طلا لقاء منك يكفيه ° وطرفك الناعس المراض يشفيه

ومن بعض أشعارها:

كتمت دائى عن العذال عتهدا ° ما كنت أدرى نحول الجسم يفشيه
مداوى من سقام أنت منشأه ° ونجنى من ضرام أنت موريه
وحبذا العيش لو يمنى عسل مقل ° غصن رطيب من العينين أسقيه
لواتى قطعت أكبادهن منى ° رأينه فى كمال الحسن والتيه
ببا صواحب أكباد مقطعة ° فذلكن الذى لمتنى فيه

— المعرب

المقرى الزيـدى، والثانيـة لصلاح الدين الصفدى، والثالثة لأبي اسمعيل الحسين بن على المعروف بالطغرائى، والرابعة لعمر بن الوردى.

والباب الخامس فى ضروب من الحكم والأمثال نظما ونثرا.

٢ـ «رياض الفردوس» وهو كتاب آخر من جنس المختارات جدير بالذكر. جمعه محمـــد حسين خان من شاهجهان پور المتوفى ١٨٥٩—١٢٧٦. وهو ملخص موسوع فى ثلاث لغات: الفارسية والعربية والأردية. فالجزء العربى منـه موزع بين بابين من النظم والنثر. ثم الباب المختص بالمنثور من الكلام ينقسم إلى خمسة فصول:

الفصل الأول فى رسائل العلماء، ترى منهم خمسة من أبناء الهند.

والفصل الثانى فى رسالة علمية للسيوطى تبحث عن مواضيع عديدة من ضبط الاملاء والهجاء ومن النحو والمعانى والبيان.

والفصل الثالث يقدم أمامك اقتباسات منوعة من الكتب المعتبرة المتداولة التى تتعلق بالمعارف الاسلامية، تقرأ فيها رسالة عن التصوف للصوفى الهندى الشهير الشيخ فضل الله البرهان پورى.

والفصل الرابع يشتمل على عدة رسائل عن العلوم كالمنطق والفلسفة والرياضى والهندسة والطب والتشريح، ومن بين هذه الرسائل تجد رسالة فى المنطق للعالم الهندى عبد الحق.

والفصل الخامس يذكرك عن المختارات التى تبحث عن مبادى المناظرة وعن دراسة النقد الأدبى، تجـد بين هـذه المختارات بعض ما وضعه كاتبان هنديان. وهذه المجموعة من المختارات باتساع نطاقها واستيعابها المواضيع تشبه دائرة المعارف، وقد شهد بفضلها أمثال سعد الله المراد آبادى وتراب على ونواب صديق

حسن خان العلماء الأجلاء.

أجل! إن الاختيار ليس بالتوسع ولا بالابتكار. فالمختارات على كل حال مختارات. والجامع لا ناقة له فيها ولا جمل ولكنها تقود بالجامع إلى معرض النقد والنظر، وتقوم بذوقه في مضمار الاختيار. كما قال التبريزي عن أبي تمام: «إن أبا تمام في اختياره أشعر منه في شعره».

«الرسائل — ١ ج»

«نخب العجب فيما بعد الكتب» كتابه أحمد بن محمد اليمني صاحب «نفحة اليمن»، وهو كالمقدمة لصاحبه «نشأة الرسائل». فجمع الكاتب فيه الرسائل في أكثر موضوع وبذل جهده أن يجعله اسما صادقا لمسماه. ويأمل أن يكون كتابه هذا كشاهد على حاجته الشديدة لتنمية اللغة العربية وتطورها بين بلاد الهند. وهو ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول يبحث عن المراسلة ورجال العلم والأدب.

والقسم الثاني في المكاتبة مع السلاطين والوزراء والقضاة.

والقسم الثالث يذكر عن الكتابة إلى القائمين بأعمال تجارية.

وأما ملحق الكتاب فهو كالقسم الرابع له، يحتوي على رسائل عادية عامية التي تنوط بمناسبات يومية. فترى كتابة هذه الرسائل حسب المستوى الشعبي متواضعة الأسلوب، متنازلة التعبير. وأما الرسائل الواردة في الجزء الأول فهي المكتوبات التي أرسلها الجامع إلى أصدقائه. وهي بطلاوتها في العبارات وتنميق الكلمات لا تحمل موضوعا غير استلام الجواب أو الابانة عن عواطف ودية وانطباعات عميقة من المكتوب إليه. وإنها صيغت في أسلوب من الاصطناع صياغا يخيل إلى القارى أنها إنما وضعت ليتفاخر بها كاتبها ويتباهى بجدارتها الأدبية

الأدباء والكاتبين. وترى من بين هذه المكتوبات كتابا إلى العالم الجليل الشاه عبد العزيز الدهلوى فى نمط بليغ وأسلوب جميل. وهو يتضمن قصيدة ميمية يمدح بها المكتوب إليه. فرد الشاه عبد العزيز بما فاق الكتاب جمالا وبلاغة، مضيفا إليه بقصيدة نونية فى مدح خير البرية صلى الله عليه وسلم. وقد أعرب الشاه فى رده إلى الجامع عن المرض الذى كان يشكوه بتعبير شجى مثير العواطف والأحزان. وقد استحسن قصيدة الجامع ولم ينكر فيها شيئا إلا أنها قيل فى رجل (يعنى نفسه) لا يستحق المزايا المذكورة فيها. وعلى كل حال فالكتاب ممتع نافع وأول من نوعه.

## آداب عالية — ٣

تكلمنا عن الذوق الهندى وميوله نحو الاصطناع فى الكلام، منثوره ومنظومه. عندما كان الحديث يدور بنا حول «سواطع الالهام» و «جب شغب» فى فصل كتب التفاسير. وها نذكر هناك ثلاثة كتب موضوعة بلزوم الصانع:

١ - «موارد الكلم وسلك درر الحكم» كتاب وضعه الكاتب البارع أبو الفيض فيضى، صاحب سواطع الالهام. وقد أسلفنا بذكره. وللكتاب ناحيتان: ناحية الموضوع وناحية الأسلوب. أما ناحية الموضوع فقد تكلمنا عليه فى فصل التصوف. وأما ناحية الأسلوب فنقول إن الواضع كتبه ملتزما الصنعة المهملة كالتزامه فى كتابه سواطع الالهام. ورتبه على خمسين «موارد». بحث فيها عن المحاسن والفضائل من الأخلاق مقتبسا من عدة مصادر. وترى اسم الكتاب يتركب بأحرف تدل بأعدادها على عهد وضع فيه أى ٩٨٥ من الهجرة. ومما لا ينكر أن فيضى بما أتى بهذا العمل الجليل قد برهن على كفائته بل سيطرته المدهشة على اللغة العربية وأدبها. وعلى ما يرى كاتب هذه السطور أن الهند هى وحدها من وضعت كتابا بكامله فى الصنعة المهملة. وقال إن مولانا محمد صديق

اللاهورى المتوفى «١١٣٨–١١٩٢» كان قد وضع كتابا فى السيرة النبوية، ملتزما على نفس الصنعة نفسها. قال واضع «حدائق الحنفية» تعليقا على الكتاب: «إن الفضل يرجع إلى اللاهورى بكتابه هذا أكثر مما يرجع إلى فيضى بسواطعه».

ومن الأسف أن المكتبات التى طبعت قائماتها لا تدل على وجود هذا الكتاب. وعلى كل حال فهناك كتاب آخر من هذا الجنس فى مكتبة رامبور، وهو تفسير سورة يوسف الذى وضعه صاحبزاده على عباس خان. وقد ازدهرت أيامه أيام نواب كلب على خان حاكم رامبور. ولعلك لم تنس الكتاب الثالث من هذا الجنس الموسوم بـ «درود غوثيه»، وقد مر ذكره فى كتب التصوف.

وأتم الكاتب القدير كتابه بكراستين فى الصنعة المنقوطة. يتعذر على القارى أن يفهمهما لما تحملان من الكلمات الغريبة ومن الأسلوب المسرف فى الاصطناع. وفيما يلى أمثلة من الكتاب تعلم من وصفه. فالموارد الأولى هى موارد الاسلام وهى:

«هللوا صوموا ودوروا حول الحرم مواسمه واكلوا مع الاحرام مراسمه وأعطوا مالا ماموراً للصعلوك وهو الاسلام».

ترى من براعته وتفننه أنه صور المبادى الخمسة للاسلام من غير أن يأتى بحرف منقوط فى تصويرها. ثم استطرد مفصلا بكل واحد من هذه المبادى الخمسة.

والموارد الثانية تبحث عن القرآن فتقول:

١ـ كلام الله امام أهل الاسلام ومدار حصول المرام

٢ـ كلام الله داماء لا ساحل له وهو مصدر العلوم كلها ومودع الأسرار والحكم

٣ـ ورد. علوم كلام الله عدد كله

٤ـ ورد، أداته كما سمعوه

٥ـ رسول الله صلعم علم أداء كلام الله رحائه والرحاء علوا رعطا كسالم وعمر وعطاء ومسلم وطاوس والأسود وسعد وعاصم وما عداهم

٦ـ ورد، صدور الصور أسماء لها كالحمد وطه والعصر وماسواها

٧ـ أسماء الصور مما هو المسموع كهود ورعد، واسراء

٨ـ ورد لمالك ملك وللصراط سراط، وورد طه مكسور الطاء والهاء رواه ولد مسعود.

وتتبع ذلك موارد علم الكلام، فوارد آدم، فحمد، فأصحاب النبي فأهل البيت فالأولياء، فالملوك. ثم يبحث الواضع عن كل فضيلة بالموارد المنفردة لها.

٢ــ «المقامات الهندية» لواضعه السيد أبي بكر بن محسن العلوي، الذى نسجه على منوال مماثل من الكتب السابقة. ولا علم لنا بالواضع أكثر من أنه كان عربيا طال به المكوث فى الهند. والعبارة التاريخية فى ختام الكتاب تدل أنه وقع الفراغ من وضع الكتاب أيام ٧١٥ــ١١٢٨. ويقول الواضع فى المقدمة الوجيزة للكتاب عن سبب التاليف أنه خرج يوما من الأيام إلى بعض نزهاته ومعه لمة من الأصدقا متعلمين وغير متعلمين. فلما اتجهوا إلى مكان وجلسوا مستريحين بدأ الواضع يقرأ من واحد من كتابي المقامات الحريرية ومقامات البديع، وقد أتى بهما معه. فلم يرض ذلك بالطبع القاصرين فى اللغة العربية وأدبها، واقترح منهم أحد على الواضع أن يضع هو كتابا على شاكلة هذه الكتب ولكن بأسلوب ساذج سلس، حتى يدرك القارى مفاهيمه دون أن يضطر إلى مراجعة القواميس. فأسرع الواضع بما رأى فى الاقتراح فكرة معقولة إلى الانجاز بالعمل وقد فعل.

فالكتاب يشمل خمسين مقامة، كل مقامة منها سميت بمدينة من مدن الهند،

كتفاحة سورتية وأحمد نكرية ولاهورية وملم جرا. والذى لعب دور عيسى بن هشام فى «المقامات الحريرية» ودور أبى زيد السروجى فيها هو أبو الناصر بن الفتاح وأبو ظفر الهندى على الترتيب. وأما الحديث فيدور على قصص المواضيع المذكورة فى المقامات الحريرية ومقامات البديع. والكتاب بأسلوبه سهل بسيط ما فيه من تطرف. لامن ناحية الاغلاق والتعقيد ولامن ناحية الايضاح. ولم يكن مترجم المقامات الحريرية الاستاذ Chenery على علم بهذا الكتاب، فقد ذكر فى مقدمته عن الكتب التى وضعت على منوال الحريرى قبل مقاماته وبعدها. وليست مخطوطة «المقامات الهندية» على ما يرى فى مكتبة من مكتبات أوربا. وهى طبعت فى الهند أكثر من مرة طباعة حجرية. وتجد نسخة من الكتاب فى مكتبة الديا آفس.

٣ـ «المناقب الحيدرية» لأحمد بن محمد اليمنى المذكور آنفا. وكما يرمز إليه الكتاب أهداه الواضع إلى غازى الدين الحيدر ملك دولة «أوده». وكان قد تمتع فى حاشية أعيانه أياما كضيف للملك، محترما بكل حفاوة واكرام. فلما عاد إلى كلكتا كتب هذا الكتاب اعترافا بالجميل. ووزعه على ثمانية أبواب:

فالباب الأول فى رأفته وصفحه وصبره وحلمه. والباب الثانى فى جوده وكرمه. والباب الثالث فى مناسبة جلوسه على العرش وبسالته. والباب الرابع فى تدينه وبلاغته فى الكلام. والباب الخامس فى وزرائه. الباب السادس فى مبانيه. الباب السابع فى بساتينه. الباب الثامن فى مدهشاته وأعاجيبه.

وزيادة على هذه الأبحاث المذكورة فالكتاب ملآن بالنوادر المتنوعة من التاريخ والأدب والطرف الرائعة المطربة منها. وموضوع من بدايته حتى نهايته على مبدأ «الشىء بالشىء يذكر». وكان أن استشهد الواضع فى حديثه بكتاب أرسله وزير الملك إلى صلاح الدين، فذهب يصف بجمل أحوال الدولة الأيوبية،

ثم أتى بذكر عدة ملوك كانوا أدباء كاتبين متضلعين فى الكتابة والأدب. وعندما بدأ بالحكاية عن قصر الملك فى لكناؤ وصف عديدا من المبانى الفخمة الشهيرة فى العالم، ومن المدن الجيلة المعجبة بها والمدهشة.

وعلى ذكر القط نقل الواضح رواية طريفة عن القروى الذى قبض على هذا الحيوان ولم يره فى حياته أبدا. فصادفه فى طريقه قروى آخر سائلا ماذا تريد بهذا السنور؟ ولم يتقدم فى سبيله إلا بضع خطوات حتى كرر عليه رجل آخر نفس السؤال. وقصارى الكلام أن القروى لقى بوجيز من الوقت سبعة رجال كلهم سئلوه معبرين عن القط بسبعة أسماء مختلفة. فدار بخلد القروى أن هذا الحيوان الصغير لا شك ثمين. فأتى به إلى السوق للبيع. وقال للناس عندما سئلوه الثمن: مأة درهم. فضحكوا وقالوا إنه لايصلح ولا درهما. فأدرك القروى الحقيقة ورمى بالقط وهو يقول «لعنة الله! ما أكثر أسمائه وما أقل ثمنه».

ولم يقتصر الواضح عند الذكر عن بساتين الملك وحدائقه دون التقصى عن ما كان فيها من الأزهار والأثمار من كل ضرب ولون. ولكنه أنشد أبياتا يصف بها تلك الأزهار والأثمار بالمناسبات الجديرة ويمدحها بالأوصاف الأنيقة. وعند الكلام عن أفيال الملك وأفراسه يذكر حكاية نادرة عن فيل ملكى. فيقول إنه بلغ من التربية والاستيناس حتى كان يبكى فى عشرة أيام الأولى من شهر محرم الحرام كالرجال، رثاء لما نزل بسبط النبي صلى الله عليه وسلم. فأنشد الواضح القطعة الآتية من الأبيات كأنه ينقل عن فم الحيوان الأخرس:

« وا حسينا وا حسينا وا حسين »

إن كربى هاج فيما قد جرى فى كربلا « للحسين السيد المولى إمام الأتقيا

من طغاة عالقوا أحكام خير الأنبيا « وأذاقوا أهل بيت المصطفى مر العنا

« آه من جور العدى وا حسينا وا حسين »

• شكوا شمل الهدى وا حسينا وا حسين •

وهكذا تجد كل باب من أبواب الكتاب مملوءاً بالتحولات الممتعة والتنقلات المتنوعة من البينات والحجج المتصلة بعضها ببعض. فأصبح الكتاب بذلك نافعا يروق الناظرين.

{ شروح مولفات شعرية — ١ }

«مصدق الفضل» كتاب وضعه شهاب الدين الدولت آبادى المذكور عنه فى كتب النحو، فى شرح القصيدة الشهيرة «بانت سعاد». وهو من الكتب التى تستحق الذكر تحت هذا العنوان. ولا يخفاك أن القصيدة هذه قد شرحها عديد من العلماء كموفق الدين عبد اللطيف المتوفى ١٢٣١—٦٢٩، وابن الهشام المتوفى ١٣٥٩—٧٦١، وابن اللحمى ١٣١٥—٧٩٠، والسيوطى ١٥٠٥—٩١١.

فشارحها الدولت آبادى بدأ كتابه بنبذة من سوانح صاحب القصيدة. وذكر ألمعيته ونبوغه فى الملكة الشعرية. ثم شرح القصيدة بأسلوب عال، بحث فيه أولا عن اللغة والصرف والنحو، ثم المعانى والبيان والبديع فالعروض. واختتم البحث بخلاصة البيت ومغزاه. وقد تعرض فى البيت الأول للقوافى وكفى. وهذه الخطة الممتازة البالغة أقصى الفحص والبيان فى عملية شرح الكتاب كما لا يخفى ليست ميسورة المنال.

{ أساطير وروايات خيالية — ١ }

«قصة شكروتى» وهى رواية من نوع أساطير خرافية تستحق الذكر هنا تحت هذا العنوان. وهى تدور حول احتلال المسلمين بداية الأمر فى مليبار أيام شكروتى، ملك «كرنگا نور». وكان قد عاصر النبى واعتنق الاسلام بمعجزة شق القمر. ولو أن الذى وضع القصة غير معلوم إلا أنه أحد من أهالى الهند

بالقطع. فالمؤلفات الباحثة عن مليبار كـ «تحفة المجاهدين» و «الفتح المبين» كلها من وضع الأهالي. وأكثر من ذلك أن موضوع الرواية يدل على أن لا يصلح الكتابة عنه إلا أحد من سكان مليبار. وتجد مخطوطتها الوحيدة في مكتبة انديا آفس.

وأما القصة فبالاجمال أن النبي صلى الله عليه وسلم عندما نزلت الآية «وأنذر عشيرتك الأقربين» دعى إليه عشيرته وأصحابه وعرض عليهم الاسلام. فما آمن منهم بهذا الدين الجديد إلا قليل، وتولى أكثرهم مدبرين، وأرادوا أن يطفئوا نور الله بأفواههم. فذهبوا إلى حبيب بن مالك، وكان سلطان المدينة في تلك الأيام، والتمسوا منه أن يشد إزرهم وينصرهم ضد النبي الجديد في ضلاله الديني. فقام الملك بأربعة آلاف من الفرسان قاصدا مكة، ونزل على مقربة منها، ثم تفكر ودعى المشتكين إليه وقال لهم. إنه يرى من الخير أن نسئل محمدا معجزة لايستطيعها. وعليه أرسل من رجاله وراء النبي صلى الله عليه وسلم. فلم يكد يخرج النبي من داره واذا بجبريل قد أتاه وأخبر بالأحوال كلها. فذهب النبي إلى الملك وهو يعلم بكل ما سيحدث. فلما دخل عليه اضطر الملك أن يقوم له إجلالا رغم مخامته. فسأله الملك بعد االتحيات العادية: هل لك أن تجعل القمر، واليوم يوم خامس من الشهر القمري، أن يطلع كاملا من وراء جبل بو قبيس، وينطق إنك لأنت الرسول، ثم ينزل من السماء ويدخل كمك الأيمن ويخرج من الكم الأيسر، فينشق سويا فيعود النصف الأول إلى المغرب ويرجع النصف الثاني إلى المشرق، وختاما ينقلب إلى البدر التام كرة أخرى في كبد السماء؟ فلما أتى النبي بالمعجزة على وجه المطلوب أسلم الملك بفرسانه أجمعين وعاد إلى دولته.

حدثت هذه المعجزة في مكة ولكنها رؤيت في نفس الليلة في الهند، وربما

الملك شكرورتى، فأمر الكهنة والمنجمين حتى حضروه. فعرض عليهم هذه الأعجوبة ووسع لهم مجال أربعين يوما للايضاح والتعليل. فلما انقضى الأجل المحتوم ولم يأت أحد لتجلية الأمر، فرأى الملك فى منامه النبى، الذى بين المنظر حتى اطمأن الملك. وهذا المنام هو الذى جعل الملك الهندى يحب النبى حبا صادقا.

واتبع ذلك أن نزل عاصمة الملك نفر من اليهود والنصارى من مكة ورهط من رحالة المسلمين، قاصدين سيلان لزيارة جبل آدم. وكلهم شهدوا على أن انشق القمر. فلما عاد المسلمون من سيلان رافقهم الملك سرا إلى النبى واعتنق بالاسلام على يده. فسماه النبى سلطان تاج الدين الهندى. فلما علم بذلك الملك حبيب ابن مالك ارتحل إليه وزاره، واستقام عرى الصداقة بينهما. فاتفقا بعد برهة من الزمان أن يعودا إلى الهند. ولكن عندما وصلوا الميناء فأجأ الملك الهندى المرض واشتد به. فأوصى إلى رفقائه أن لا يحول دون مضيهم موتى. وكتب لهم إلى وزرائه توصيات ليوسعوا لهم عند وصولهم كل نطاق. فواصل القوم رحلته حتى وصلوا المنزل. وهناك وجدوا من الوزراء والأهالى كل استقبال وترحيب.

نبذة من

# أناشيد رجويدا

تعريب — محمود على غمان

« ويدا » معناه العلم. وهذه الكلمة السنسكريتية تطلق فى الاصطلاح على الكتب المقدسة عند الهندوكيين، كُتبت باللغة السنسكريتية القديمة فى زمن يتراوح بين ألف وألفى سنة قبل الميلاد، ومن أقدم تلك الكتب هو «رجويدا»، وهو يشتمل على ألف وثمان وعشرين ترنيمة، يبلغ عدد أبياتها إلى أربعة آلاف بيت. وهذه الترنيمات أو الأناشيد كلها سهلة المفهوم بسيطة المعنى تكشف عن إيمان الآريين بالآلهة التى كانوا يعبدونها ويقدمون إليها القربات والتقدمات، ويسكبون على هيا كلها وتماثيلها السكائب من خمر مقدسة عندهم تسمى خمر « سوما » وكان عندهم لكل قوة طبيعية — تنفعهم أو تضرهم — إله يعبدونه ويستنصرون به فى الشدائد، كالماء والنار، والأنهار والجبال وغيرها. وكانوا يدعون تلك الآلهة لتبارك لهم فى ذريتهم وأموالهم من المواشى والغلات والأثمار، وتنصرهم على أعدائهم السود القاطنين عندئذ فى مقاطعة فنجاب. وكان ذلك الجنس الأسود من البشر هم السكان الأصليين فى فنجاب وغيرها من أرض الهند قبل دخول الآريين فى تلك البلاد من أواسط آسيا، وذلك قبل اليوم بأربعة آلاف سنة أو أكثر.

لرجويدا وأناشيدها أهمية عظيمة لكل من أراد أن يطالع تاريخ الهند القديم. فإنها تكشف عن الحالة الاجتماعية والدينية للآريين الأقدمين فى ذلك العهد السحيق. وهذه الأناشيد من رجويدا نقلت فى ثناء « اندرا » اله

الآلهة عندهم وفى شأن «اجنى» الهة النار وغيرها من آلهة الطبيعة.

أقدم هنا لاجل الناطقين بالضاد من أبناء العرب نبذة من أناشيد رجويدا، ترجمتها باللغة العربية من ترجمة رجويدا الانكليزية للعالم الشهير روميش دت. ولعدم المامى باللغة السنكرتية لم أقدر أن أترجمها من الأصل. ولقد سعيت ما استطعت فى الترجمة العربية أن تكون قريبة من الترجمة الانكليزية فى التعبير والبيان اللائق بالمقام، وفى الأسلوب الذى يناسب أسلوب الكتب السماوية والاسفار المقدسة.

هذه الأناشيد تدل على أن الانسان قبل يومنا هذا بأربعة آلاف سنة أو أكثر كان يؤمن باله قادر، خلق العالم بقدرته، ودبر الكون بحكمته، ونصر من أصلح فى الأرض، وأهلك من أفسد فيها. فاليكم الأناشيد:

«إندرا» إله الآلهة

١ — هو الأعلى من كل اله خالد وأسنى
إله الآلهة بالقوة العليا
الذى امام قدرته الغالبة
ترتعد الأرض والسموات العالية
أيها الناس! استمعوا لشعرى
إنما هو إندرا إله الكون

٢ — هو الذى سكن الأرض حين زلزلت
وصور الجبال حين خلقت
وأقام القبة الزرقاء من السماء وأمالها
وخلق السموات وأحاط بها

استمع لشعرى إنما هو
إندرا إله الكون

٣ – هو الذى قهر قوة الشياطين فى السحاب
وأجرى الامثار السبعة الصافية الكبار
واقتحم كهوف الكآبة والاكدار
وأخرج البقرات الجميلة من الأرحام
وأضاء النار القديمة من البرق فى الغمام
ذلك هو إندرا البطل الجسور

٤ – هو الذى خلق بيده المهارة
عجائب البر والبحار الزخارة
وقهر الأعداء الملحدين للآريين
وأهلك «داسا» فله الويل المهين
ونهب لصوص داسا الذين فى سلطته
ذلك هو إندرا الصائد الجرى

٥ – أ سألتنى وأنت فى ريب
من هو إندرا ؟ وابن هو ؟
أيها الانسان فى ظنونك الباطلة قد همست
وقلت «ليس هو بموجود»
الاله الغيور فى انتقامه الهائل
يقدر أن يبتليك بآفة، وهو عليك غاضب

٦ – ولكن رحمته المستمرة فى طلب دائم
تطلب الأعلى والأسفل والقوى والضعيف

الكاهن المتغنى بأناشيده المقدسة
والعابد المترنم بمحامده الجليلة
كل يصب على نار هيكله
ويسكب السكائب باسمه الأعلى

٧— له البقرات وأفراس الوغى
له القرى والمساكن ومجلات الحرب
هو يرفع الشمس بيده اليمنى
ويفتح الأبواب الحمر من شفق الفجر
وصاعقته الحمراء يمزق السحاب الأسود تمزيقاً
ويرسل شآبيب المطر للانسان ليعترف بفضله ويصدقه تصديقاً

٨— الجيش المتقدم للهيجاء
يناديه للنصرة يوم الحرب
الأعزاء بصيته الذائع يهتفون
والأذلاء يذكرون اسمه بشفاههم ويهمسون
وقائد الجيش على العجلة الحربية
يدعوا ويستنصر إندرا إله الحرب

٩— ما نحن بمنصورين الا بسلاحه
الأمم تستنصره نصرة الصديق الصميم
والجبال الساكنة التى تعلوا إلى السماء
ترتعد أمام قوته القاهرة
والأرض بوسعتها ورحبها
تصور لنا الاله القوى القادر

١٠ – ما أسرع سلاحه الأحمر الهائل الفظيع
الذى يأتى على الملحدين بغضبه المريع
فلا يتمتع بفضله ولا ينال
كل مغتر، مفتخر، محتال
ويده الحمراء تقدر أن تنزل العذاب
فى الحرب على «داسا» الملحد المرتاب

١١ – الأشعة السبعة تزين قوسه الجميل
والأنهار السبعة من لدنه تسيل
هو مسلح بالصواعق. مستعجل فى غضبه
وفى انتقامه السريع الهائل
بدل غرور «روهينا» بالذلة والهوان
ذلك العدو الملحد الذى كان يعلوا إلى السماء

١٢ – الأرض والسماء تعترفان بسلطانه وكماله
والجبال المرتعدة تخر له وتسجده لجلاله
هو الذى يرسل صواعق السماء على أعدائه
فلتهيد إليه السكائب المقدسة
فانه يقبل هذه الخمر، خمر سوما
ويستمع لشعرى هذا

١٣ – هو الذى أهلك «سمبارا» الجسور
الذى آوى إلى الجبل فى ملاذه المنيع المتين
أهلكه فى الربيع الأربعين
وقتل الثعبان المغتر ورتيا

وربما ذلك السحاب الماسك الغيث
وعفريت السماء ذا الأكفان السود

١٤ — فاصنع الخمر، خمر سوما السائغة النقية
واسكب السكائب النادرة الشهية
فانه يبارك حينما ندعوه بثناءه ومجده
ويساعد كل من يغنى أناشيد حمده
ويقبل هذه الخمر . خمر سوما
ويستمع لشعرى هذا

١٥ — إندرا! أيها الاله العزيز الحق!
لك الأناشيد ولك الهدايا
ان الكهنة يسكبون لك السكائب
لينالوا من خزائن فضلك التى لا تنفد
كلنا وتقبل فانك قريب
واجعل أبناءنا الباسلين شجعانا لا يعرفون الخوف

# الهنـــد

## جنة المشرق ومطلع النور المشرق

تابع لما في العدد السابق

### ﴿ حاصلات الهند ﴾

#### — بهث كُيه —

ومنها «بهث كُيه» ويسموها الباذنجـان الصحرانى. شجرته ترتفع قدر الذراع وتفرش عـلى الأرض وتكون ذات شعب وأشواك. وثمرها يكون قدر الجوز. حار يابس، ضمـاده ينفع من الأورام البلغمية ويسود الشعر. وأكله ينفع من السعال وضيق النفس واصلاح البلغم والصفراء، وينفع من الحمى البلغمية، ويدفع الأوجاع وعسر البول، ويبطل حبس الشامة ويقتل الديدان.

#### — بدهـارا —

ومنها «بدهارا» بكسر الموحـدة وفتح الدال المهملة وخفاء الهاء. أصل نبات يشبه التربد. حار يابس، يلين الطبع ويقوى الباه وينفع من فساد البلغم والدم والسوداء والأورام والأمراض الباردة وسيلان المنى والاستحاضة.

#### — بكچى —

ومنها «بكچى» بضم الموحـدة وسكون الكاف العجمية والجيم الفارسى ويقال لها «باچى». حار يابس، ينفع من البرص والبهق والجرب وفساد البلغم و... شربا وضمادا. وقد جربه مرارا فى البرص فوجدته نافعا. لا يعادله فى

غيره من الأدوية. ويزعمه أهل الهند من الرسائن.

— بلادر —

ومنها «بلادر» شجر هندى، يطول كالجوز. ورقه عريض أغبر سبط حاد الرائحة. وثمرته فى حجم الشاه بلوط وفى رأسه قمع صلب، وقشره إلى السواد مملوء رطوبة عسلية. حار يابس. ينفع عسله من كل مرض بلغمى. كالفالج واللقوة والرعشة والاختلاج والخــدر وسلس البول. ويزيد فى الحفظ والفهم ويذهب النسيان أكلا. ويقطع الثآليل والوشم والآثار طلاءاً. وله ذكر فى كتب القدماء.

— بل —

ومنها «بل» وهو القثاء الهندى. وهو نبات منبسط ويخرج قروناً طوالا، داخلها حب إلى ليونة فوق الذرة. وخارجه أسود محدود الراس ينكسر عن بياض إلى صفرة. حار يابس. ينفع من جميع الأمراض البلغمية، كالفالج واللقوة، ومن البواسير والرياح والرطوبات الغريبة وضعف الباه. وله ذكر فى كتب القدماء.

— البليلج —

ومنها «البليلج» ثمر شجر فى حجم الزيتون وشكله، لكنه أعظم منه يسيرا. منابته الأقطار الهندية. يجتنى بتموز وقد يؤخذ قشره فقط. بارد يابس، يحد البصر ويقطع الصداع البخار إذا لوزم، ويقوى الشهوة والمعدة ويقطع الرطوبات ويخرج السوداء بالخاصية والصفراء. يعض الطبع. ويقطع الدمعة ويحبس الاسهال المزمن ويخفف البواسير. وهو من أجزاء الاطريفل. وله ذكر فى كتب القدماء.

— پلاس —

ومنها «پلاس» بفتح الباء العجمية واللام والالف والسين. ويسمونه «ڈهاك»

و «ليسو» شجر مشهور فى الهند. ورقه كورق الجوز وزهره نارنجى حسن المنظر. وورقه حار رطب، يشهى الطعام ويقوى الباه ويحلل الدماميل والبثور والرياح الغليظة المحتبسة فى البطن، وينفع من القولنج والذرب والحلقة والبواسير. وزهره بارد يابس، يدفع فساد البلغم والصفراء والدم ويدر البول والطمث ويحلل ورم المثانة والرحم. وصمغه ينفع من جريان المنى ويقوى الباه.

— بنــدال —

ومنها «بندال» بفتح الموحدة وسكون النون. وهو نبات يلتف على الأشجار ورقه كورق التنبول وثمره مدور مستطيل. حار يابس فى الثالثة، يسقط الجنين ويسهل البطن ويدر البول والطمث وينفع من الاستسقاء والبرقان والبواسير والربو وضيق النفس والسعال البلغمى.

— البندق الهندى —

ومنها «البندق الهندى» ويسميه أهل الهند «ريتهه». ثمر شجر عظيم، أكبر من الفندق. والمستعمل منه قشره. حار يابس، ينفع من الفالج واللقوة والصرع والرياح الغليظة، ويقوى المعدة والكبد، ويقطع الرطوبات والنزلات ويدفع السموم وإنى جربته فى من أكل الأفيون، فوجدته نافعا له. وقيل إنه ينفع من سم الحية أيضا.

— پيارانكا —

ومنهـا «پيارانكا» أصل مستطيل، عرضه قدر الأصبع وطوله قدر شبرين وأزيد منه، وفيه عقد، وطعمه فى غاية المرارة. ويجلب من سلهث واسلام آباد. حار يابس، ينفع من السعال والربو وضيق النفس وحرقة المعدة والنار الفارسى والجذام والجروح والقروح الخبيثة والسموم. وله منافع غير ما ذكرناها.

— اليش —

ومنها «اليش» نبت سمى قتال، يطول إلى ذراع، عريض الأوراق سبط له بزور وزهر. ومنه ملتوكاً كليل الملك يسمى قرون السنبل. ومنه صنوبري الشكل صغير إلى الصفرة إذا حك يصير بنفسجيا. ومنه ما يشبه القسط شديد السواد. ومنابته جبال مورنك ورنكپور ورانكا مانى ونيبال. وكله حار يابس فى الرابعة. ينفع من البرص والجذام وسيلان اللعاب وفرط الرطوبات وتقليل الماء. ولا يستعمل فيما ذكر إلا طلاءاً. وله ذكر فى كتب القدماء.

— بيل —

ومنها «بيل» بكسر الموحدة وسكون التحتية. ثمر شجر يقارب البطيخ حجما. وفى طعمه عفوصة وقبض. ورائحته الخز شديد العطرية. بارد يابس، يحبس الاسهال المزمن والنزف والدوسنطاريا ويقوى المعدة ويقطع اللزوجات. وأهل الهند يجعلونه فى السكر حال قطفه فيحلو طعمه المفص، ويأكلونه لتقوية المعدة. وله منافع غير ذلك.

— تالمكهانه —

ومنهـا «تالمكهانه» بذر نبت يعلو قدر ذراع. ورقه كورق الهندبا. وزهره أبيض وأصغر من زهر الهندبا. بذره أغبر مستطيل. حار يابس مع رطوبة فضلية، يفرح ويسمن ويقوى الباه ويزيد فى المنى ويمسك وينفع من الجريان المنى وسرعة الانزال.

— تنبول —

ومنها «تنبول» ويسمونه پان. وهو حار يابس قريبا من الاعتدال، يفرح ويقوى المعدة والكبد والدماغ والقلب والحفظ والفهم، وينشط ويفتح السدد ويدر الفضول ويشد اللثة ويطيب النكهة ويذهب بروائح الفم ويهضم الطعام

ويقطع ضرر شرب الماء على الريق، ويسكن العطش الكاذب ويصفى الصوت وينفع من ضيق النفس والسعال البارد ويقطع نزف الدم من اللثة ويحلل الأورام ضمادا.

— ترنى —

ومنها «ترنى» بضم الفوقية وفتح الراء المهملة وكسر الهمزة بعدها ياء تحتية. يكون على صنفين: الحلو والمر. أما الحلو فبارد ورطب، يأكلونه مع اللحم وبغيره. ينفع من فساد البلغم والصفراء وورم الطحال والاستسقاء وغيرها. والمر حار رطب، ينفع من الربو وضيق النفس وغيرهما.

— جام پهل —

ومنها «جام پهل» ويسميه أهل بنگالة «سفرانبه» يشبه الكمثرى حجما. وهو صنفان: أحمر وأبيض، ويحلو بعد ينعه كسائر الفواكه. ومنابته أرض بنگالة حار يابس مع رطوبة فضلية، يفرح القلب والمعدة. ويلين الطبع اولا ثم يعقله، ويدر البول ويحبس الاسهال. وله غير ذلك من المنافع.

— جام كهاس —

ومنها «جام كهاس» نبت يعلو قدر ذراع. حار يابس، ينفع من الاستسقاء والهيضة ويحل ورم الطحال أكلا، ويدمل القروح الخبيثة طلاءاً. وله تراكيب مجربة لأهل الهند من الأدهان والمراهم.

— جامن —

ومنها «جامن» وقد تقدم ذكره فى الفواكه. بارد فى الثانية يابس فى الثالثة يحبس الاسهال الصفراوى ويقوى المعدة والكبد الحارين، ويطفئ حدة الصفراء وينفع من القلاع والخناق الحارين، ويشد اللثة وينفع من داء الثعلب طلاءاً. ونواته ينفع من جريان المنى.

— جــدوار —

ومنها «جدوار» ويسميه أهل الهند «نربسى» منابته بلاد التبت ونيپال وموزنگ ورانگا ماتى ورنگپور وأرض دكن. وهو خمسة أقسام، أحسنها بنفسجى اللون إذا حك على شيء. وظاهره إلى غبرة. ومتى ابتلع أحس صاحبه بحدة فى اللسان هنية ثم يزول. حار يابس. يقاوم جميع السموم ويخرج تفريحا عظيما ويقارب الخمر فى أفعالها. ويزيل الأمراض الباردة كالفولنج ووجع المفاصل وعرق النساء والفالج. ويحسن الألوان جدا ويحمر الوجه. يفتت الحصى ويدفع اليرقان والسدد، ويدر البول ويهيج الشهوتين. ويستأصل شافة البلغم ويقطع الرش والأفيون. وله تراكيب معمولة. جربته فى الأمراض الدماغية الباردة كالصرع وأم الصبيان ونوبات الاختناق للنساء والغشى. وفى بعض أمراض القلب وفى ضعف الباه وفى الطاعون غير مرة. فوجدته نافعا غاية النفع.

— چرونجى —

ومنها «چرونجى» بكسر الجيم الفارسى وفتح الراء المهملة لب ثمر هندى شجرته تعلوا قدر شجر النارنج، وثمره يشبه النيشوق وله قدر نصف الحمص. يعلوه قشر كقشر الفستق. حار رطب، يسمن البدن وينعظ ويجلو وفى افعاله قريب من حب السمنة وقد زعم بعض أنه حب السمنة وهذا لا يصح.

— چنپا —

ومنها «چنپا» شجر هندى يعلو قدر شجر الجوز. وزهره يكون على ثلثة أصناف: أبيض وأصفر ووردى، والمستعمل فى الأدوية الصنف الأول. ورائحته شديدة العطرية. حار يابس، يقوى القلب البارد شما، ويدفع البلغم والرياح الغليظة، ويقطع شهوة الطعام ويقاوم السموم أكلا وطلاءً.

— چوب حيات —

ومنها «چوب حيات» معناه خشب الحيوة، شجر عظيم يحسن خشبه النجارون ويعملون منه أجزاء السرير. ومنابته ناحية بنارس گورکهپور ورهتاس. حار يابس في الثانية، وفيه قوة ترياقية وقوة قابضة، ينفع من الهيضة والقيء والاسهال والتهوع والرياح والسموم المشروبة الضعيفة.

— خس —

ومنها «خس» وهو غير الخس المعروف، نبت هندي. عطر الرائحة. يستعملونه في أيام الحر ويعملون منه العرائش والمراوح. حار يابس، يفرح القلب والدماغ البارد، وعطره معروف.

— دار هلد —

ومنها «دار هلد» شجر هندي. خشبه أصفر اللون وقيل إن عصارته حار يابس، ويحلل ويردع وينفع من أمراض الرأس والآذان، ويفتت الحصى ويحبس البول ويدمل الجروح والقروح وينفع من الجرب والقوباء.

— دهـاوه —

ومنهـا «دهاوه» شجر، زهره يستعمل في الأمراض. بارد ويابس، يقتـل الديدان ويشهي الطعام ويحبس الاسهال وينفع من جريان المني وسيلانه، وخروج المقعدة. وله غـير ذلك من المنافع.

— دهمامـه —

ومنهـا «دهمامه» نبت يشبه نبت الشكاعى، وهو غيره. بارد يابس، مقوى الأعضاء يصفي الدم والصفراء ويسكن العطش وينفع السعال وضيق النفس والحيات والدوار والقلاع والجذام والدماميل.

— راى يل —

ومنها « راى يل » نبت هندى. منابته أرض بنكاله ودكن وأكثر بلاد الهند. وزهره عطر الرائحة. وهو على ثلثة أصناف: راى يل وموتيا وموگره متقاربة فى الشكل والرائحة واللون. وعطره من أحسن عطور الهند. حار رطب، تمسح الصفراء ويسكن الحرارة وينفع من القى والفواق والجنون. وشمه يقوى القلب والدماغ. ودهنه قريب النفع من دهن الياسمين ولكنه أحر منه.

— ردراج —

ومنها « ردراج » نبت مخضر الأوراق. حار رطب، يقوى الباه والأعضاء ويقتل الديدان وينفع من الاخلاط الفاسدة والسعال وسيلان المنى، وكثير من أمراض الصبيان.

— ردنتى —

ومنها « ردونتى » بضم الراء وسكون الدال المهملتين وفتح الواو وسكون النون وكسر الفوقية والياء. نبت هندى، عظيم النفع جليل القدر. يشبه نبت الحمص شكلا. وورقه أصغر من ورق الحمص ظهره إلى فوق ووجهه إلى الأرض يقطر ماءاً ويبل الأرض تحته. ومنابته بندرا پور قرية من أعمال الهٰآباد، ووزير آباد من أعمال دلهى. وقيل إنه يوجد فى أرض دكن أيضا. حار رطب، مع رطوبة فضلية، يقوى ويسمن البدن ويشهى الطعام ويقوى الهاضمة والباه، وينفع من جريان المنى ويزيل العقر والأوجاع. وهو من الأدوية التى تقلب ماهية الرصاص إلى الفضة.

— زعفران —

ومنها « زعفران » تنبت شجرته فى أرض يابسة ويرتفع ساقه إلى أربعة أصابع ثم يبدو فيها زهره، وله أربعة أوراق وفيها أربع شعرات وهى الزعفران.

حار فى الثالثة يابس فى الثانية. يفرح القلب ويقوى الحواس ويهيج شهوة الباه ويدفع الخفقان ينفع من أوجاع الأذن ويحد البصر. ويذهب الغشاوة والقروح والجرب والسلاق، ويحبس الدم ويلين الصلابات ويعدل الرحم ويفجر الدبيلات ويقوى المعدة والكبد ويذيب الطحال ويسكن ألم السموم ويفتت الحصى ويحلل ويدر الفضلات، ويسكن النقرس وأوجاع المفاصل والظهر. وله غير ذلك من المنافع.

— ساذج هنـــدى —

ومنها «ساذج هندى» ورق شجر هندى. دقيق، طوله أزيد من عرضه. وله رائحة حسنة. منبته جبال سلهث. حار فى الثالثة يابس فى الثانية، يحفظ الأرواح والاخلاط ويفرح ويسمن، ويحلل رياح الأمعاء ويصلح المعدة ويقوى الاحشاء ويدر البول والطمث واللبن والعرق وينفع من الخفقان ووجع الفواد والاستسقاء واليرقان ويفتت الحصى.

— سربهوكه —

ومنها «سربهوكه» بالباء الفارسى نبات قدر ثلثة أذرع، وورقـــه دقيق مزدوج صنوبرى شكلا، وزهره يكون أبيض وأحمر. حار رطب، يفتح السدد ويدر وينفع من السعال وضيق النفس والحميات السوداوية وأمراض الكبد والطحال والكلية والمثانة والدماميل والبثور والأورام، وينقى الدم ويقاوم السموم.

— سرس —

ومنها «سرس» بكسر السين وسكون الراء المهملتين، شجر عظيم موزون متناسب. ورقه كورق التمر الهنـــدى شكلا وأكبرها حجما ضاربا إلى الصفرة. وزهره أيضا يكون أصفر وبعضه بيض، وبزره كبزر الخيارشنبر. بارد يابس، ينفع من الجذام والخدر والقروح الخبيثة والساعية والجرب المتقرح والفالج والقوة

والاسترخاء وأوجاع المفاصل والقوباء، وأمثال ذلك، شرباً وضماداً.

— سنكهاڑا —

ومنها «سنكهاڑا» بكسر السين المهملة واشمام النون والكاف الفارسى والراء الهندية. ثمر نبات هندى. رطبه بارد رطب، ويابسه بارد يابس، يقوى الباه وينفع من السعال الحى الصفراوى والدموى والدق واسهال الدم. ويفتت الحصى ويدفع حرقة البول ويسمن البدن. ولكنه ثقيل فى الهضم، مولد للرياح الغليظة.

— سهجنه —

ومنها «سهجنه» بفتح السين المهملة وسكون الهاء وفتح الجيم والنون. نبات هندى يكثر فى بنگاله وفى أكثر بلاد الهند. حار يابس، ينفع من الأمراض البلغميـة وأوجاع المفاصل ويحلل الأورام ويدفع الكسل ويحد البصر ويشهى الطعام. وزهره خير من ورقه. يحلل الرياح ويدر البول ويسهل ويسرع الهضم. وأصله يفتت الحصى.

— سينبهل —

ومنها «سينبهل» بكسر السين المهملة وسكون التحتية وخفاء النون وفتح الموحدة وسكون اللام. شجر عظيم يعلو ويرتفع كشجر التين. وورقه كورق الجوز، وزهره ضارب إلى الحمرة ويحصل منه القطن، فيجعلون منه الوسائد. والمستعمل منه أصله، حار رطب، يقوى الباه ويسمن البدن ويحفظ الحرارة الغريزة وينفع من الاسهال الصفراوى والدموى وحرقة الأعضاء وجريان المنى والدماميل والبثور والجذام وغير ذلك.

— العود الهندى —

ومنها «العود الهندى» ويسميه أهل الهند «اگر» بفتح الهمزة والكاف

القارسى. ينبت فى جبال سلهث من أعمال بنكاله وفى بعض جبال دكن والجزائر الملحقة بها. وشجره يشبه شجر البلوط إلا أن قشره رقيق وأوراقه كأوراق البلوط سواء، ولا ثمر له. وشجره لا يعظم كل العظم، وعروقه طويلة ممتدة وفيها رائحة عطرية. وأما عيدان شجره وورقه فلا عطرية فيها. ومنه القمارى صنف يطبع عليه كالشمع. وأما العطار فانه يقطع العرق منه ويدفن فى التراب شهرا فتبقى قوته، وهو من أعجب أنواعه. حار فى الثانية يابس فى الثالثة، يقطع البلغم بسائر أنواعه وينفع من الربو والسعال وضيق النفس وبرد المعدة والكبد والاستسقاء والطحال والخفقان المزمن والغشى وضعف الباه والقولنج والمغص. ويعمل منه أشربة تزيد فى النفع على معجون المسك، لأنه يحفظ الحوامل والصحة ويهضم. وله غير ذلك من المنافع.

## — فالسه —

ومنها «فالسه» يشبه النيشوق شكلا ولونا. وشجره كشجر الليمون حجما. بارد فى الثالثة يابس فى الأولى، يقوى القلب والمعدة والكبد الحارين. وينفع الاسهال الصفراوى والقى والفواق والعطش وحرقة البول. وينفع من الحمى والدق. وله غير ذلك من المنافع.

## — الفلفل —

ومنها «الفلفل» أشجاره شبيهة بدوالى العنب. يغرسونها ازاء النارجيل فتصعد فيها كصعود الدوالى إلا أنها ليس لها عسلوج وهو الغزل كما للدوالى. وأوراق شجرته تشبه آذان الخيل وبعضها يشبه أوراق العليق. ويثمر عناقيد صغاراً. فاذا كان اوان الخريف قطفوه وفرشوه على الحصير فى الشمس ولا يزالون يقلبونه حتى يستحكم يبسه وهو يسود. ومنابته بلاد مليبار وبنكاله والجزائر الملحقة بها. حار يابس، يجلو الصوت ويقطع البلغم ويحل السعال البارد والربو وضيق النفس

رياح الغليظــة والمغص ويقطع البلغم ويجلو البهق والبرص. وينبت شعر داء ثعلب ويجبر الداحس ويزيل بياض الأظفار. وإن طبخ في الدهن أذهب لخدر والرعشة والفالج ويقع في الاكحال فيجلو الظلمة والبياض والظفرة، ويحد بصر ويذكي ويقوى الحفظ. وله منافع أخرى وفيه قوة ترياقية.

— الفوفل —

ومنها «الفوفل» ثمر مستدير عفص قابض. يؤخذ من شجرة كشجرة النارجيل. نباته بلاد دكن وأرض بنگاله وبعض بلاد أخرى من الهند. بارد يابس، ينفع ن أمراض الفم المزمنة ويشد الأسنان واللثة ويحل الأوجاع ويقطع العرق ويصلب عصب ويقع في الطيوب. وأهل الهند يكسرونه ثم يجعلونه جزءاً من أجزاء ن ويأكلونه كما فصلناه فيما قبل.

— القاقلة —

ومنها «القاقلة» هو الهيل والشوشمير. حب في أصل نحو ذراعين أو ثلثــة رع، عريض الأوراق حسن الرائحة حادها وهو على صنفين: الكبار والصغار. نباته أرض دكن وبلاد گجرات. حار يابس، يطيب الفم ويزيل البخر والروائح كريهة ويرد المعدة والكبد والرياح الغليظة. وينفع من الصرع والقي والسدد فرح تفريحا عظيما. والصغير في الهضم أجود.

— القرفة —

ومنها «القرفة» توجد في بلاد مليبار. وهي حطبهم هنالك يوقدون النــار وذلك لكثرة تلك الشجرة في بلادهم. ويقال لها سليخة وتج. حار يابس، الأورام البـاردة والرياح الغليظة ويقوى الدماغ والكبد والمعدة والانثيين د البصر ويدر البول ويقطع البلغم وينفع من السعال والنزلة والزكام.

— كاثـر —

ومنهـا «كاثـر» وهو صمغ شجر يسمونه كهير، شجر عظيم خشبه صلب بجوهر حمر اللون، وورقـه كورق التمر الهنـدى. بارد يابس قابض مجفف حابس، يشد اللثة ويجفف القروح وينفع من القلاع واليرقان والبرص والجذام وفساد الدم وجريان المنى وكثرة الاحتلام، وقروح الأمعاء ومجارى البول وحرقته، والدماميل والبثور شربا وطلاءً.

— كاكڑا سينكى —

ومنهـا «كاكڑا سينكى» زهر شجر هنـدى كشجر الموز حار فى الأولى يابس فى الثالثة، ينفع من السعال وضيق النفس البارد والرطب، والفواق والقى واسهال الدم وفساد البلغم والبهق وغير ذلك.

— كالا بچهوا —

ومنها «كالا بچهوا» معناه العقرب الأسود. ثمر شجر، عريض الأوراق منبسط الافنانين. يعلو قدر قامة الانسان، تبدو فيه حبة قدر الجوز فيها جرم أسود كالعقرب شكلا. حار يابس، ينفع من البرص والجذام والأمراض السوداوية الخبيثة يخرج مادتها بالاسهال من أعماق البدن. جربته فى البرص غير مرة.

— كالى زيرى —

ومنها «كالى زيرى» بزر نبات هندى يعلو قدر ذراعين. زهره كزهر الهندباء وبزره يشبه بزره مع سواده وحرارته. حار يابس، ينفع من فساد البلغم وديدان المعدة والامعاء ويسكن الأوجاع الباردة ويحلل الأورام الصلبة. وغالب استعماله طلاءً وضماداً إلا أنه لا يخلو عن السمية.

— كثيله —

ومنها «كثيله» بفتح الكاف وكسر التاء الهنـدية، نبت مخضر الأوراق، زهره

أصفر وفيه أشواك. حار يابس. يسهل ويدر ويهضم، ويهلك الديدان وينفع من الربو والجرب المتقرح والجذام. ويخرج من بزره زيت، وله منافع غير ما ذكرناها.

– كنچال –

ومنها «كچنال» بفتح الكاف والجيم عجمى. شجر عريض الأوراق وزهر حسن المنظر على ألوان. وقيل تفتحه يطبخه أهل الهند مع اللحم وبدونه مع الابازير المعتاده. بارد يابس. يقبض ويجفف. ويقوى المعدة والأمعاء ويحبس البطن ويدفع الاسهال والديدان وحب القرع. وينق الدم والصفراء وينفع من الجذام والخنازير ونفث الدم والطمث والجروح الباطنية والمقعد.

– كرونده –

ومنها «كرونده» بفتح الكاف والراء المهملة. ثمر شجر هندى، يشبه شجر الليمون، وثمره يشبه النبشوق. وطعمه حامض مع العفوصة. بارد يابس. يسكن الصفراء والعطش ويشهى الطعام ويحبس الاسهال. وأهل الهند يربونه فى الخل فياكلونه فى أثناء الطعام.

– كريلا –

ومنها «كريلا» بفتح الكاف وسكون التحية. ثمر يشبه القثاء فى الجملة مع مرارته. وأهل الهند يدفعون مرارته بالغسل ويطبخونه مع الابازير المعتادة مع اللحم أو بدونه. حار يابس. يحلل الرياح ويقطع البلغم ويقوى الأعصاب والباه ويولد المنى. وينفع من جريان المنى ووجع المفاصل والنقرس البارد والاستسقاء والطحال واليرقان والديدان.

– كسوندى –

ومنها «كسوندى» بفتح الكاف وضم السين المهملة، ويسمونه كسونجى. شجر يعلو قدر القامة، ورقه كورق السناء، وزهره أصفر. حار يابس، ينفع من السموم

المشروبة، يعدل الأخلاط وينفع من السعال. وأصله مع الفلفل ينفع من لسع الحية.

— كسيرو —

ومنها «كسيرو» بفتح الكاف وكسر السين المهملة. ينبت فى الماء الراكد، ويكون أسود قدر الجوز وليه أبيض وهو شديد الحلاوة. بارد رطب مع القوة الترياقية والقابضة، يقوى القلب وينفع من الخفقان والهيضة والقئ والاسهال إذا أفرط، ينفع من السموم المشروبة واللاذعة وينفع من الطاعون شربا وطلاءً.

— گلو —

ومنها «گلو» بكسر الكاف العجمى وضم اللام بعدها واو، نبات من جنس اللبلاب يلتف على مجاوره. ورقه كورق اللبلاب وخشبه كخشب الاراك، وطعمه فى غاية المرارة، وهو مما لا يثمر. والمستعمل منه الخشب ويأخذون منه النشأ فيسمونه ست گلو. حار يابس فى الأولى، وقيل حار رطب، وأهل الهند يزعمونه باردا يابسا. ينفع من السعال واليرقان والقئ، ويقطع البلغم وينفع من الحيات بالخاصة، ويقوى الباه ويشهى الطعام ويولد المنى.

— كليان كاتهة —

ومنها «كليان كاتهه» بفتح الكاف، ينبت بأرض بنگالة فى بردوان وميدنى پور، وتكون ذا أشواك. حار يابس، ينفع من الأوجاع والقروح والاستسقاء وورم الطحال ونزول الماء.

— كمرك —

ومنها «كمرك» بفتح الكاف وسكون الميم وفتح الراء، ثمر هندى له ستة أضلاع، يصفر بعد ينعه ويحمض، وشجره كشجر الجوز. بارد رطب، يقبض ويقلع الصفراء وينفع من العطش المفرط والقئ والاسهال الصفراوى، مقارب فى

أفعاله كالريباس.

— كول كه —

ومنها «كول كه» بكسر الكاف وخفاء النون والواو وسكون اللام. ينبت فى الغدران كالنيلوفر. وورقه أعرض من ورق النيلوفر، وزهره أكبر من زهره. بارد رطب، ينفع من الحميات الصفراوية والبرقان والعطش المفرط، ويسكن حدة الصفراء ويقبض البطن ويحبس الدم الباسورى.

— كوانج —

ومنها «كوانج» بكسر الكاف، نبت يعلو قدر ذراع، له حبات فيها بزره. حار يابس، يحلل الأورام ويولد المنى ويغلظه ويقوى الباه.

— كومة —

ومنها «كومة» نبت، زهره قد يكون أبيض وقد يكون أحمر. حار يابس، ينفع من فساد البلغم والبرقان وأورام الأعضاء والبواسير ويقتل الديدان ويغلظ المنى. يستعمل فى الصناعة التكليبية.

— كوندنى —

ومنها «كوندنى» شجر عظيم، ثمره قدر فالسه. بارد رطب، ينفع من القلاع وبحة الصوت والسعال، ويقتل الديدان ويولد المنى ويغلظه ويلين الطبع. وله منافع أخرى.

— كويث —

ومنها «كويث» بفتح الكاف وكسر الواو. ثمر يشابه بيل وشجر كشجره. بارد يابس، يفرح، ويقبض، ويقوى القلب الحار والمعدة والكبد الحارين، وينفع من القلاع ووجع الحلق ويشهى الطعام ويقاوم سم الرتيلاء طلاءاً.

— كهرنى —

ومنها «كهرنى» بكسر الكاف وخفاء الهاء. شجر عظيم كشجر كالهل، وثمره كالفستق يصفر بعد ينعه. حار رطب، يفرح، ويقوى الأعضاء، وينفع من ثقل الرأس والغشى والعطش ويسكن هيجان الأخلاط والقئ وينفع من السعال وقروح مجارى البول وغير ذلك.

— كيتهه —

ومنها «كيتهه» بفتح الكاف. شجر عظيم له ثمرات قدر الرمان، يشابه بيل فى الجملة. بارد يابس، يفرح ويقبض، ويقوى القلب والمعدة وينفع من الذرب وهيجان الصفراء. وعصارة ورقه تنفع من الرمد الحار.

— لجالو —

ومنها «لجالو» بفتح اللام. يعلو قدر ذراع. ومن خواصه أنك إذا مددت إليه اليد لتأخذه تجمع أوراقه كأنه يخفى نفسه وإذا قبضت يدك تنفصل. وأهل الهند يزعمونه من الرسائن. بارد رطب، محلل، جال، منضج، مفتح، ينفع فى الأمراض الدموية والصفراوية.

— مالكنكنى —

ومنها «مالكنكنى» نبات يعلو قدر قامة ويشبه الدخن. حار فى الثالثة يابس فى الثانية مع الرطوبة الفضلية، يقوى الأعصاب والدماغ والحفظ وينفع من أوجاع المفاصل والنقرس وعرق النساء ووجع الورك. ودهنه ينفع من الفالج واللقوة والرعشة والتشنج الرطوبى والسعال وضيق النفس، ويقوى المعدة والكبد الباردين، ويقوى الباه للغاية.

— منڈى —

ومنها «منڈى» بضم الميم. نبات هندى كثير المنافع. ورقه كورق التوتيع

وزهره مدور أحمر ضارب إلى البنفسجية. حار رطب، مقو للاعضاء الرئيسة والقوى والأرواح والمعدة، محلل ملطف مفتح، مقارب فى فعله للدارصينى. وينفع من الخفقان والتوحش واليرقان وصفرة الوجه وكثير من الأمراض الصفراوية والسوداوية والرحم وحرقة البول والجرب والقوباء. وله منافع أخرى.

— مولسرى —

ومنها «مولسرى» شجر عظيم موزون. زهره شديد العطرية، بارد يابس، ينفع من الأمراض الدماغية. وعرقه يقوى الارواح ويفرح وينفع من الأمراض وثمره يمسك المنى. وعصارته نافعة فى الأمراض الدماغية.

— نارجيل —

ومنها «نارجيل» المذكور فى الفصول المتقدمة. حار يابس، مع الرطوبة الفضلية. يقوى ويسمن، ويولد الخلط الصالح، وينفع من الاسترخاء والفالج والجنون والماليخوليا وضعف الكبد والبواسير، ويولد المنى ويسخن الكلية. وله غير ذلك من المنافع.

— ناكيسر —

ومنها «ناكيسر» شجر عظيم كشجر الجوز. منبته پورنيه ورنكپور وغيرهما من بلاد بنگالة. والمستعمل منه زهره. حار يابس، يحلل الرياح ويقاوم السموم، وينفع من البواسير والديدان والجروح والقروح. وعطره حاد الرائحة يقوى الباه شرباً وطلاءاً.

— نيل كنتهى —

ومنها «نيل كنتهى» نوع من الأعشاب الهندية. حار رطب، ينقى الدم ويدر البول وينفع من الحمرة والنار الفارسى والبرص والجذام وسائر الأمراض الجلدية.

## — نيلوفر —

ومنها « نيلوفر » ويسمونه كرنب الماء. ينبت فى الغدران وزهره يطفو فوق الماء. بارد رطب، يقوى القلب والدماغ ويسكن الحرارة وينفع من الصداع والسعال والنوازل ويدفع خشونة آلات التنفس. وأصله حار يابس، ينفع من قروح الأمعاء ويغلظ المنى. وله غير ذلك من الأفعال والخواص.

## — نيم —

ومنها « نيم » بكسر النون. شجر هندى كثير المنافع، بارد فى الأولى يابس فى الثانية، وقيل حار رطب فى الأولى. والمستعمل منه زهره وثمره وورقه وخشبه وبالجملة، فانه ينفع من اللقوة والفالج والاسترخاء وأوجاع المفاصل والاستسقاء ونزول الماء وقروح مجارى البول والجذام والقروح الخبيثة والساعية والجرب المتقرح والقوباء والبواسير. وله منافع كثيرة غير ما ذكرناه.

## — هار سنگهار —

ومنها « هار سنگهار » مركب من هار معناه القلادة، وسنگهار بكسر السين معناه الزينة. شجر حسن المنظر، يعلو ويرتفع. وزهره من أحسن أزهار الهند، يجعلون منه القلائد ويأخذون منه اللون العصفرى. بارد يابس، ينفع من الحيات العتيقة والحزاز والبواسير.

## ﴿ حيوانات الهند ﴾

أما حيوانات بلاد الهند فنها الخيل والبقر والجاموس والغنم والابل، والفيلة وهى عندهم كالابل عند العرب، والذى يستانس منه يعين صاحبه على اقتناص المتوحش، فيلهيه حتى يربط الصياد يديه ورجليه وكنيته ابو الحرمان وابو دغفل وبو مزاحم. وكنية اناه ام شبل. وهو عالى السمك عظيم الصورة بديع المنظر طويل

الخرطوم وسيع الأذنين طويل العمر ثقيل الحمل خفيف الوطء. وله نابان عظيمان يبلغ الواحد منهما مائة من وخرطومه قوى يقلع الشجر من أصوله. وفيه من الفهم ما يقبل أن يفعل ما يؤمر به من السجود للملوك وغير ذلك من الخير والشر فى حالتى السلم والحرب.

ومن الوحوش «الكركدن» وهو ذو قرن عظيم يقع على انفه. وهو يرعى النبات فى البرية ولا يوذى إلا إذا تهيج بالخوف، فانه حينئذ يسطو على الفيل والأسد والنمر وكل ما تعرض له. والصيادون يصيدونه راكبين الأفيال.

ومن الوحوش الضارة الأسد فى الجهات الغربية، والنمر. وأكثر وجوده على شواطئ نهر گنگا فى نواحى بنگالة.

واحمر الضوارى لا يتقى عن وحش ولا إنسان حتى أنه يخطف الفارس من على ظهر جواده ويسطو على الأسد إذا التقى به. وفيها يوجد الفهد والذئب والدب والضبع والخنزير البرى وأنواع القرود والثعلب وابن اوى.

وفيها أنواع الغزلان. ومنها صنف له أربعة قرون، اثنان منها طويلان واثنان قصيران. ونوع من النمس قد يالف البيوف فيحميها من الفار والحيات. وفيها التمساح وكثير من العقارب والحيات الخبيثة القاتلة وأنواع الضبات والحشرات. ولا شيء أشد ضررا من النمل الأبيض وهو نمل صغير لا يظهر للعين بل ينقر الاخشاب من داخلها ولا يترك منها قشرة رقيقة، ويفسد اثاث البيت وسقوفها ويتلف الكتب والأطعمة. وفيها من الطيور آلاف لا توجد سواها. ومن البرية الطاوس والببغاء وطير الجنة والديك البرى والحمام بأنواعه وغير ذلك.

## من أخبار الهند الثقافية

صرح معالى وزير المعارف أبو الكلام آزاد وهو يخطب فى حفلة رسمية أقيمت فى الخامس من أغسطس فى دهلى الجديدة بمناسبة افتتاح موسسة وطنية للفنون، وقد سبق أن افتتح معاليه قبل ذلك موسستين: الأولى للرقص والأغانى والتمثيليات، والثانية للادب، فقال:

«ان لدى الهند من المعالم والمآثر، ما تجعلها تباهى باتقان الهندسة وجمال الفن فى العمارة وتتحدى العالم باسره. وإن صناعة نحتها التماثيل تملك من النشاط الحيوى ومن اللينة للصياغ والتشكيل، ما يأخذ بلب الآخذ عليها والطاعن فيها فيعجب بها. وإن حذاقتها فى التصوير والرسم سواء تمثلها جدران «اجنتا»، أو تنطق عنها تماثيل مصغرة رائعة فى العصور الوسطى، فهى تراث ثمين ومتاع فاخر للعالم على كل حال».

وقال معاليه: «والذى أعتقده إن الفنون هى القوام للتعليم، على ما لها من الأقدار الجوهرية فى نفسها، فهى تخلق الشعور ودقة الشعور فى الناس نحو ذوق الجمال وفلسفة الجمال».

ثم استشهد بما اتفقت عليه منظمة يونسكو من القيام بادارة أقلمية فى «توكيو» تجعل الفنون والحرف كالجزء الجوهرى فى التعليم وفى الحياة الشعبية على وجه العموم. وقال: لتكن أمثال هذه الادارات من منظمة يونسكو على علم بمكانة الفنون من الحياة اليومية. فهناك فى الهند نعهد منذ أمد بعيد أن الحياة فردية كانت أو شعبية لم تزل مقومة بالفنون، نرى إمرأة عادية من القرى تتخذ عمليات تحسين المنزل وزينته داخل البيت وخارج الدار، وكذلك قروينا البسيط المحترف المتقن فى

فنه يرسم فيعمل نماذج يحـدها الفنان المتــدربون من أوروبا واميركا بلاد الاصطناع والتمويه.

وعسى من يقول سائلا عن الهند كيف اتيح لأهاليها ذوق للصنائع صادق، وطابع للفنون صميم! فنقول إن الصنعة الزاهية المزدهرة والنحت الجميل الرائع الذى نشاهده فى مبانيها الدينية. فالمعابد منذ أقدم الزمان ما برحت أماكن للعبـادة فحسب، وإنما عدت كذلك مراكز للفن والجمال. وإن المساجد الفخمة ذات ابهة وجلال شيدت فى العصور الوسطى فكانت عظمة الشرف والنبل تخالط تشيدها سلامة الطوية واخلاص النية. والرجل العادى الذى يمر على تلك المبانى الجميلة والآثار البديعة فى روحاته وغدواته لا يلبث أن يعود مطبوعا بالطابع الفنى الصميم.

وقال معاليه: إن البلاد التى بنت معابد «كونارك» و «برهدسور» أو شادت مقبرة «تاج محل» لا شك أنها كانت فوق تفكيراتها العالية تملك براعة فى الفن عديمة النظير. إن الرؤس التى حلمت بهذه الأبنية الجميلة فدارت فيها منها الافكار، وان الأيدى التى أنشأتها فسوتها وشكلتها، ثم التعضيدات التى حققت تلك الأحلام والأفكار بمعونتها المالية كل ذلك يجعلنا معجبين بها محببين حتى حين.

° ° ° °

أنشئت فى كلكتا نقابة رسمية للفحص والتنقيب فى ثقافة القبائل والعشائر المنبثة على نواحى كل أقليم من أقاليم الهنـد تعيش عيشة البداوة والاعتزال فى البيداء، وأنشئ لها مكتبة ومتحف حرصا على صيانتها وانهاضها، وان هذه النقابة ستضع لها الكتب المدرسيـة وتضع قاموسا كبيرا فى لغات القبـائل وكذلك تجمع أساطيرها وأناشيدهـا الشعبية. وانها تتصل باللغويين وبالأعضاء الممثلين عن القبائل فى مجـالس إقليمية.

° ° ° °

ستقام حلقة لدراسة لغات الهند الحاضرة فى أقرب وقت فى كلية «دكن كالج
پونا» بالتعاون مع «راكفلر فونديشن» فتقوم هذه الحلقة بالاحصاءات الجديدة
عن اللغات فى الهند، ثم تجمع معجما موسوعا للكلمات المشتركة بين اللغات.

* * * *

وفدت على الهند أربعة من البعثات الأجنبية من بورما وسيلان، واندونيسيا،
وفليپائن لدراسة المشاريع المرسومة للاعمار الريفى فى الهند والمعرفة بها، وقد
أشرفت للامم المتحدة على تنظيمها وهى تمكث فى بلاد الهند زهاء شهر تقوم
خلاله لعدة زيارات لبعض المناطق التى اشتملتها هذه المشاريع ومراكز تدريباتها.

# THAQĀFATU'L-HIND

(INDIAN CULTURE)

*PUBLISHED QUARTERLY*

in

MARCH, JUNE, SEPTEMBER and DECEMBER


## CONTENTS




**ANNUAL SUBSCRIPTION:** Inland Rs. 8. Abroad Sh. 8. **SINGLE COPY:** Rs. 2.

INDIAN COUNCIL FOR CULTURAL RELATIONS

PATAUDI HOUSE, NEW DELHI 1

PRINTED AT Q PRESS BY KHALEEL SHARAFUDDIN, 28 MUHAMMADALI ROAD, BOMBAY 3, AND PUBLISHED BY MR. S. H. BURNEY SECRETARY, INDIAN COUNCIL FOR CULTURAL RELATIONS, PATAUDI HOUSE, NEW DELHI 1.

# THAQĀFATU'L-HIND

(INDIAN CULTURE)

*A QUARTERLY ORGAN OF*
*INDIAN COUNCIL FOR CULTURAL RELATIONS*

**SEPTEMBER 1954**

# ثقافة الهند

يصدرها مجلس الهند للروابط الثقافية

# ثقافة الهند

تصدر أربع مرات فى السنة: مارس، و يونيو، و سبتمبر، و ديسمبر

---

الاشتراك للسنة: فى الهند : ثمانى روبيات فى الخارج : ثمانى شلنات

ثمن العدد الواحد: روبيتان

---

تطلب من

مجلس الهند للروابط الثقافية، پتودى هاوس، دلهى الجديدة نمرة ١

---

مطبعة «ق» بالهند
لصاحبها خليل شرف الدين، ٢٩ شارع محمد على، بمباى ٣
طبعت بأمر مجلس الهند للروابط الثقافية

# ثقافة الهند

يصدرها مجلس الهند للروابط الثقافية

المجلد الخامس — ديسمبر سنة ١٩٥٤ — العدد الرابع

## محتويات هذا العدد

# القواعد الذهبية البوذية

## "The Dhammapada"

« دهما پادا » معناه « كلمات الشريعة » وهو اسم لكتاب منظوم ينسب إلى بوذا العظيم نفسه. ومن المعلوم أن بوذا لم يؤلف كتابا قط، إلا أن ما لا ريب فيه أن « دهما پادا » احتوى على القواعد الدينية البوذية، ولا يبعد أنه سجل كثيرا من كلمات بوذا التى نطق بها فى مواعظه. وأسلوب الكتاب، حماسى، مؤثر، يخلب لب القارئ. وفيما يلى تلخيص وترجمة بعض أبوابه.

﴿ الباب الأول : الفكر ﴾

لسنا نحن إلا صنائع أفكارنا، فنحن كما فكرنا. والذى يفكر أو يعمل بنية سيئة، يتبعه الألم، كما تتبع العجلة أقدام الثور الذى يجر المركب.

أجل، لسنا نحن إلا صنائع أفكارنا، فنحن كما فكرنا. والذى يفكر أو يعمل بنية حسنة، تتبعه السعادة، كما يتبع الظل صاحبه، ولا يفارقه أبدا.

« إنه شتمنى، إنه ضربنى، إنه قهرنى، إنه نهبنى »

إن الذى يشغل باله بمثل هذه الأفكار، لن يتخلص من العداء والبغضاء.

وذلك لأن العداء والبغضاء لا يزولان بالعداء والبغضاء، ولكن الحب هو الذى يقضى عليهما قضاء باتا — إن هذا المبدأ قديم، كقدم الأرض والسماوات.

لا يعرف الناس أننا نحن إنما جئنا إلى هذا العالم لنصير إلى نهاية حتمية. وأما الذين يعرفون ذلك، تنتهى أحنهم ومشاجراتهم دفعة واحدة.

والذى ينشد اللذة وحدها، تاركا حبل حواسه على غاربها، همه فى المطاعم الشهية، وهو عاطل لا عمل له. ضعيف لا يستند إلى ركن شديد من الأخلاق الفاضلة، فنفسه تقلعه من مكانه. كما تقلع العاصفة الشجرة الواهنة من أصولها.

أما الذى يعيش غير منشد لذته، قابضا على زمام حواسه، مقتصدا فى مطعمه ومشربه، وهو صادق مستقيم فى عمله، فلن تستطيع نفسه أن تزحزحه عن سبيله، كما لا تستطيع العواصف زحزحة الجبل عن مكانه.

وإن من يرغب أن يرتدى الرداء الأصفر (للتنسك) قبل أن يطهر نفسه من الذنوب، وهو لا يبالى بالاعتدال والحق فى عمله، فهو ليس بأهل للرداء الأصفر.

ولكن الذى طهر نفسه من الذنوب، وهو مستقيم فى سلوكه، ملازم للحق فى عمله، فهو أهل للرداء الأصفر بلا مراء.

والذين يرون الحق باطلا، والباطل حقا، لا يفوزون بالحق أبدا، بل لا يزالون يجرون وراء الأهواء الباطلة حتى يأتيهم اليقين.

ولكن الذين يرون الحق حقا، والباطل باطلا، فهم يفوزون بالحق، ولا يزالون يجرون وراء الرغبات الحقة حتى يبشروا بالنعيم.

وكما ينفذ المطر إلى الدار المسقفة بسقف واهن، كذلك تنفذ الشهوات إلى العقل العاطل.

ولكن العقل المتفكر، لا تنفذ إليه الشهوات كالدار المسقفة بسقف قوى، فلا تجد الأمطار إليها سبيلا.

يتحب الشرير فى هذه الدنيا، ويتحب فى الآخرة. إنه يتحب فى كلتيهما، لأنه يرى بعينيه عاقبة سوء عمله.

أما الصالح، فيسعد فى هذه الدنيا، ويسعد فى الآخرة. إنه ينعم بالسعادة فى

كليهما، لأنه يرى بعينيه صلاح عمله.

والشرير يتعذب فى هذه الدنيا، ويتعذب فى الآخرة. إنه يتعذب فى الدارين. يتعذب عندما يفكر فى سوء عمله، ويزداد عذابه كلما توغل فى طريقة الرذيلة.

والصالح سعيد فى الدنيا، وسعيد فى الآخرة. إنه سعيد فى الدارين. يثلج قلبه عندما يفكر فى طيب عمله، ويزداد غبطة كلما تقدم فى طريق الفضيلة.

والرجل الطائش، وان كان يتلو نصوص الشريعة عن ظهر قلبه، لا حظ له فى الكهنوت، ان كان لا يعمل بالشريعة. مثله كمثل راعى البقار الذى يعيد أبقار غيره.

ولكن الذى يتبع الشريعة، وان كان لا يحفظ منها إلا أقلها، وهو قد هجر الكذب والشهوات، ونال المعرفة وراحة الضمير، وتحرر من رغبات الدنيا، فله حظه فى الكهنوت بلا ريب.

﴿ الباب الثانى : الجد ﴾

الجد، سبيل الخلود (Nirvana) والنزق، سبيل الموت. إن الجادين لا يموتون. أما أصحاب النزق وعدم التفكير، فهم كالأموات، وإن كانوا يتنفسون.

اعلم إن الراسخين فى الجد، يسعدون بالجد وبالعلم الصحيح.

إن هؤلاء العقلاء، المفكرين، الجادين، الأقوياء يفوزون بالخلود — بالسعادة العظمى.

إن كان صاحب الجد، يرفع نفسه، وهو ليس بمغفل، وعمله برىء من السوء، وسلوكه معتدل، وهو يعيش طبقاً للشريعة، فلا يزال يزداد رفعة على رفعة.

وفى وسع العاقل أن يخلق لنفسه بالجد والاعتدال والصبر، جزيرة، لا تطغى

عليها حتى السيول الجارفة.

والسفهاء هم الذين يتبعون الغرور. اما العاقل فيحرص على الجد ويراه أغلى بجوهراته.

لا تتبع الغرور، ولا تجرى وراء ملاذ العشق والهوى، بل ألزم الجد، لأن صاحب الجد ينال سعادة عظيمة.

ولما يطرد العاقل العالم، الغرور بالجد، يرتفع إلى شرفات الحكمة، ويلقى نظره على الحمق، وقد تحرر بنفسه من الأحزان، نعم ينظر من العلى إلى الجماهير الحزينة، كما ينظر الواقف على جبل شاهق إلى السهول المترامية تحت قدميه.

إن صاحب الجد بين الطائشين، واليقظ بين النائمين، والعاقل بين الحمق، يسبقهم فى سباق الحياة، كما يسبق حصان السباق، حصان الحمل.

وبالجد ساد «اندرا» جميع الآلهة، فأصبح ملكهم المطاع. والناس كلهم يمدحون الجد، وما زال الطيش والنزق مذموما.

والراهب الذى يغتبط بالجد، ويشمئز من النزق، يمشى على الأرض كالنار، محرقا سائر سلاسله الكبيرة والصغيرة.

والراهب الذى يجد الطمأنينة فى التفكر والتأمل، ويكره الطيش، فهو الذى لا يحيده شىء عن طريقه القويم، وقد قدرت له النجاة.

## ﴿ الباب الثالث: النفس الأمارة بالسوء ﴾

وكما يبذل مبرى السهام جهده فى أن يصنع السهم مستقيما، كذلك يجتهد العاقل أن يجعل أفكاره الطائشة المتشتتة، مستقيمة، وليس من السهل ضبط الأفكار وحفظها من الطيش والتشتت.

ومثل أفكارنا كمثل السمكة التى أخرجت من النهر وألقيت على اليابسة، فهى لا تزال ترتجف لتتخلص من «مارا» (Mara) — النفس الأمارة بالسوء.

ومن الخير تأليف الذهن وتذليله، والذهن لا ينقاد بسهولة، لأنه ميال إلى سائر الجهات وطيار فى كل الآفاق. إن ألقى حبله على غاربه. وإن الذهن المنقاد ليجلب السعادة لصاحبه.

وعلى العاقل أن يراقب فكره ويحافظ عليه، لأن الفكر محتال، ويصعب إدراك حيله، وهو يميل إلى حيث وجد سبيلا. إن الفكر المصون ليجلب السعادة لصاحبه.

ومن كبح جماح ذهنه الذى يطير بسرعة عظيمة، ويتجول وحده، وهو لاجسد له، فيتسرب بسهولة إلى شغاف القلب، فذلك الذى يتحرر من قيود «مارا» — النفس الأمارة بالسوء.

والذى لم يستقم إيمانه. ليس له علم بالشريعة الحقة. والذى لم ينعم بطمانينة القلب، فلن يجد إلى المعرفة الكاملة سبيلا.

إن كانت الأفكار غير متشتة، والذهن غير مرتبك، والقلب غير مشغول بالأمور، خيرا كانت أو شرا. فليس للمرء أن يخاف شيئا. إن ظل مراقبا لنفسه.

وإذا علمت أن الجسد سريع العطب كآنية من الفخار، وأن الأفكار قوية منيعة كقلعة حصينة. فعليك أن تهاجم «مارا» — النفس — بصلاح العرفان، فاذا قهرتها، فاياك أن تتركها وشأنها، بل لا بد من مراقبتها إلى النهاية.

وا أسفا! سيكون هذا الجسد الجميل مطروحا على الأرض، مجردا من كل إدراك وشعور، ككتلة من الخشب التى لا تنفع أحدا.

مهما يلغ ضرر العدو لعدوه، والبغيض لبغيضه، لا يلغ الضرر الذى يلحقه التفكير الخاطئ بصاحبه.

وإن التفكير الصحيح ينفع صاحبه نفعا، لا يرجى مثله من أبيه، أو أمه، أو أقاربه، وإن أراد وأرادوا ذلك.

## ﴿ الباب الرابع — الأزهار ﴾

من الذى يغلب على هذه الأرض، وعلى عالَم « ياما » (Yama) — سيد الراحلين ( الأموات ) وعلى عالم الآلهة؟ ومن الذى يكشف عن الصراط البين، صراط الفضيلة، كما يكشف الفطن النشط عن الزهرة الجميلة؟

إنه التلميذ الذى يغلب على الأرض، وعلى عالم « ياما » وعلى عالم الآلهة، وإن التلميذ هو الذى يكشف عن الصراط البين، صراط الفضيلة، كما يكشف الفطن النشط عن الزهرة الجميلة.

والذى عرف أن هذا الجسد كالزبد، وعلم أنه خدعة كالسراب، هو الذى يكسر سهم « مارا » — النفس — المغطى بالأزهار، ولن يواجه ملك الموت.

يجرف الموت بالذى يجمع الأزهار، وهو ذاهل الفكر، كما يجرف السيل القرية النائمة.

حقا، يقهر الموت ذلك الذى يجمع الأزهار، وهو ذاهل الفكر، قبل أن يشبع بشهواته.

وكما يمتص النحل الرحيق من دون أن يجرح الزهرة، أو يلحق ضررا بلونها، أو عطريتها، كذلك يجب على العاقل أن يعيش فى قريته.

وإنما العاقل من الذى لا يهتم بضلال الآخرين وذنوبهم، بل يهتم قبل كل شىء بسيئات نفسه، فيزيلها ليحيى حياة صالحة طيبة.

وإن الذى ينصح غيره ولا يعمل بنفسه بما يقول، فمثل كلامه الحسن كمثل

الزهرة الجميلة التى يبهر لونه الأبصار، ولكن لا رائحة فيها.

وأما الذى يفعل بما يقول، فمثل كلامه الحسن كمثل الزهرة الجميلة ذات اللون الباهر، والرائحة الساحرة الفائقة.

وكما يمكن صنع أنواع كثيرة من الأكاليل بكومة من الأزهار، كذلك يمكن القيام بأعمال جسام بالجسد إن رأى نور الحياة ولو مرة واحدة.

إن عطر الأزهار وشجرة الصندل لا ينتشر خلاف مهب الهواء، ولكن عطر أعمال الصالحين ينتشر خلاف مهب الهواء كذلك. إن حسن سمعة الصالحين يعم كل مكان.

كل زهرة لها رائحتها، ولكن رائحة الفضيلة لا يضاهيها عطر زكا، لأن رائحة الفضيلة تعلو وتعلو، حتى تصل إلى مشام الآلهة أنفسهم.

إن الذين أنعم عليهم بالفضيلة، وهم يعيشون بعيدين عن الطيش والنزق، وقد تحرروا بالعرفان الصحيح، فان النفس الأمارة بالسوء لن تجد إلى إضلالهم سبيلا.

وكما تنبت شجيرة السوسن التى تفوح بالعطرية، فوق الزبالة المتراكمة جنب الشارع، كذلك تبزغ شمس تلميذ بوذا العارف فوق زبالة الناس العمى الذين حرموا نور المعرفة.

## ﴿ الباب الخامس: الأحمق ﴾

ما أطول الليل للساهر الذى لا يأتيه النوم، وما أطول الطريق لابن السبيل الذى أنهكه التعب، وما أنغص العيش للاحمق الذى لا يعرف الشريعة الحقة.

إن لم يصادف المسافر فى طريقه مسافرا أعقل منه، أو مثله فى درايته، فخير له أن يمضى فى سفره وحده، لأن مصاحبة الأحمق إن لم تضره، فلن تنفعه أبدا.

«هؤلاء الأبناء لى، هذه الثروات لى» بمثل هذه الأفكار ينزعج الأحمق طول حياته. ومن الذى يقول للاحمق أنه بنفسه ليس ملك بنفسه. فكيف الأبناء الثروات؟

الأحمق الذى يعرف أنه أحمق، فهو عاقل نوعا ما، ولكن الأحمق الذى يؤمن بأنه عاقل، فهو الأحمق حقا.

إن عاش الأحمق مع العاقل طول حياته، لا يحس طعم الحق إلا كما تحس الملعقة طعم الحساء.

ولكن الذكى إن عاش مع العاقل ولو دقيقة واحدة من الزمن، يدرك طعم الحق كما يدرك اللسان طعم الحساء.

ليس للأحمق الغبى عدو أكبر من نفسه، لأنه يأتى بأعمال تلحق به اضرارا جسيمة.

الأعمال السيئة، وبال على أصحابها، ومغبتها الدموع والعويل. أما الأعمال الحسنة، فالسعادة منوطة بها لأصحابها.

الاثم لا يثمر بغتة، ولكنه يظل حيا كالنار المخبوءة تحت الرماد ويتبع صاحبه.

والسيئة، إذا افتضحت، تجلب العار والحزن على الأحمق، وتقضى على مسرته، وليس هذا فحسب، بل تفلق هامته.

ليحاول الأحمق كسب الشهرة، والسبق بين النساك، والسيادة على المحافل الدينية، وامتلاك قلوب الناس؛ ولكن كل هذا غرور لا طائل تحته.

هنالك طريقان: طريق إلى الثراء وطريق إلى النجاة — والناسك الحق، تلميذ بوذا الرشيد، هو ذلك الذى لن يحيد عن طريق النجاة إلى طريق الثراء.

## ﴿ الباب السادس — العاقل ﴾

إن صادفت رجلا يدلك على الخير، ويحذرك عن الشر، ويلومك على

خطأك، وهو عاقل، فصاحبه واتبعه كما تتبع الذى يدلك على الكنز المدفون.

إسمح له بتوبيخك. واقبل نصحه. وأطعه فيما يمنعك من الشر. لا ريب إن المحسنين يحبونه والمسيئين يمقتونه.

لا تصادق الأشرار والسفلة. صادق الصالحين. إنتخب من بين الناس أحسنهم لصداقتك.

الشريعة هي السعادة بعينها. فالذى أشرب قلبه بحبها والعمل بها، يعيش سعيداً مطمئناً، لأنه يعيش طبق الشريعة التى علمها « المختار » (وذا).

وكما لا تزلزل العواصف، جلمود صخر. كذلك لا يفقد العاقل اتزان عقله أمام مدح المادحين وذم الذامين.

إن العاقل بعد علمه بالشريعة يصبح رصيناً كالبحيرة العميقة الرائقة الهادئة.

يسير المرء الطيب باحتراس فى جميع الظروف. ولا يتكلم لارضاء لذة جسدية. ولا يفقد اتزانه العقلى فى السراء والضراء. فلا يبدو جزلا ولا كئيبا.

والذى لا يشتهى لنفسه ولا لغيره ولدا، أو ثروة، أو سيادة، والذى لا ينشد لنفسه ولا لغيره النجاح بطرق غير مشروعة، فهو المرء الطيب، الرشيد، الفاضل بلا ريب.

إن قليلا من الناس يصل إلى الشاطىء الآخر من بحر الحياة، فيسعد بالنجاة، وأما الأكثرية منهم فتظل تائهة على هذا الشاطىء، فتبوء بالخيبة والخسران.

ولكن الذين يتبعون الشريعة بعد أن ذاعت وشاعت، فهم يجتازون وادى الموت بسلام، مهما حزنت مسالكه.

وعلى العاقل ان ينبذ هذه الحياة العادية المظلمة، ويختار حياة النسك والرهبنة.

وليحاول بعد أن يودع بيته ويستقر فى خلوة أن يشعر بالسرور حيث يصعب هذا الشعور. ليترك العاقل سائر المسرات وراءه، وينفض يده من كل شىء كان يراه ملكه، ويزيل عن فكره كل ما يقلق باله.

حقا، إن الذين فازوا بأصول المعرفة السبعة، والذين يجدون السعادة فى التحرر من سائر العلائق الدنيوية، والذين تغلبوا على شهوات أنفسهم، والذين امتلئوا بنور العرفان، فهم أحرار حتى فى هذه الدنيا.

## ﴿ الباب السابع — الوقور المكرم ﴾

لا حزن ولا ألم للذى أتم سفره، وهجر الكآبة، وحرر نفسه من سائر العلاقات، وطرح بعيدا جميع القيود والسلاسل.

إنه ينعم بأفكاره المجتمعة، وإنه لا يخلد إلى مسكنه، بل يتركه غير آسف. كالأوز الذى يطير من بحيرته إلى بحيرة أخرى.

والذين لا يملكون المال، ويعيشون على الغذاء المشروع، مدركين الحرية التامة (النجاة) يصعب على الناس فهم طريقهم، كما يصعب فهم طريق الطيور فى طيرانها.

وحتى الآلهة تغار على الذى أخضع مشاعره لارادته، فجعلها منقادة كالحصان الذى ربته يد الفارس المدرب، والذى تجرد من الزهو والخيلاء، وتحرر من سائر أنواع الجوع، فمثل هذا المرء الذى يقوم بواجبه حق القيام، تراه متواضعا كتواضع الأرض، أو عتبة البيت. لا ريب إنه كالبحيرة التى خلت من الوحل، وإنه قد أمن إن تكرر حياته بعد الموت. (أى يفوز بالنجاة، فلا يرد إلى الحياة بعد موته على قول القائلين بالتناسخ).

العرفان يخلع على صاحبه الوقار، فهو مؤقر مكرم فى أعماله وفى أعين الناس.

إن الذى تحرر من سرعة التصديق، وهو يدرك الحق، وقطع سائر علاقاته، ونبذ جميع الرغبات، وهجر سائر الأهواء، فهو أعظم الرجال حقا.

أينما حل الوقور (الناسك العارف) فى الصومعة، فى الغابة، على البحر، على اليابسة، فذلك المكان يتلألؤ نورا.

أجل، تمتلأ الغابات سعادة، حيث لا يشعر الناس بالسعادة، ولكن الناسك يجد بها السعادة، لأنه لا ينشد لذة مادية.

## ﴿ الباب الثامن — الألوف ﴾

إن الكلام الذى يحتوى على ألف كلمة لا طائل تحتها، خير منه كلمة واحدة من الحكمة، سمعها إنسان فانتفع بها.

وإن المنظومة التى تحتوى على ألف بيت لا طائل تحتها، خير منها كلمة شعرية، سمعها إنسان فانتفع بها.

كلمة واحدة تنفع بها غيرك، خير لك من ألف منظومة لا ينتفع بها أحد.

ذلك ينتصر فى الحرب ألف مرة، ويتغلب على ألف بطل، ولكن هذا يحارب نفسه ويتغلب عليها، فهذا هو أعظم الفاتحين.

إن تمكنت من قهر نفسك، فخير لك من أن تقهر الناس قاطبة، والآلهة نفسها لا تستطيع أن تحرم من ثمرة الانتصار من انتصر على نفسه وعاش قابضا على زمام مشاعره.

إن عشت مائة سنة، وما زلت تتقرب إلى الآلهة بألف قربان كل يوم، خير منه بكثير إن قدمت ولائك للعارف الكامل.

إن الذى يرحب دائما بالمسن ويحترمه، يزداد فى أشياء أربعة: العمر،

والحسن، والسعادة، والسلطان.

ولكن الذى يعمر مائة سنة منغمسا فى الشرور والشهوات، خير منه الذى عاش يوما واحدا فى الصدق والفضيلة.

إن يوما واحدا من حياة العاقل المتأمل، خير من مائة سنة يعيشها الجاهل الشرير.

﴿ الباب التاسع — الشر ﴾

على الانسان أن يجرى إلى الخير، ويصد أفكاره عن الشر، والذى يفعل الخير متوانيا كسلا، يتسرب إلى قلبه الشر.

إن وقعت فى الأثم مرة، فلا تعد إليه. لا تفرح بالاثم، لأن تراكم الآثام، شقاء.

وإن عملت خيرا مرة، فعد إليه، واسعد به، لأن تراكم الخير، سعادة.

والشرير كذلك ينعم فى حياته، حتى يثمر شره، فاذا أثمر شره، فعند ذلك يشقى الشرير.

والمحسن كذلك يصادف الشقاء فى حياته، حتى يثمر صلاحه، فاذا أثمر صلاحه، فعند ذلك يسعد المحسن.

لا تستخف بالشر، فتقول إنه لا يصلنى وشيكا، ألا ترى الماء المتقاطر يمتلئ به الاناء مهما كان كبيرا، لأن القطرات المتوالية إذا اجتمعت، أصبحت شيئا كثيرا.

وكذلك لا تستخف بالخير، فتقول إنه لا يصلنى وشيكا، فان أعمال الخير، مهما صغرت، إذا اجتمعت، أصبحت خيرا كثيرا.

إجتنب الشر بكل جهدك. كما يجتنب التاجر الطريق الخطر، إن غلت بضاعتــه وقل رفاقه. وكما يجتنب السم الذى يحب الحياة.

لا حرج على الذى ليس بيده الجرح أن يمس السم، لأن السم لا يؤثر على من ليس بيـده الجرح. كذلك لا يؤثر الشر على من لا يرتكب الشر.

والذى يؤذى المسالم. الطاهر. المعصوم. فان الأذية ترجع على رأس المؤذى، كالغبار الذى يعود على الذى يثيره.

كثير من الناس يعودون إلى الحياة بعد مماتهم مرارا وتكرارا. والأشرار يدخلون الجحيم. والأبرار يذهبون إلى الجنـة. والذين تحرروا من سائر رغبات الدنيـا، ينالون النجاة الأبدية. فلا يعودون إلى الحياة الدنيا.

ليس فى السماء. ولا فى أعماق البحار. ولا فى ظلمات الكهوف الجبلية، ولا فى العالم بأسره مكان. يأوى إليه الأثيم من مغبة إثمه.

ليس فى السماء. ولا فى أعماق البحار. ولا فى الظلمات الجبلية، ولا فى العالم بأسره مكان. يلجأ إليه الانسان فينجو من الموت.

﴿ الباب العاشر — العذاب ﴾

يخشى النـاس كلهم العذاب ويرتعـدون منه. ومن منهم لا يخاف الموت؟ فعليك أن تتذكر دائما أنك واحد منهم. فلا تقتل أحدا، ولا تسفك دما.

يخشى الناس كلهم العذاب، ويحبون الحياة، فعليك أن تتذكر دائما إنك واحد منهم، فلا تقتل احدا، لا تسفك دما.

والذى يقتل أو يعـذب حيا ليشبع لذته، لا يرى السعادة بعـد موته، لأن سائر الأحياء يحبون الحياة، وينشدون التمتع بها.

والذى لا يقتل ولا يعذب حيا ليشبع لذته، يرى السعادة بعد موته.

لا تشتم أحدا، فيشتمونك. إعلم أن الناس يعاملونك كما تعاملهم.

وإنك إن ملكت لسانك، فصنته من هجر القول، فالنجاة مضمونة لك.

وكما يسوق الراعى بعصاه البقرات إلى مرابطها، كذلك العمر والموت يسوقان حياة الانسان إلى نهايتها.

والأحمق لا يعرف ما ارتكبه من الخطايا، ولكن الشرير يحترق بآثامه، كما يحترق بالنار.

والذى يؤذى من لا ذنب له، يبتلى بواحدة من هذه البلايا العشرة:

الآلام الشديدة، الخسائر الفادحة، الجروح الجسدية، الأحزان المضنية، الجنون، سخط الملك، التهمة الفظيعة، فقد الأقرباء، تلف الخزينة، وأدهى من كل ذلك، تنزل الصاعقة على بيته فتدمره وتحرق صاحبه، وبعد أن يحترق الجسد، يدخل الشرير الجحيم مذموما مدحورا.

والذى لم يتمكن من قهر نفسه، فلا شيء يطهره، لا العرى، ولا الشعر الملبد، ولا الوساخة، ولا الصوم، ولا الاستلقاء على الأرض، ولا دلك الجسد بالرماد، ولا الجلوس بلا حراك.

ولكن الذى قهر نفسه، وملك أهوائه، وهو نقى السريرة، لا يتتبع عورات الناس، فهو «البرهمن» حقا، وهو الناسك الراهب بلا مراء، وإن ارتدى اللباس الغالى وعاش برخاء.

أ لا ينبغى لك أن ترتدع من الذنوب اشمئزازا من العار الذى يلحقك إن اشتهرت بين الناس بسوء الأعمال، كما يشمئز الحصان الكريم المنبت من السواط؟

---

(له بقية)

# إلى الأدب العربى

الدكتور زبيد احمد تعريب عبد الحميد نعمانى

## من الشعر العربى

كثيرون من قرضوا الشعر العربى ولكن ليس لنا بذلك أن نأمل فيهم أنهم بلغوا فى هـــذا القسم من الأدب أكبر درجات أو أكبر تفضيل. فقد بدأت الهند بدراسة العربية والاعتناء بها أيام أن فقدت بلاد النـاطقين بها نفسها من الشعر العربى روعته وطلاقته. وكان من أقصى الاجادة وأكبرها عند شعراء الهند أن يأتوا بالكلمات المنمقه والتعبيرات الزاهية الجميلة ولا غير.

والشعر العربى، نشأ فى الهند ونمى ثم ترعرع وازدهر شأن الشعر الفارسى تحت ظل من تعضيـدات الملوك، وشغف الأنجال، وتقدير من الأعيان والأمراء على غالب الأحوال. وحيث كان ملوك الهنـــد المسلمون ناطقين بالفارسية فبالطبع كانوا أكثر متعة وأوفر حظا بالشعر الفارسى. وبما أن الشعر العربى عدم اتصال الحكم والاعتـناء الملكى، ولم ينل من أعيان الدولة تعضيدا ولا من أمراء البلاد تشجيعا كما نال الشعر الفارسى، فقد قل قارضوه وضاق نطاق نشاطهم الأدبى، مع أن حكومات گجرات وملوك دكن، دعت ودعوا القطر العربى أن يبعث إليها وإليهم بشعرائه وعلمائه، فلا نجد من شعراء العربية إلا ما يعد على البنان ولا نقرأ فى التاريخ عنهم غير الذكر عن وجود البعض فى حاشية الملوك، دون أن نعلم منهم الأسماء والأحوال ــ وأما الشعر الفارسى فقـد اتسع له المجال ورحبت به الدار، فكثر الوافـدون من بلاد الفرس إلى الهند من الشعراء والعلماء.

ثم إن الأسرة الحيدروسية القاطنة فى أحمد آباد التى كانت على اتصال بالقطر

الجنوبى من البلاد العربية قد دعت فى بداية عهدها عديدا من العلماء والشعراء وإنك تقرأ فى كتاب «نور السافر» عن أحوال أمثال هولاء الشعراء ولكنهم لم يلبثوا فى الهند إلا أياما معدودات ثم عادوا أدراجهم. ولا شك أن مليبار أنجبت من الشعراء، وكانت ولو حقبة من الزمان، للعربية مكان شمال الهند للفارسية ولكننا لا نعرف منهم غير محمد بن عبد العزيز الذى قرض المثنوى العربى الموسوم «بالفتح المبين للسامرى الذى يحب المسلمين» وسنتكلم عنه فيما بعد.

وهناك شعراء عربيون آخرون الذين اتخذوا الهند لهم مستقرا كابن المعصوم وأبيه نظام حسن بن شادكام واضع كتاب «زهر الرياض» وأولاده. فهولاء كلهم كانوا متصلين بالبلاط الملكى إما فى گجرات وإما فى دكن. وتجد فى كتاب «سلافة العصر» من أحوالهم وأشعارهم على وجه الاجمال.

ونقدم فيما يلى الشعراء الذين برزوا فى الشعر العربى وامتازوا، طبق أدوار التاريخ وعاشوا فى الهند أهالى كانوا أم أجانب.

فأقدمهم مسعود بن سعد بن سلمان، ويعرفه الناس شاعرا فارسيا أكثر من قارض عربى، وكان من أهالى همدان، وإن أباه قضى من عمره ستين عاما فى حاشية ملوك غزنة مشتغلا فى لاهور بمراكز هامة ومناصب عالية وفى غيرها من مدن الهند. ولد مسعود هذا فى لاهور وتربى هناك وتعلم، فكان عالما باللغتين العربية والهندية فوق براعته فى اللغة الفارسية، وقد ترك وراءه ديوانين لأشعاره العربية والهندية، ومن الأسف أن لعبت بديوانيه أيدى الضياع — ولا يخفاك ان «وطواط» أورد من أشعاره فى كتابه «حديقة السحر».

إن شعراء الفارسية والهندية هم كانوا أكثر إعجابا بالصنعتين «التورية» و «الأيهام» وقد راعى ذلك مسعود فيما قال:

وليل كأن الشمس ضلت ممرها ۞ وليس لها نحو المشارق مرجع
نظرت إليه والظلام كأنه ۞ على العين غربان من الجو وقع
فقلت لقلبي طال ليلي وليس لي ۞ من الهم منجاة وفي الصبر مفزع
أرى ذنب السرحان في الجو طالعا ۞ فهل ممكن أن الغزالة تطلع

فالتورية في ذنب السرحان والغزالة.

ثم يطلع علينا أكبر من أنجبتهم الهند من شعراء الفارسية «أمير خسرو» وكل سمعته تعود إلى شعره الفارسي. وكان يقرض بالعربية كذلك. فكم من أبيات عربية له في كتابه «إعجاز خسروي» المذكور فيما سبق. وكم من أشعار عربية له في ديوانه وفي كتابه «خزانة الفتوح». وقد عرفنا مما مضى أنه كان ولوعا بعلم البلاغة وقد اخترع بدائع شتى. وأنشأ قصيدة صدور أبياتها فارسية وأعجازها عربية. وإنه اعترف في مقدمة ديوانه المعنون بـ «غرة الكمال» أنه لا يبلغ في الانشاء العربي درجة تذكر وقال عن الشيخ شهاب الدين أنه شاعر هندي جليل يفوق مستواه الأدبي شعر الفرزدق والجرير. وهذا شهاب الدين بما وصفه أمير خسرو قلما يعرفه الناس. وقال شبلي النعماني عنه في كتابه «شعر العجم» إنه كان أستاذ الأمير خسرو.

وفيما يلي أبيات من قصيدة قالها أمير خسرو يمدح السلطان علاء الدين أيام ١٢٩٥ — ١٣١٥ بعد التشبيب:

في مهجتي سكنت محبتها كما ۞ مدح المليك المستعان الأعظم
أعني علاء الدين سلطان الورى ۞ ملكا تولد من سلالة آدم
عين الحيا بل عينه عين الحيا ۞ يم الندى بل كفه عين اليم
من جوده الفياض قد يحكي إذا ۞ نعب الغراب على رميم الحاتم
ما كان يعطش سيفه بقرابه ۞ إلا ويسقي من كؤوس جماجم
وشح لمدحتك العلية خسروا ۞ بالشعر ليس كمثله في العالم

كن بالخلود على الأرائك قاعدا ٭ فأنا أخصك بالبقاء الدائم

ثم الشيخ نصير الدين الملقب بـ «چراغ دهلوى» وكان من أتباع الشيخ الشهير نظام الدين أولياء. فمن أشعاره ما قال عن أستاذه شمس الدين يحيى يمدحه:

سألت العلم من أحياك حقا ٭ فقال العلم شمس الدين يحيى

ثم نستقبل القاضى عبد المقتدر الذى كان تلميذ الشيخ نصير الدين المذكور آنفا، وأستاذ شهاب الدين الدولة آبادى وكان شاعرا مجيدا أنشأ قصيدة على منوال لامية العجم كما كان عالما متضلعا، فمن قصيدته أولها:

يا سائق الظعن فى الأسحار والأصل ٭ سلم على دار سلمى وابك ثم سلى

ولا يخفاك ما فى البيت من «التجنيس» و «مراعاة النظير» و «الاشتقاق» و «التضاد» — ومن أبيات القصيدة:

عن الظباء التى من دأبها أبدا ٭ صيد الأسود بحسن الدل والبحل
أضحت إذا بعـــدت عنها كواعبها ٭ أطلالها مثل أجفان بلا مقل
فدى فوادى إعرابية سكنت ٭ بيتا من القلب معمورا بلا حول
بخيلة بوصـال المستهام بها ٭ والجود فى الخود مثل البخل فى الرجل
خيالها عند من يهوى زيارتها ٭ أحلى من الأمن عند الخائف الوجل
كيف السبيل إليها بعد أن حفظت ٭ بالبيض والسمر فى أعلى ذرى الجبل

(المعرب) يذكر الدكتور بعد ذلك عن العالم الجليل والشاعر الكبير أحمد تهانيسرى وقد ذكره صاحب «سبحة المرجان» فقال:

«هو عالم يشبه اللآلى تحريره، وشاعر يحكى السلسال تقريره، المقتبس للنور المعنوى، والمريد للشيخ نصير الدين الأودى الدهلوى قدس سره. ولما أخذ الأمير تيمور دهلى، وسمع نبذا من فضائله، وشم عرفا من صنادله، رغب فى الملاقاة

وتعطش إلى الموافاة. وبعد ما عاينه متحليا بفضائل أبهى من النجوم الزاهرة ومتصفا بشمائل أعطر من الأزهار الناضرة. اختاره للمجالسة واصطفاه للمؤانسة. وحين توجه الأمير من الهند إلى الروم. تأخر مولانا (أحمد) عن موكبه العازم إلى أقصى التخوم. ولما عاد الأمير تيمور من الهند. ولم يبق رونق دهلي على حالها. وتجاوز النسج عن منوالها. هاجر مولانا أحمد من دهلي إلى «كالپي» وقطن بهذا المصر الجامع واشتغل بتدريس العلوم. واستغرق في عبادة الحي القيوم إلى أن انتقل إلى أشرف الحضرات وارتقى إلى أرفع العتبات. ودفن في داخل قلعة كالپي. وله قصيدة دالية منها هذه الأبيات:

أطار لي حين الطائر الغرد ◦ وهاج لوعة قلبي التائه الكمد
وادكرتني عهود بالحمى سلفت ◦ حمامة صدحت من لاعج الكبد
بانت تورقني والقوم قد هجعوا ◦ ما بين مضطجع منهم ومستند
ما زار طرفي غمض بعد بعدكم ◦ ولا خيال سرور دار في خلدي
ليت الهوى لم يكن بيني وبينكم ◦ وحبله كان فينا غير منعقد
كانت لنا لب أيام وغرتها ◦ ولت سراعا على رغمي ولم تعد
كأنه لم يكن بين الحمى أنس ◦ إلى اللوى وكأنَ الحي لم تفد
لا عيش بعد ليلات الهوى رغدا ◦ ولا وصول إلى ذاك الحمى بيدي
خل الأحاديث عن ليلى وجارتها ◦ وارحل إلى السيد المختار من أدد
محمد أحمد الهادي لأمته ◦ إلى الصراط صراط غير ملتحد
بر، رؤف، رحيم، سيد، سند، ◦ سهل الفناء رحيب الباع والصفد
أفديك بالروح والقلب المشوق معا ◦ والنفس والمال والأهلين والولد
قد عاقني البعد عن مرمى أؤمله ◦ وطال شوقي إلى لقياك يا سندي
أرجو الوفادة في أرض حللت بها ◦ يا لهف نفسي إذا ما كنت لم أفد

عطفا على ورفقا بى ومرحمة ٭ فليس غيرك يا مولاى ملتحدى
يا رب صل وسلم دائما أبدا ٭ على النبى نبى الحق والرشد
وصحبه وذويه الطاهرين ومن ٭ أحبهم شغفا فى الغيب والعند
ما لاح برق وما سح الغمام على ٭ ربى الفلا فكساها حلة القتد
وما تغرد غريد على فنن ٭ غض الأرومة مخضل وملتبد »

وأجدر بالذكر بعد ذلك الشاه أحمد المتوفى ٩٢٨ — ١٥٢١ من چنديرى فى مالوه وكان شاعرا. وفيما يلى بيتان له ردا من الأشاعرة إلى الزمخشريين.

عجبا لقوم الظالمين تلقبوا ٭ بالعدل يا فيهم لعمرى معرفه
قد جاءهم من حيث لا يدرونه ٭ تعطيل ذات الله مع نفى الصفه

ثم يستحق الذكر محمد بن عبدالعزيز كالكوتى (من مليبار) الذى عاش فى المنتصف الثانى من القرن العاشر الهجرى، وكان شاعرا ولا نعلم عنه غير أنه كان من أسرة «معبر» العلمية، وأن أخاه زين الدين وضع كتاب تحفة المجاهدين المذكور فيما سبق، وأن أباه عبد العزيز كان قاضيا. وقد روى على المتقى عن عبد الحق الحقى فى كتابه «أخبار الأخيار» أنه لقيه وقدره أحسن تقدير، وكان جده عالما ذا خبرة، وضع رسالة منظومة فى التصوف والسلوك، وسماها كما ذكرنا عنها فيما سلف «هداية الأذكيا»، وأما محمد بن عبد العزيز الشاعر الذى نتكلم عنه، فقد وصف فى أنشودته كل ما وقعت بين «سامرى» وپرتكيز من نضال وقتال، وهى طويلة تستغرق خمسمائة وثلاث أراجيز سميت بـ «الفتح المبين للسامرى الذى يحب المسلمين». وإن مادة هذه الأنشودة هى نفس مادة كتاب تحفة المجاهدين بمزية النظم والنثر، والأخوان كانا معاصرين لكل ما حدث. وفى مكتبة «إنڈيا آفس» بلندره نسخة خطية لهذه الأنشودة فريدة. ولعلها لا تحمل من ناحية المغزى ما يحتفل به ولكنها على كل حال تملك من القرض جدارة، فهى من أولها إلى آخرها فى منتهى

البساطة وغاية الفصاحة. وها نقدم منها هنا بعض الأبيات لتعلم من نوعها. يقول الناشد بعد الحمد والصلاة:

فان هذه قصة عجيبة . في شرح حرب شأنها غريبة
واقعة في خطة المليبار . ومثلها لم يجر في تلك الديار
بين المحب المسلمين السامرى ، وبين خصمه الفرنجى الكافر
نظمت بعضها ومالك الملوك ، يسمع القصة سائر الملوك
لعلهم إذ سمعوا يفتكرون في الحرب أو لعلهم يعتبرون
لعلها تسير في الآفاق ، لا سيما في الشام والعراق
وليعلموا الهمة للسلطان ، السامرى المشهور في البلدان
صاحب كالىكوث المشهوره ، لازال من فضل الغنى المعموره
وهو محب ديننا الاسلام ، والمسلمين بين ذا الأنام
ناصر ديننا وبحرى شرعنا ، حتى بخطبته على سلطاننا

ونلتقى بعد ذلك السيد على خان ابن المعصوم أيام ١١١٧ هـ — ١٧٠٥ م الذى كان شاعرا مجيدا، وبديعيته هي أثمن مساهمة للادب العربى وأغلاها فى علم المعانى والبلاغة. وله شرح لكتابه «سلافة العصر» يذكر فيه عن بعض أشعاره.

(المعرب) قد يكون ما ذكره صاحب «سبحة المرجان» عن السيد على فى غير المحل ولكنه لا يخلو من المتعة والتاريخ. فاليك مما قال.

«هو من مشاهير الأدباء وصناديد الشعراء، بيته بشيراز بيت العلم والفضل والمدرسة المنصورية بشيراز منسوبة إلى جده، المير غياث الدين منصور، وهو مشهور مستغن عن البيان. والسيد على منسوب إلى جده القريب واشتهر بالسيد على معصوم. روى أنه لما أرادت أخت شاه عباس الثانى الصفوى زيارة الحرمين الشريفين

أمر شاه عباس السيد معصوم بذهابه مع الأميرة ليعلمها مناسك الحج. ثم لما وقع التعليم والتعلم فى أثناء الطريق، وكان هذا الأمر لا يتحصل من وراء الحجاب على وجه ينبغى، وقع فى خاطر الأميرة أن الكفوية ثابتة فلم لا ينعقد النكاح، وترتفع حيلولة الحجاب فانعقد النكاح. وبعد ما تشرفا بزيارة الحرمين المكرمين رأيا رجوعهما إلى الأوطان متعذرا مخافة شاه عباس، فتوطنا بمكة المشرفة وولد له من بطن الأميرة السيد أحمد، نشأ بمكة واكتسب العلوم وفاق الأقران، ولما أودع الله تعالى طالعه صعودا، هيأ سببه وهو أن المير محمد سعيد المخاطب بمير جملة وزير السلطان عبد الله قطب شاه والى حيدر آباد من بلاد الدكن أرسل مالا كثيرا إلى السيد أحمد والسيد سلطان من سادات نجف وطلبهما إلى حيدرآباد، وكانت له ابنتان فأراد أن يزوجهما بالسيدين، وكانت للسلطان قطب شاه أيضا ابنتان فقال السلطان أنا أحق بأن ازوج ابنتى بهذين السيدين النجيبين، فغضب مير جمله وارتحل إلى السلطان أورنگ زيب عالمگير، وزوج قطب شاه أحدى الابنتين بالسيد أحمد، وهيأ الأسباب لتزويج الابنة الأخرى، وكان على خاطر السيد أحمد غبار من السيد سلطان، وكان هو وزوجته لا يبغيان أن تزوج ابنة السلطان بالسيد سلطان فلما جاءت ليلة النكاح أرسل السيد أحمد رسولا إلى قطب شاه، وقال له إن وقع تزويج السيد سلطان فانا أشمر ذيلى على مخالفتكم وأذهب إلى السلطان أورنگ زيب عالمگير وأسعى فى هدم مبانى دولتكم، وشد الرحال وعزم على الارتحال، فتحير قطب شاه وجمع أركان الدولة وشاورهم ما يفعل فتقرروا أن السيد أحمد إن راح إلى السلطان عالمگير تقوم فتنة عظيمة، ولا بد أن لا يزوج السيد سلطان. ولما كانت أسباب التزويج مهياة وتضيع فى التاخير اختاروا أبا الحسن للتزويج، وكانت له قرابة بعيدة من قطب شاه، وكان ابو الحسن فى ذلك الوقت جالسا فى تكية بعض الدراويش، فطلبوه وأرسلوه إلى الحمام وخلعوا عليه خلعة العرس وعقدوا النكاح وخلوا عن المدافع أغنى الأتواب على ضابطتهم

والسيد سلطان جالس فى حمامه لا اطلاع له ولا للحاضرين عنده على ما صنعه الأقدار. فوقع السيد سلطان فى الاستفسار لما خلوا عن المدافع فقال الحاضرون بالقياس الوجه ظاهرة ان الليلة ليلة الزواج. فقال السيد سلطان الضابطة أن المدافع يخلى عنها بعد عقد النكاح فكيف خلوا عنها قبله؟ وأرسل أناسا للاستخبار فرجعوا وأخبروا بما أبصروا فاشتعل السيد سلطان فى الحمام غضبا وأحرق الأسباب التى هيأها للزواج وعقر الأفراس وراح إلى سلطان عالمگير. هذا وما جاء للسيد أحمد من ابنة قطب شاه ولد وتزوج قبل خروجه من مكة إلى الدكن بمكة وتولد السيد على بالمدينة المنورة وتركه والده فى مكة حين سافر إلى الدكن. هذا وما حررته من ترجمة السيد أحمد سمعته عن بعض الثقات. ثم وردت حيدر آباد سنة خمس وستين ومائة وألف ولقيت السيد أحمد المشهور بجمال صاحب بن السيد منصور بن السيد أحمد بن السيد معصوم وطلبت منه ترجمة السيد على معصوم فأخرج من كتبه سفينة فيها شيء من ترجمته وصورة ما فى السفينة هذه، ولد سيدنا ومولانا السيد على صدر الدين بن نظام الدين أحمد الحسينى الدشتكى ليلة السبت عند غروب الشمس خامس عشر من جمادى الأولى سنة اثنين وخمسين وألف بالمدينة النبوية على ساكنها الصلوة والسلام، وخرج من مكة المشرفة ليلة السبت لست خلون من شعبان سنة ست وستين وألف وكان وصوله إلى كلكنده (گول كنڈه) قلعة حيدر آباد يوم الجمعة لثمان بقين من شهر ربيع الأول سنة ثمان وستين وألف وخرج من حيدر آباد ليلة الاثنين ثانى عشر من شعبان سنة اثنين وتسعين وألف. انتهى ما فى السفينة.

ولما مات السلطان عبد الله قطب شاه وتملك أبو الحسن وتوفى السيد نظام الدين أحمد سعى أبو الحسن فى اتلاف أخلاف السيد أحمد وعين حراسا على بابهم منعوا عن الخروج والدخول فهرب السيد على عن الأسر وأرسل أبو الحسن فى

طلبه أناسا فجدوا فيه ولم يلحقوا به وإليه يشير السيد على بقوله:

وهبوا الجياد السابحات ليلحقوا ۞ وهل يلحق الكسلان شاو أخي الجد
فساروا وعادوا خائبين على وجى ۞ كما خاب من قد بات منهم على وعد

أثبت السيد على هذين البيتين فى نوع الاستتباع من كتابه أنوار الربيع فى أنواع البديع. ولما خرج السيد على عن الأسر جاء إلى السلطان عالمكير بدار السرور برهان پور فعطف عليه السلطان وأعطاه منصب «هزار وپنصدى» وثلاث مائة فارس كل واحد منهم صاحب فرسين ولقبه بسيد على خان وجاء فى ركاب السلطان إلى أورنقاباد (أورنگ آباد) ولما انتهض السلطان إلى أحمد نگر جعل السيد على خان حارسا على أورنقاباد وقام هو بالحراسة مدة ثم أخذ من السلطان حكومة ماهور وهى قلعة مشهورة من ديار برار ثم استعفى عنها والتمس من السلطان ديوانى برهان پور فقبل وأعطاه إياه وأقام مدة ببرهان پور على عمله ثم ترخص من السلطان إلى الحرمين الشريفين ووصل مع الأهل والعيال إلى الأماكن القدسية ثم إلى عتبات الأئمة بغداد، وسرمن راى، وكربلا، ونجف، وطوس، ثم إلى أصفهان وأدرك السلطان حسين الصفوى فلم يجد منه ما كان يرقبه من الالتفات فذهب إلى موطن آبائه شيراز وأقام بالمدرسة المنصورية وأتم ما بقى من عمره فى إفادة طلبة العلم وتوفى سنة سبعة عشر ومائة وألف وله مصنفات منها «أنوار الربيع فى أنواع البديع» و «سلافة العصر» وشرح الصحيفة الكاملة ومن أشعاره قوله:

ليس احمرار لحاظه من علة ۞ لكن دم القتلى على الأسياف
قالوا تشابه طرفه وبنانه ۞ ومن البديع تشابه الأطراف

وقوله:

ولما التقينا بالغوير عشية ۞ وفاز بما يرجو مشوق وشائق
تبسم من أهوى فقلت لصاحبي ۞ بلغت المنى هذا العذيب وبارق

ولاح فقال الصبح هذا تبلجى ٭ أيكذب هذا الصبح والصبح صادق
وفاح فقال الروض نافح عبقى ٭ وهل نفحت بالمسك قط الحدائق
وماس فقال الرمح تلك معاطفى ٭ متى أزهرت فوق الرماح الشقائق
وفاه بنطق خاله الدر نظمه ٭ وهل لفظ الدر المنظم ناطق
وأرخى أثيثا أوهم الليل لونه ٭ ومن اين لليل البهيم مفارق
وأبدى لحاظا أقسم الريم أنها ٭ لواحظه لولا السهام الرواشق
وكلهم قد كاد يحكيه مشبها ٭ ولكن من أهوى على الكل فائق

يذكر الدكتور بعد ابن المعصوم علامة عصر، عبد الجليل البلكرامى ١١٢٨ — ١٧١٥ م، وبما أن ماخذ مقالته هو كتاب «سبحة المرجان» نقدم للناظرين ما يتعلق به مباشرا بدل ما نقله الدكتور عنه.

ويقول صاحب سبحة المرجان، السيد عبد الجليل بن السيد أحمد الحسينى الواسطى البلكرامى نور الله ضريحه هو جدى وأستاذى وفى النشأتين ملاذى كتبت ترجمته فى تسلية الفواد فأعل بها غليل الوراد. مولده ومنشأه بلكرام وهى قصبة عظيمة قريبة من قنوج وهى بلدة مشهورة مذكورة فى القاموس، يرجع نسبه إلى على العراق من نسل زيد الشهيد رضى الله عنه وهو علامة بارع وكوكب ساطع مرجع العلم بالطهارة وصاغ الزهد فى الأمارة توشح بحمائل التقى وتحلى بأساور السخا إلى مزايا أنى نظرت إلى أترابها عيون الفلك الدائر وسجايا اينما انفتحت على أضرابها جفون النور الناضر. فلما سمح الزمان بمثل هذا الجوهر العالى ولعمرى لقد روح بوجوده روح المقدم والتالى، ولد فى الثالث عشر من شوال سنة احدى وسبعين وألف بمحروسة بلكرام عمرها ذو الجلال والاكرام وحلته بها ميدان يوره ونشأ بهذه المعمورة ولما انفلق صبح شعوره ولاح وميض فى ديجوره، خرج فى طلب العلوم وعزم على أخذها ولو بالروم، وجاب طرقها طلق المحيا

رقصد تناولها ولو كان بالثريا فأخذ الكتب الدرسية عن الأساتذة ولقى جماعة من الجهابذة وأخذ الحديث عن قطب المحدثين منبع اللجج الطوامى مولانا السيد مبارك الحسينى الواسطى البلكرامى المتوفى سنة خمسة عشر ومائة وألف وهو أخذ عن الشيخ نور الحق الدهلوى وهو عن شيخه وأبيه الشيخ عبد الحق الدهلوى قدس الله أسرارهم وتأدب على الأستاذ المعنوى مولانا الشيخ غلام نقشبند اللكنوى روح الله روحه وتفنن فى العلوم العالية وعطر المحافل بروائح غالية لاسيما التفسير والحديث والسير وأسماء الرجال وتاريخ العرب والعجم وأما اللغة فحسابها فى بنانه كان القاموس كتب لسانه وأما الأدب فهو معدن جواهره ولجة عنابره عارفا بالألسنة الأربعة من العربية والفارسية والتركية والهندية تكلم بالألسنة الأربعة فى غاية الطلاقة وأنشأ فى كل منها أشعارا فى نهاية الرشاقة له قلم ألطف إشارة من بنان مخضب للحسان وأفصح عبارة من أهداب كحيلة للغزلان. واجتمع بالسيد على معصوم صاحب سلافة العصر بأورنقاباد فوجده السيد على فى أعلى رتب الاستعداد وقال والله ما رأيت لهذا السيد بالهند نظيرا لما ألفاه فى خمائل الأدب غصنا نضيرا ثم أسباب المعيشة لا بد منها للخاص والعام فان شغل الآخرة والأولى لا يتم إلا بالحضور التام لا سيما لمن كان صاحب الأهل والعيال ومتكفلا لخدمة جمع بالغدو والآصال، فسافر من الوطن إلى الدكن ولازم السلطان أورنك زيب وهصر غصنا مثمرا من روض رطيب. فوجده الملك فائقا وأعطاه منصبا لائقا وسلم له بخشيگرى ووقائع نگارى (أى تحرير الوقائع ووضع التقارير) بلدة گجرات من بلاد پنجاب سنة اثنتى عشرة ومائة وألف ثم عمل بخشيگرى وسوانح نگارى بلدة بكر وبلدة سيوستان وهما من بلاد السند سنة ستة عشر ومائة وألف فعمل فيها بالسيرة الحسنى من الديانة وتمسك بالعروة الوثقى من الأمانة وتقررت عليه هذه الأعمال فى الطبقات التى بعد السلطان أورنك زيب، كان الأمراء وأركان السلطنة من كل طبقة يهتمون بمراسم تعظيمه يعتنون بقواعد

تكريمه لثبوته فى مقام التقوى وسلامته من عموم البلوى ولا يجتمع الدنيا والدين إلا لمن سبقت له عناية رب العالمين فيقول فيه، وآتيناه فى الدنيا حسنة وانه فى الآخرة من الصالحين. وفى سنة ست وعشرين ومائة وألف عاد من بكر إلى شاهجهان آباد لا زالت مثابة للقصاد ولازم السلطان فرخ سير وقضى بميامن عنايته ما كان له من وطر.

ومن أشعاره:

فتاة ثغرها كالسين شكلا وكالميم المدور شكل فيها
هماسم وبا محيا حياتى ، إذا ما ذقته لا شك فيها

ويقول:

حبيبى قوس حاجه كنون وصاد يد ابن مقلة شكل عينه
لعمرى انه نص جلى ، على ان الرماية حق عينه

وقال مورخا لما فتح السلطان اورنگ زيب عالمگير انار الله برهانه قلعة ستارا من مشاهير قلاع الدكن لسنة احدى عشر ومائة ألف:

لما توجه سلطان الأنام إلى رب السموات فى تائيد اسلام
أقر إبهامه فى أصل خنصره لورد يا قادر فتاح أكام
فصارحين افتتاح الاسم مفتتحا حصنا لمن عبدوا أحجار أصنام
نظرت فى ألفات وهى أربعة ، من فوق إبهامه من غير أبهام
وجدتهن لعام الفتح حينئذ رقما على سنة من مد إبهام
لله تلك يد بيضاء قد نزعت ، للناظرين فيا للعجز السامى
هذا البديع من التاريخ أنشأه عبد الجليل بتائيدات إلهام

واعلم ان أهل الأوراد دأبهم حين يعدون وردا على الأنامل أنهم يبتدؤن

من أصل الخنصر والمورخ رحمه الله تعالى أراد باقرار الابهام فى أصل الخنصر شيأ زاد التاريخ حسنا وهو حدوث صورة سنة وكون ألفات الرقم فوقها كما هو دأب الناسخين فى الأكثر وإليه أشار بقوله رقما على سنة من مد إبهام ولعمرى ان هذا الجوهر ثمين لا يظفر بمثله إلا بتعريق الجبين، وذكر يوما عندى أن الوطواط أورد فى حدائق السحر فى أمثلة تاكيد المدح بما يشبه الذم قول البديع الهمدانى:

هو البدر إلا أنه البحر زاخرا ٭ سوى أنه الضرغام لكنه الوبل

ثم قال أنشد هذا البيت إبراهيم الغزى فى بلخ فحفظه وفكر أسبوعا أو زائدا عليه أن يقول مثله فلم يقدر عليه واعترف بالعجز وقال ما نظم قط أحد مثله قبل البديع ولم ينظم أحد مثله بعده ثم قال جدى عجبت من نفى التاكيد الذى نقله الوطواط عن الغزى ونظمت بيتا على منواله وزدت فيه مراعات النظير وهو:

هو القطب إلا أنه البدر طالعا ٭ سوى أنه المريخ لكنه السعد

يذكر الدكتور بعد ذلك عن السيد محمد ابن السيد عبد الجليل ١١٥٨ — ١٧٤٥ وكان شاعرا مجيدا وأديبا بارعا فيقول إن أرض بلكرام أنجبت عديدا من العلماء والشعراء عدا عبد الجليل السيد محمد ١١١٥ — ١٧٣٨ والسيد محمد يوسف ١١٧٢ — ١٧٥٨ والسيد غلام على آزاد ١٢٠٠ — ١٧٨٥ وسنذكر عنه.

وامتازت أسرة الشاه ولى الله فى دهلى فى براعتها فى العلوم الاسلامية وفى الأدب العربى والشعر العربى، فهو نفسه وأبو الشاه عبد الرحيم وولداه الشاه عبد العزيز والشاه رفيع الدين كلهم كانوا شعراء العربية ولقد قرضوا ما قرضوا من المنظومات والمقطوعات والقصائد. فما أجمل ما أنشد الشاه عبد الرحيم فى بحث الروح ردا لابى على سينا، ثم إن القصائد العربية التى أنشأها الشاه ولى الله فى مدح خير البرية قد نشرت ونالت من الناس قبولا عاما، وكذلك أنشد الشاه

عبد العزيز قصائد يمدح فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم. وأما الشاه رفيع الدين فقد زاد فى أنشودة جده على موضوع الروح بثلاثة مصاريع على كل بيتين منها.

وهناك شاعر آخر محمد باقر المتوفى سنة ١٢٢٠ — ١٨٠٥ وهو من مدراس وله ديوان عربى ولكننى لم أوفق ولا لنسخة واحدة منه فى أية مكتبة من المكاتب، وكان كاتبا خصيبا ترك وراءه عدة كتب وضعها.

ثم أكبر الشعراء فى الهند وأجلهم السيد غلام على آزاد وقد عرفت به فيما سبق بعض المعرفة. فله من الأدب العربى والشعر العربى عين ما لأمير خسرو من الأدب الفارسى وشعره منزلة. على أن أمير خسرو لم يكن هنديا بمعنى الكلمة بالتمام فقد وفد أبوه الهند من الفارس بينما آزاد هندى كليا فقد هاجر أسلافه إلى الهند قبل عدة أجيال.

ترك آزاد وراءه سبعة دواوين طبعت مقتبساتها باسم «سبعة سيارة» وأنشد القصائد أكثرها فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم لجمعها كلها فى كتاب بمفرده وسمى «تسلية الفواد» فهو حسان الهند حقا كما كان «خاقانى» حسان العجم.

نعم ليس لانشاد آزاد من إقبال خارج الهند ولا نرى له من أثر لأنه كان يعيش بين ظروف لا تسمح ولا تتيح فلم يكن من الميسور للهند ومصر ولا للبلاد العربية أن تتبادل بينها مبتكرات الأفكار كما كان معمولا بين ايران والهند أيام أمير خسرو وزد على ذلك أن كل قطر من الأقطار كان يتحيز ضد القارضين فى لغته من الأجانب وخذ لك مثلا ان الفارسية لا تعتبر ولا تقدر أبدا فضل القارضين فيها ولا جدارة منشديها من الأجانب. فهذا أمير خسرو وهــذا فيضى لم يلقيا من التحبيذ والتقدير فى البلاد الفارسية ما قد تمتعا به فى الهند وتركيا. على أن قصائد آزاد المدحية عند ما أرسلت إلى علماء المدينة المنورة أعجبوها وقدروها كل التقدير فعرضوها على الروضة الخضراء، وكان من بين المعجبين بها

الشيخ عبد الوهاب الطنطاوى المصرى الذى أخذ عنه آزاد فوائد جمة من الأحاديث النبوية فى مكة المكرمة، وعندما علم الشيخ أن كلمة آزاد هى رمز اسم الشاعر واعتاد الشعراء فى الهند وإيران بمثل هذا فقال مخاطبا آزاد «سيدى إنك من عتقاء الله».

ثم ان آزاد هذا كأنه ولدته أمه شاعرا فكان مفطورا على دقة الذوق فى الشعر ورقته. وكان ينشد الأشعار بالفارسية وله كتابان فارسيان يتداولهما العلماء إعجابا وأخذا يذكر فيهما عن الشعراء الفارسيين.

ومن الغرابة والعجب أن تاريخ آداب اللغة العربية للاستاذ بروكلمين بما تعرض لعديد منَ كتاب الهند ومصنفيها لا يذكر شيأ عن آزاد ولا عن كتبه عله لم يجد عملا من أعماله، فكتابه «سبحة المرجان» الوحيد من نوعه طبع فى بمباى طبعا حجريا سنة ١٨٨٥ وقد تكلمنا عليه فيما سبق.

وأنشد آزاد منظومة طويلة استغرقت ١٠٥ أبياتا وسماها «مرأة الجمال» يصف فيها كل عضو من أعضاء الحسناء من رأسها إلى أقدامها واختص لكل عضو بيتين، يقول العالم الجليل والكاتب الخصيب نواب صديق حسن خان المتوفى ١٨٩٠ عن هـذه المنظومة فى كتابه «نشوة السكران» و «مثل هذه القصيدة الحسينية مثل القصائد البديعات حيث شرع فيها الشيخ صفى الدين الحلى ثم جاء جمع من الفرسان وأطلقوا أعنة الأقلام وقد قال آزاد، لقد شرعت فى البنيان وأسست قواعد العمران فمن يجىء بعدى يزيد على هذا البناء ويرفعه إلى سابعة السماء إن شاء الله — وهذا أمر مرجو لكنى لم أقف إلى الآن على من زاد عليه بعد».

وفيما يلى أبيات من هذه المنظومة كأنموذج لمزايا آزاد فى شعره ولتعلم من نوعية المنظومة:

﴿ مطلق الحسن ﴾.

بى ظبية من أبرق الحنان ٭ من مثلها فى عالم الامكان

١

شمس تباهى بالسنا أمة لها ٭ وكواكب أخرى من الغلمان

﴿ الظفيرة ﴾

أظفيرتان على بياض خدودها ٭ أو فى كتاب الحسن سلسلتان

أو ليلتا العيدين أقبلتا معا ٭ أو من قصائدهم معلقتان

﴿ الجبهة ﴾

لله جبهتها المضيئة فى الدجى ٭ وهب الاله له علو مكان

هى نصف بدر كامل لكنها ٭ تربو على القمرين فى اللمعان

﴿ الحاجب ﴾

أبصر حواجبها وأدرك كنهها ٭ غصنان منحنيان وسط البان

أو كافران يشاوران ليوقعا ٭ آمالنا فى موقع الحرمان

﴿ العين ﴾

طرفا الحبيبة ماكران تمارضا ٭ وتغافلا عن رؤية الجيران

أو نرجسان على غصين واحد ٭ وهما بماء مسكر نضران

﴿ اللحظ ﴾

لحظ المهاة فتورها مستحسن ٭ يحكى أريج النرجس الريان

ترنو ونحن نخاف فتنة طرفها ٭ وقع المهند فى يد السكران

﴿ الكحل ﴾

أنظر إلى كحل على أهدابها ٭ هو جوهر لمهند ويمان

أو أبدع النقاش خطا حالكا ٭ ليزيد رونق دورة الفنجان

﴿ الأنف ﴾

الأنف سد بين طرفيها نعم ٭ هذان سيانان مختصمان

محراب حاجبه بناء رائق ٭ وهو العماد لذلك البنيان

﴿ الفم ﴾

وفم الحبيبة حقة محمرة ٭ فيها لآلى الماء والتبيان
ياقوتة مثقوبة لكنها ٭ بالثقب خالية عن النقصان

﴿ الشفة ﴾

شفة الفتاة عقيقة يمنية ٭ تشفى صدى الضمآن
رطبان كل منهما ذو حمرة ٭ متفاخر باللون والحلوان

﴿ الثغر ﴾

ما الثغر إلا كالطباشير الذى ٭ يطفى لواعج غلة اللهفان
أو أقحوان يرتوى من ريقها ٭ أو لؤلوء فى حقة المرجان

﴿ التبسم ﴾

بسمت شفاه حبيبتى أو لاح فى ٭ شفق وميض رائق البرقان
أو سلت الحسناء سيفا لامعا ٭ لتريق باسمة دم الولهان

﴿ اللمى ﴾

شفة المهاة عقيقة مسيها ٭ يحكى سواد شقائق النعمان
أو هذه ياقوتة كحلية ٭ فيها جلاء بصارة الانسان

﴿ اللسان ﴾

حسناء مقولها طلسم يحتوى ٭ دررا تدحرجها إلى الآذان
عين الحياة فم التى أحببتها ٭ ولسانها هو أحمر الحيتان

﴿ الحديث ﴾

حلو ومر قول فاتنة النقى ٭ متلبس بتخالف العنوان

فالحلو لمن تناول سكرة ، المر منه مدامة النشوان

( الخد )

خد التى برعت طلاوة وجهها ، وردا طريا من رياض جنان
الورد فى بستان غانية الحمى ، والنرجس الريان يجتمعان

( الخال )

الخال فى خد الحسينة عبرة كيف استقر الكفر فى الايمان
أو طاح فى الوقد الذكى فراشة ، أو عرج الزنجى فى المسيان .

وجملة القول أن الأنشودة تنتهى إلى خمسين مقطوعات يتضمن كل مقطوعة وصف عضو وصفا بليغا ويذكر الشاعر فى المقطوعات الختامية تاريخ إنشادها وكذلك يدعى فيها إبتكار هذا النوع من الشعر.

فيقول :

ما إن سمعنا مثلها عن شاعر آزاد للطرز المنشط بان

وهادونكم بعض أشعاره الأخرى اقتطفناه من دواوينه :

ألا لكل حسين الوجه أشباه ، ولا نظير لمن أهواه إلا هو

---

فرد جليل لا يشاهد مثله ، من ثم رؤيته شفاء الأحول

---

يا أيها الملك الرفيع جنابه ، لم يلف فى كل الورى لك ثان
ظل لرب العرش أنت وظاهر ، أن لا يكون لواحد ظلان

---

إن تبتغوا ماء الحياة فذلكم ، فى الهند لا فى موضع الظلمات

---

هى خمرة للشاربين كرامة ٭ إذ أنت تحسبها عقيقا ذائبا

---

السرو يرجو أن يميس كقده ٭ ويفوز فوق الأرض بالخطوات
والورد أمل أن يكون كخده ٭ فأتى يبسط الكف للدعوات

---

صدر الأماثل مولانا وسيدنا ٭ جنابه قبلة الانسان والملك
شم الجبال تعلت عنده سفها ٭ وما درت أنه أعلى من الفلك

﴿ مميزات شعر آزاد ﴾

(١) لم يكن من طابع الشاعر العربي الصميم أن يكثر في شعره من معانى التصور ومبتكرات التخييل فذلك مما أتى به المولدون وعلى ذلك فكانت صبغة آزاد فى شعره كالمتنبي غير صبغة الجاهليين أو المخضرميين من الشعراء، ثم إن الشعر الفارسى ما ازدهر أيام المتنبي ولم يتطور إلى درجة الكمال فلم يأخذ منه أبو الطيب ما نال آزاد. فالمتنبى أقدر على الملكة الشعرية وأعلم باللغة ودقائقها ولكن آزاد أكثر منه تخيلا.

(٢) كان آزاد ولوعا بالبدائع وقد اخترع عديدا منها كما أسبقنا بما اخترع به.

(٣) لم يكن للشعر الهندى ولا السنسكرتى أى تاثير على الشعر العربى قبل آزاد، نعم كان هناك شاعر أيام السلطان أكبر ينشد بالعربية وفق أوضاع هنديه ولكنه كان على حساب التسلية والترفيه ولم يكن عملا أدبيا — وإنما آزاد هو الذى أضاف إلى العربية بشعره محاكات هندية وسنسكرتية وعبر فى أشعاره عن بعض البدائع الهنديه بالعربية كما أوردنا عند التعليق على كتاب « سبحة المرجان ».

(٤) قرض آزاد فى كل صنف من الشعر الفارسى فأنشد الرباعى والمثنوى والمستزاد وما هو دون ذلك. والأرجوزة العربية المزدوجه هى تضاهى الرباعى

الفارسي من ناحية القوافي ولكنها نظرا إلى البحور والأوزان تختلف عن الرباعي، فاختار آزاد أوزان المثنوى الفارسي للاراجيز المزدوجة العربية، فكتابه «مظهر البركات» مثنوى عربي أنشده على أوزان فارسية واعتبر نواب صديق حسن خان هذا المثنوى عملا مجيدا من آزاد.

## حاتم الطائى فى الهند

لا شك أيها القارى العربى! إنك تعلم من حاتم شخصية عربية اشتهرت بين الناس بالسخاء، ولكنك لا تعلم منه ما تفنن به القاصون فى اللغة الفارسية، وأخذوا منه مادة للوضع والابتكار فى القصة. ثم إنك لا تعلم أن كاتبا هنديا أضاف إليها من الزيادات ما جعل قصة حاتم فى الهند كاحدى روايات البطولة العصرية الممثلة المشاهدة على الستار الفضى. وها دونك منها بعض المناظر، فتمتع بالخيال وروائعه ساعة، كما انت متمتع بالحقيقة منها وحدودها — المدير

كان فيما غبر من الزمان فى اليمن ملك يحكم البلاد بالأبهة والجلال حكما عادلا، وكان له من الجنود والقوات ما لا تعد، ومن الخزائن والثروات ما لا تحصى. وقد سعدت به الأيام إذ كانت ابنة عمه تقاسمه الحب وتشاركه الحياة. فزاد سعادة أن رزق منها ولد كالقمر المتلألأ فى سماء دولته. فدعى الكهنة والمنجمين يوم ولادته ليتأملوا فى طالع المولود ويعلموا من نصيبه، ففعلوا وأخبروا الملك إن القادم فى أقصى السعادة والتوفيق من طالعه وإنه سيمتلك الأقاليم السبعة ويوليها، ويعيش عيشة من يقضى حياته كلها لله وحده ساعيا وراء حاجيات العباد، فيدوم إسمه دوام الشمس إلى يوم القيامة. ما أن سمع الملك بذلك حتى خر ساجدا لله، شاكرا له على ما أنعم عليه. وانهال على الكهنة من العطايا حتى أغناهم. وسمى المولود «حاتم» ثم أمر أعيان دولته أن يبلغوا الشعب فى البلاد وينادوا فيهم كل مكان أن يبعث بكل من ولد يوم ولادة حاتم، إلى القصر

الملكي، فهم موظفون منذ أول يوم الحياة رسميون. وعلى الدولة أن تنفق عليهم على حسابها نفقات تربوية تحت الأشراف الملكي. وما هي إلا ساعات حتى أتوا بالذين ولدوا ذاك اليوم وكانوا ستة آلاف. فأدخلوهم قصر الملك حيث قام لهم الخدم بكل ما يلزم. وعينوا لكل واحد منهم مرضعة تشتغل به وتربيه.

وأما حاتم فخصصوا له أربع مرضعات مهتمين به مكترثين له ولشئونه كل الاكتراث. ولكن حاتم رغم جهود المرضعات. لم يمتص ولا حلمة واحدة منهن. وكان كلما حاولن ارضاعه، ازداد امتناعا. فأخبروا بذلك الملك. ففزع الملك قلقا ودعى المنجمين. فسألهم عما إذا كان الداعي لهذا الاضراب. فأجابوا إن هذا الولد، يا جلالة الملك! مطبوع على السخاء ومفطور على الايثار منذ صغره، فلا يهدأ له البال، إلا إذا ارتضع الأولاد. وإنه كذلك لا يأكل على مائدته وحدا ما يعيش على وجه البسيطة. فكان الأمر كما ظن المنجمون.

ولما بلغ أشده شب على الايثار، وعلى حب الانفاق في سبيل الله، وعلى التهالك وراء مواساة الأشقياء والبائسين. فذهب ينفق مما اختزنه أبوه من الفضة والذهب ومن الكنوز على الفقراء والمساكين بغير حساب، وكان يداري الحيوانات شفقة بها ورحمة عليها. فقد سنح له ذات يوم أنه خرج إلى الصحرا، وإذا بأسد ثائر يواجهه، وقف حاتم مكانه وقفة حائر فيما يعمل، هل يدفع عن نفسه فيطعنه بخنجره، أو يقدم له من لحمه وعظامه مأكله المرغوب؟ فاختار تضحية نفسه وخاطب الأسد قائلا «أهــلا وسهلا يا ضيفي! مرحبا بك يا عزيزي! لك مني نفسي وحصاني فاختر منهما ما تحلو وما تشاء. واشبع بما ترغب فيه بكل هدوء وسلام». فتأثر الأسد بما رأى في حاتم من الايثار والكرم، وارتمى بنفسه بين يديه يمسح بوجهه قدميه شاكرا له ثم مضى لسبيله.

طارت بذلك صيت حاتم وذاعت بين البلاد من أقصاها إلى أقصاها وأصبح

ياتيـــه الناس من أماكن نائية قاصدين إليه مدفوعين بما سمعوا عنه من مكارم الخلق وجمال الخلق.

وكان يحكم خراسان فى تلك الأيام، ملك مطاع ملأ البلاد أمناً وسلاما وأغناها رغـدا وثراء. وكان مضروب المثل فى حكمـه العادل، حتى كانت موارد الأسد فى أيامه مناهل الأغنام، لا يروعها ذعر ولا يغريها شره. وكان يسكن خراسان إذ ذاك تاجر كبير يدعى «برزخ» وكان شعبيا محببا لدى الناس، ومكرما عند أعيان الملك. فـا زال حتى شاخ وأصبح يشعر بالأجل المقـدر يقتربه رويدا رويدا. ولم يكن له من يرثه غير إبنته الوحيدة «حسن بانو» وكانت حديثة السن بلغت من عمرها الثانى عشر. فأورثها برزخ كل ما كان يملكه ثم وكل أمرها إلى الملك، صديقه الصميم منذ عهد قـديم. فقام الملك بأمرها خير قيام وعامل بها كاحدى بناتها غير محتفل بثروتها الطائلة وذخائرها النفيسة من اللآلى الفاخرة والأحجـار الكريمة وكل ما كانت تملك من الأمتعة والأموال.

ترعرعت حسن بانو وكبرت حتى بلغت سن الرشد. فـدعت مرضعتها يوما عندها وأفضت إليها:

«أمى الحنونـــ إننى أرى الدنـيا وما فيها فقاقيع فوق المـاء، لا تلبث أن تزول، فما لى وهذه الزينات والزخارف حولى، وما لى وهذه الأموال المبعثرة تحت أقدامى، وأنا وحيدة فى العالم، أليس لى من الصالح المعقول، أن أنفقها كلهـا فى سبيل الله، وأوزعها بين العجزة والمعوزين، وأن أعيش عازبـة بعيدة عن لطخات الدنيا وأرجاسها، وأقضى حياتى عابدة، ذاكرة، فى زاوية من زوايا البيت؟ أفتينى يا أمى يا عضدى فى حياتى! ما العمل؟ وما وجه العمل؟ وأرشدينى كيف أخلص نفسى من مأزق فكرة الزواج وما يتبعه»؟

فردت إليها بجيبة «لا تقلقى بالك يا فلذة كبدى ولا تحزنى فالحيلة محكمة الحيك،

تضمن لك ما تريدين لزاما، فعلق على بابك لوحا أكتبي عليه سبعة اقتراحات واشترطي لمن يحاول زواجك أن يأتي بالرد عليها. وأما الاقتراحات فهي:

(١) شاهدته مرة وأتمنى أن أراه أخرى.

(٢) أحسن والق حسناتك في البحر.

(٣) إساءتك إلى غيرك عائدة إليك.

(٤) لا يزال الصادق مأمونا مرتاحا.

(٥) الحكاية عن جبل النداء.

(٦) إحضار حبة درة تعادل بيضة بطة بحرية كزوج للدرة الموجودة حالا.

(٧) الحكاية عن حمام بادگرد.

برقت أسرة حسن بانو لما سمعت، فتبسطت، وارتاحت، وقالت في نفسها، ما أظن أن يجيب على هذه الاقتراحات أحد. فهدأت، وعادت معتكفة في زاوية تعبد الله وتذكره. ثم حدث أن صعدت يوما شرفة منزلها، وجلست تتفرج على الشارع المواجه لمنزله الممتد المنسق بالحوانيت بطرفيه، إذ رأت زحاما من الناس يتوسطهم «درويش» عليه مسحة الورع، يمر بكل وقار وله أربعون تابعا يفرشون له في سبيله اللبن من الفضة والذهب وقاوية أن تمس أخمص قدميه وجه التراب. احتارت حسن بانو بهذا المنظر واندهشت وأسرعت إلى المرضعة سائلة عن الدرويش الماشي بهذه الفخامة والجلال.

«من يكون هذا يا أمي! أظنه رجلا مبروكا وعارفا بلغ من السلوك والمعرفة أقصى الدرجات».

«إنه يا عزيزتي مرشد الملك وشيخه، يزوره الملك نفسه في كل شهر ثلاث

و أربع مرات على الأقل وهو يختلف إليه أحيانا وأنه ورع، تقى لا يدانيه أحد
فى ورعه وتقواه».

«فهل يسرك إذن أن نلتمس إلى فضيلته يوما أن يشرف منزلنا كضيف
محترم المقام»؟

«هنيئاً لك ما ترغبين فيه يا عزيزتى»!

فأرسلت حسن بانو إلى الشيخ تدعوه إلى بيتها، ورضى الشيخ وضرب لها الصبح موعدا. فما أن وطئ الرسول عتبه دارها يبشرها بالموعد حتى اهتزت حسن بانو فرحا وأمرت الطهاة أن يطبخوا من أشهى المآكل وألذها وأكدت الخدم أن يملاوا الصحون والصفحات من أطيب الأثمار الرطبة وأحلى الفواكه. وأن يضعوا من ألوان الحلاوى فى الأوانى الملونة المتلالئة وأن يجعلوا من الذهب والفضة ومن الدرر والأحجار الكريمة صررا وعلبا لتقدمها كلها منها هدية إلى الشيخ بمناسبة تشريفه إياها.

فلما أصبح، خرج الشيخ من داره ماشيا على الممر الذهبى كالمعتاد وبلغ بيت حسن بانو على الموعد المضروب، فدخل عتبه البيت حتى وصل القاعة المعدة للجلوس وكانت مفروشة بالبسط المطرزة المزركشة وأخذ مجلسه. فأتوا بصحاف وصحون وقصعات ملئت ذهبا وفضة وأقداح وعلب فيها حبات من الماس وعقيق ولؤلؤ ونفائس أخرى. ولكنه أبى أن يقبل منها لنفسه أى شىء وقال مالى وهذه البضاعات اللاهيات. فتقدم إليه الخدم وكانوا واقفين حول المجلس فى أجمل الأزياء وأبهى الحلل، حاملين بأيديهم أكواباً وأباريق فيها ماء عذب سائغ للشاربين ومد المائدة أمام الضيف المحترم وأتباعه، ثم رتبوا فوق المائدة من أصناف الأطعمة كل نوع ومن ألوان الحلاوى والأثمار كل قسم، والتمسوا إليه أن سيدتهم ترجوا أن يذوق فضيلته شيئا. فالتفت نحو المائدة وبدأ يلتقم منها متوسما فى

فأتى ما فى البيت ليبتلعها كما يبتلع الطعام. فكان يرفع يمناه باللقمة ونفسه تناجيه. إن برزخ كما تشهد به داره بأثاثها وجلالة شأنها كان يملك فى حياته ثروات السلاطين وكان يعيش عيشة الأمراء والملوك. فالفرصة سانحة لأن يذهب بكل الزخارف والثروات إلى بيته دون أن تنجلى ليلة ذاك اليوم. فأمسك عن الطعام وفرغت نفسه من تقدير الأوانى الذهبية وما فى داخل الأستار المزركشة المسدولة على الأبواب من أثث غالية وأمتعة فأخرة وقام مودعا بعد ما اعتبق من العطورات ومسح منها اللحية واللباس.

خرج الشيخ بما أضمر. ونام خدم حسن بانو مبكرين بما اشتغلوا طول النهار وبما أصابوا من لغوب وتعب. فما اعتنوا حتى باقفال أبواب المستودعات ولا بارجاع الأدوات واللوازم إلى مواضيعها المامونة فقد افترشوا من غير نظام وعادوا فى مضاجعهم كأنهم جثث هامدة وأموات لا حراك فيها فما مضى من الليل إلا قليل وخرج الشيخ من داره فاتبعه فى طريقه أتباعه الأربعون كالأسد المفترس الثائر وذئاب جياع قاصدين بيت حسن بانو فى ظلامة الليل ولقد صدق من قال: إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له. عن «لصوص» فى ثياب «شيوخ» ولج الشيخ فولجوا أبواب الدار. وأخذوا ينهبون من الأموال والأمتعة، وجرحوا بل قتلوا بعض المتنبهين من النوم المدافعين. كل ذلك وحسن بانو تنظر إليهم بعينى رأسها من شباك غرفتها، واشتد بها الأسف حيث عرفت الشيخ والاتباع تماما.

فلما أصبحت حملت بالمجروحين والذين قتلوا على سرر إلى قصر الملك صارخة تبكى وتنتحب بما فوجعت وشدة ما تألمت حتى أبلغ الحرسة إلى الملك ما دهاها فاذنت وقالت ماثلة بين أيدى الملك بعد ما حيت ودعت للملك عمرا خالدا وعدلا لا يزال:

«بالأمس دعوت هذا الدرويش يا جلالة الملك! وأتباعه إلى منزلى،

كضيوف محترمين، وأكرمت مثواه بكل اجلال، ولكنه دخل يتى قبح الله
وجهه فى جوف الليل بأتباعه دخول اللص الشرس القاتل فجرح من خدمى
وعمالى من زاحم وقتل منهم من قتل ثم نهب من مالى واستلب من أمتعتى ما
يفوق ثمنها ملايين جنيهات، فتبت يداه ويدا أتباعه الأشرار، لما ظلموا عاجزة مثلى
واعتدوا على خدمى المساكين».

ما أن سمع الملك بذلك حتى التهب غضبا وقال «هل فاقدة انت رشدك يا خرقاء،
يا مجنونة! إنك تفترين ذلك على من يزهد فى الدنيا بأجمعها وانه لولى من الأولياء».

فردت إليه قائلة «يا مولاى! لا تظن بكافر مثله ظن الولى، فقد وجدته
ألعن من الشيطان».

لم تكد حسن بانو تتلفظ بتلك الكلمات إلا حدث انفجار فى بركان غضب الملك
شديد، فصاح بصوت رهيب «هل هناك من يرجم هذه الشقية أمام عينى جزاء بما
اقترفت، وعبرة للذين يفتكرون فى مثل ذلك».

فتقدم حينئذ وزير صالح الطوية ولثم العرش وقال «إن هذه هى بنت برزخ
التاجر وقد كانت محبة لدى جلالة الملك أيام حياته تلاطفها بالشفقة والحنان، فلئن
حكمت عليها اليوم بالرجم فذلك مما تزول به ثقتنا نحن العبيد بعطف جلالتك نحو
ذريتنا فيما يأتى، بل يقلق كل منا خشية أن تلاقى على يديك أولاده ما لاقت
فتاة برزخ. فينقطع عن العمل وينعزل أولا ثم هو يفر من العاصمة إذا ما أعدت
له الظروف فرصة الفرار إلى الخارج، وليس مما لا يتوقع بعد ذلك كله أن ينضم
إلى صف الأعادى فيعود خطرا يهدد دولة جلالة الملك. إن ذلك مما أراه حقا
وأرى من واجبى أن أعرض عليك الحق، والأمر إليك على كل حال».

فقال الملك «لقد عفوت عنها شفاعة منك أيها المتبصر وشرفا لروح برزخ

المرحوم، فخير لها أن تترك المدينة ودارها حالا. مطرودة إلى المنفى ولتصادر جنودى كل ما فى منزلها من التالد والطارف وتفوضها إلى مستودعات ملكية».

فكان ما أمر به الملك وطردت حسن بانو بمرضعتها فى غابة من الغابات محتارة فى أمرها تتقدم غربا وتتأخر شرقا ثم تعدو جنوبا وتسعى شمالا، نادبة، ناحبة لا تعلم من الحياة مصيرها. فتكرر لها أمها المرضعة معزية إن للدهر مفاجئات وليس لمبتليها مهرب، فاصبرى على ما أصابك يا عزيزتى! ولو شاء الله وشملت رحمته لتقشع عنك هذه السحابة السوداء. تاهت حسن بانو بين بطون الأودية وهامت على وجهها فى صدور القفار حتى تعبت فنحت إلى شجرة ذات ظل، مستريحة واقية نفسها لفحة الشمس ورمض الرياح. فما إن اتكأت على ظهر الأرض حتى نامت على غير عمد منها بدافع العطش وسيطرة الجوع، وبما أصابت من النصب والتعب.

فرأت فى المنام أن شيخا تقيا فى ثوب أبيض يقق بالسبحات فى رقبته والعصا الخضراء فى يده قائما على قبقابه فوق رأسها يقول — «بابا! لا تحزن إن الله كريم وليس بعجب أن يرجعك إلى سيرتك الأولى، إن تحت هذه الشجرة ركزت ثروة سبعة ملوك. وقد أخفاها الله لك. فانهض وخذها وأنفقها فى مآربك واذكر الله ولا تنساه». فقالت حسن بانو مجيبة أنى يكون لى حفر الأرض يا سيدى وقبض المال وأنا امرأة قاصرة. فأجيبت حسبك أن تفحصى الأرض بقطعة خشبة ربما تنظرين آثار رحمة الله إنه يجعل من أمرك يسرا.

تيقظت حسن بانو من نومها بغتة وحكت لمرضعتها كل ما رأت فى المنام، فعمدتا إلى أصل الشجرة وحفرتا بعض الحفر إذ وجدتا سبعة آبار تحتها ملآنة من الجنيهات وصناديق من اللآلى الفاخرة والأحجار الكريمة من بينها الدرة اليتيمة المبادلة حبتها بغتة بطلة بحرية. خرت حسن بانو ساجدة لله تعالى على هذه

الثروة الموهوبة. وما هى إلا أيام قلائل حتى أجمعت من أمرها، فأتاها رجالها وخدمها من المدينة وقد بنت هناك بيتا، ثم أفضت إليهم أنها اعتزمت بناء مدينة عامرة هناك فلتكن فكرتهم شاغلة حول تصميمات قوية وتخطيطات محكمة لتحويل هذا المكان القفر إلى مدينة معمورة تزهو بمبانيها الفخمة وأسواقها المزدانة وشوارعها المستقيمة. فأشار إليها البناة والمهندسون أن تشييد مدينة كهذه وعمارتها من غير أن يأذن الملك أمر غير معقول ورأى لا تحمد عقباه.

فقامت حسن بانو وتنكرت ابن تاجر ثم ركبت حصانا عربيا قاصدة إلى المدينة فى جمع من الراجلين والفرسان وأخذت معها قصعة كبيرة من الدرر واليواقيت، فما إن اجتازت سور المدينة حتى أبلغوا الملك أن تاجرا شابا يتمنى تقبيل العرش يستأذن المثول بين أيدى الملك. فأذن الملك أن يدخل القادم محترما مكرما.

دخلت حسن بانو فسلمت بالتحيات طبق التقاليد الملكية، ثم أهدت قصعة الدرر واليواقيت راجية لطف الملك وعطفه، فتبسط إليه الملك فى سرور وحبور وسأله عن أحواله وعما جاء به إليه، وفيما يشتغل. فقالت «إنه ابن تاجر الذى توفى على السفينة وكانت على مقربة من شاطئ مدينة كذا. وقد كنت أتمنى منذ أمد بعيد أن أزور العتبة هذه فقد فزت اليوم بمنيتى بسعادة حظى، فكل رجائى بعد ذلك أن أقضى ما بقيت من حياتى تحت الظل الملكى، فاذا سمحنى جلالة الملك فقد أردت أن أتخذ من فلاة كذا مكانا أستقر به فأشيد فيها مدينة أسميها شاه آباد». فرح الملك بهذا الاقتراح ووافقه مغتبطا مسرورا، وأمر رجاله أن يرسلوا من البناة والعمال ليقوموا بأعمال التشييد ويشتغلوا أنفسهم فى كل ما يعجل تعمير البلد ويكمله. عادت حسن بانو وظلت تختلف إلى الملك فحدث أن حضرت مرة وكان الملك على أهبة الذهاب إلى مرشده فخاطبها قائلا:

«هيا بنا نتشرف اليوم بمقابلة من هو قطب عصره وغوث زمانه».

«على الراس والعين، إن الحضور عند أمثال هؤلاء العارفين يبعث البركات فضلا على أن فى ذلك مصاحبة جلالة الملك.»

قالت ذلك وفى قلبها ما الله به عليم. وعلى كل حال ذهبت إلى منزل الشيخ وتحادثت وسمعت خاضعة رأسها ما أثنى عليها الملك من الأوصاف والفضائل وعندما انتهى المجلس إلى وشك الوداع، قامت حسن بانو بكل اجلال وعرضت على الشيخ أن يشرفها فى منزلها يوما من الأيام. تبسط الشيخ للدعوة وضرب لها موعدا. وآن لحسن بانو أن تلعب دورها الأول فى زى تاجر شاب فطلبت من الملك أن يسمح لها القيام بالمادبة فى منزل برزخ الفارغ، ليسهل عليها العمل كما لا يشق على الشيخ بعد المحل. فأصلحت شأن المنزل المهجور وزينته بالبسط الناعمة والأستار الأنيقة وبكل ما يتقاضاه النسق الجميل حتى استرد مستواه الأول بل فاقه أثاثا ورئيا.

وقصارى الكلام أن الشيخ المحتال دخل بأتباعه بيت برزخ بالوقت المضروب مرحبا بكل حفاوة وتكريم وبعد أن استقر مكانه من المجلس أسرع الفتى التاجر إليه مقدما بين يديه الهدايا من أنفس الأشياء وأغلاها، فلم يقبل منها شيئا ولم يأكل غير لقيمات معتذرا إن الشبع يمنع العبادة ويحول دون الذكر ليلا. وانصرف هو وأتباعه من المنزل ليهجموا عليه ليلا فى ظلامتها.

أسلفت حسن بانو إلى رئيس الشرطة بكتاب منها سرا تخبره بما ستقع اليوم فى دار «برزخ» فى منتصف الليل، فليقف برجاله الموقف بالضبط، وأمرت خدمها أن يتركوا الأمتعة والأوانى حيث كانت ولا يلموا شعثها، ولكن يأخذوا حذرهم ويقعدوا للهاجمين كل مرصد. فكثوا غير بعيد حتى جن عليهم الليل فأقبل الشيخ المحتال بأذنابه الأشرار، واكتسح الدار وجعل ينشل الأشياء من هنا وهنا وينهب، ثم شد كل منهم رزمة حمل على رأسه أو على عاتقه، وما كادوا يخرجون

حتى فاجأهم على البـاب رجال الشرطة وخدم الدار. فأطلقوا عليهم القبض بين صرخات عالية وصيحات حادة واثقين أكتافهم وجعلوا رزمة كل واحد منهم فى عنقه. وابتهجت حسن بانو وأى ابتهاج عندما رأتهم أسارى مقبوضين فى أيدى الشرطة، وراحت هادئة البال تمدت فراشها نائمة نوم فرح طروب حتى الصباح.

وفى اليوم الثانى حضر بطانة الملك أعيان دولته وجلس الملك على عرش الحكم وسأل حاشيته عن مصدر الصرخات بالبارحـة فى جوف الليل بينما طلع رئيس الشرطة ومثل بين أيدى الملك وأخبر أن عصابة من اللصوص هجمت على بيت برزخ المعلوم فى منتصف الليل وسرعان ما علمت، وقعت عليهم برجالى كالبرق الخـاطف وها قـد قدتهم تحت حراستى.

وإذا بالفتى التاجر دخل البلاط والتفت الملك نحوه سائلا عما نزل به ليلا فقال: «لو لا رئيس شرطتك هذا يا مولاى لنهبوا دارى وقتلوا نفسى». فاستشاط الملك غضبا وأمر الرئيس عرض المقبوضين عليهم بين أيديه حتى يراهم بعينى رأسه وعندما عرف الشيخ مرشده وأتباعـه هم اللصوص، هاج وماج وأمر باعدامهم شنقا على فوره وما هى إلا دقيقات حتى نفذ الأمر وشنقوا. وعندئذ قام الفتى من مجلسه وأماط اللثام عن وجه الحقيقـة أمام الملك وقال:

«إن الفتى التاجر إنما هى بنت برزخ التى أنفيتهـا لأجل هذا المرشد المحتال الذى حمل كل ثروة أبى إلى داره تلك الليلة التى دعوته إلى مأدبتى فى يومها، فلئن حفرت منزله لتجد فى أنفاقه أموالى وكل أمتعتى ولتعلم صدق ما أقول».

فندم الملك على ما ابتدر منه وأمر بحفر دار الشيخ فاذا وجدوا فيها من نفائس برزخ كل نفيس ومن أمتعته الفاخرة كل متاع، فأهدت حسن بانو كل ذلك إلى الملك وقالت «أرجو من صميم فؤادى أن تقبل منى هذه ورجائى فوق ذلك أن تشرفنى فى منزلى يوما فأقدم لجلالتك كل ما أملك وأبين لك بعض ما يتصل بى».

خرج الملك بجنوده وأعيانه قاصدا مدينة «شاه آباد» ليقابل حسن بانو على موعد منها فلما اقتربها استقبلته برجالها ورحبت ثم أتت به قصرها وأجلسته على عرش ملكي وقدمت له أثمن ما عندها من المرصعات الذهبية ومن الطواويس المصنوعة من الأحجار الكريمة. ثم أرته الآبار السبعة المختزنة بالذهب الأحمر الخالص ملتمسة أن يأمر رجاله بحمل كل ما فيها على عربات الدولة. فأسرع الوزرا بالعمال والحمالين بأمر الملك إلى حافات الآبار، وما أن بسطوا إليها أيديهم ليخرجو منها، حتى اندفعوا إلى الورا، مذعورين، كأنهم كادوا يمسكون بشولات العقارب وفوهات الثعابين. فتولوا على وجل مدبرين، وأبلغوا بذلك الملك فاندهش هو وامتقع لون حسن بانو ولكن أسلاها الملك وعزاها وقال «لعل الله كتبها لك واختصك بها دون أحد. فلا تحزنى ولا تقلقى بالك». فهدأت وأبتهجت وقالت «إذن سأنفقها فى سبيل الله ابتغاء مرضاته». فوافقها الملك ثم ودعها قاصدا إلى عاصمته.

وأما حسن بانو فشادت بعد ذلك بناء فخيما للمسافرين وأباحت لهم أن ينزلوه كضيوف مرحبين مكرمين، لهم فيه ما يشاؤن وإلى ما يشاؤن. فأصدرت من أوامرها إلى الخدم والموظفين أن لا يتورعوا فى اراحة النازلين به وتوفير أسباب القرى لهم وأن لا يخلوا أبدا بتقديم الزاد ومصاريف السفر.

فطارت بذلك صيت حسن بانو وذاعت، وروت بفضلها وفعالها روحات الرحالة وغدوات المسافرين فى انديات الشعب وفى مراكز تجارية بين أقاصى البلاد وأدانيها حتى اجتازت ثغور أرض خوارزم وكان يحكمها ملك شديد الحول، وكان له ولد فى مقتبل الشباب فى الرابع عشر من عمره موهوب من الله آية الحسن ونعمة الجمال، يدعى «منير الشامى» فلعب الهوى به عندما وصفوا أمامه أن هناك مدينة جديدة شادتها حسن بانو الفتاة الحسناء جدة وبنت فيها سراى (مسافر خانه) وأنها فوق ذلك كله كريمة إلى أبعد حدود الكرم. فازداد شغفا بها غيابا إلى

أن أرسل رسامه ليحضر له رسمها مهما كلفه ذلك .

فالقصة بما فيها أن الرسام أتاه برسمها وقدمه بين يديه فلما رآه منير عشق به ولم يتمالك إلا أن خرج من قصره وحيدا فى منتصف الليل خروج معدم بائس، قاصدا مدينة شاه آباد، فنزل بها بعد ما تحمل من الوعوث والوعور فى ضربه الأرض ما يجل عن الوصف والتقدير. وأصبح فيها وأمسى دون طعام وكلام فأخبروا حسن بانو عن هذا الغريب الذى لا يأكل ولا يتكلم ولا يقبل شيئا من العطايا. فدعته عندها وسألته عما نزل به وعما دعاه إلى رفض عطايا السراى قائلة :

« ما لك لا تأكل ولا تتكلم ولا ترضى بالعطايا التى سوف تساعدك فيما تستقبل » ؟

« إننى لا يعوزنى مال ولا نقود فأنا نجل ملك خوارزم أملك من المال ما يغنينى » .

« إذن ما هى حياتك حياة الفقراء والمساكين » ؟

« إن رؤيتى رسمك مرة، غيرت فى شأنى كل شىء، وفعلت بى ما يفعل الجنون بصاحبه فقد أخرجتنى من قصرى وجعلتنى أستف من ترب الأرض فى الأودية والقفار حتى حملتنى إليك وما لى من قرار. فرحماك يا سلوتى، يا بلسمى لجراحتى فليس لدائى غير وصالك من دواء. وإنى فى صراحتى هذه لصميم، صادق والأمر إليك فاحكمى بما تشائين » .

« عد إلى وعيك يا فتى ! ودع عنك ما يشغل به بالك، فانك لو تحولت هباء تطير مع الرياح لما استطعت الوصول إلى قلامات أظفارى فضلا أن ترى وجهى. إلا أن تجيب على أسئلتى السبعة » .

« إذن سأموت على بابك » .

« الموت أهون من أن ترانى » .

«وما هى أسئلتك يا كعبة آمالى».

«إنها سبعة وأولها: شاهدته مرة وأتمنى أن أراه أخرى».

فاحتار منيرفى الاجابة وحاول اقناعها بهيامه بها ولكن المداولات بين الحب والجمال انتهت إلى فشل منير فى ما أراد وإلى وعده أن يجيب على الاقتراح فى بحر عام واحد. فودعها ومضى لسبيله وتحت إبطه صورة حسن بانو المرسومة.

غادر منير مدينة شاه آباد إلى المجاهل وجعل يطوف السهول والشعاب وراء منشوده كتطواف الأعاصير فى الصحارى والقفار. فكم صعد قم الجبال عبثا وكم عاد إلى سفوحها صفر اليدين ثم حدث أن رمته يد الاستطلاع إلى ناحية من نواحى ثغوريمن وجلس تحت شجرة من إحدى غاباتها ينتحب ويعول ويصرخ صرخات يضج لها الجو وتكاد القلوب تنفطر بها.

وصادف أن انتهى إلى تلك الناحية حاتم وهو فى جولة اصطيادية يومئذ، فسمع صرخات البكاء. ورق لها واضطرب أشد الاضطراب وأرسل حالا وراثها الرجال وعلم منهم أن هناك على مقربة منه فتى فى غاية الجمال جالس تحت شجرة يبكى فلا يفتح عينيه ولا يرد لأحد كلمة. فاقترب عطفا عليه نازلا من صهوة جواده «قائلا ما خطبك يا فتى وما يبكيك». فرفع الفتى رأسه ووجد أمام عينيه شابا نبيلا فى زى الملوك. عليه ملامح الشرف وشارات الوقار، يسئل عن أحواله رأفة به. فقال:

«يا أخى لا تسئل عنى ولا عن مصابى فقد بلغ السيل زباه. ويا لشقائى وتعاستى، فليس لى من أشكو إليه بثى وحزنى».

فأجابه حاتم: «هون عليك نفسك يا فتى وأمسك، فقد أخذت على نفسى، وعاهدت الله أن أقضى حياتى فى عون عباده ما استطعت مذللا لهم كل العقبات

والصعاب، فسأقوم بمعونتك جهد المستطاع. فان أعوزك المال فعندى من الأموال قدر ما تشاء ولك حالا ما تريد، وإن ظلمك عدو لدود، فدلني عليه حتى أقتله أو يقتلنى، وإن أنت أردت حبيبة تتمناها فأسع لك وأدبر حتى تسعد بالاقتران بها».

هدأ بذلك روع منير وابتهج ودعى لحاتم كل توفيق وسلامة الحياة، ثم قدم بين يديه من تحت إبطه رسم حسن بانو وقال: «هذه هى الصاعقة التى أحرقت منى التجلد والاصطبار يا عونى! وجعلت أعماق نفسى تهمس آناء الليل وأطراف النهار.

لعمر أبيك لا أسلو هواها ° ولو طحنت محبتها عظامى».

نظر حاتم إلى الرسم وقال: «الحق معك يا منير!» ثم ذهب به إلى قصره فى يمن وأصلح من شأنه وجدد له الثياب حتى أصبح فى طوره الأول هيئة وهنداما. وحدث بعد ذلك أن جمع حاتم أعيان دولته، وقال لهم إنه يقصد إلى شاه آباد لبعض ما سنح له، فليكن كل التقاليد من إطعام المساكين وكسوة العراة والاحتفاء بالضيوف والنزلاء وتوزيع المعونات إلى العجزة والصعاليك معمولة بها فى منتهى الدقة وأقصى الاعتناء أيام غيابى عنكم. وإياكم ثم إياكم أن يقعد بكم أى إهمال فى أن تقوموا بواجباتكم اليومية نحو حاجيات الفقراء والمنكوبين.

قال ذلك وخرج من قصره وخرج معه منير قاصدين إلى مدينة حسن بانو التى رحبت بهما الدار. وقصارى الكلام أن حاتم قابل حسن بانو وكلمها وهى كانت تجيبه من وراء الحجاب. وانتهى الحوار إلى أن على حاتم أن يأتى بالرد على الأسئلة السبعة، وعلى حسن بانو أن تهب نفسها له ليفوض أمرها إلى من يشاء. فودعها حاتم راجيا أن يكون صديقه منير مكرما لديها كضيف محترم حتى يعود هو.

## ﴿ الاقتراح الأول ﴾

خرج حاتم من قصر حسن بانو ومشى فى طريقه لا يعلم المصير، وكان يناجى نفسه أن المرمى غير معلوم، وأن السبل يجهلها كل الجهل، فلعل الله يجعل له من أمره يسرا فقد كلف نفسه ابتغاء مرضاته. ما لبثت تناجيه نفسه بتلك الخواطر حتى رأى أمامه ذئبا يكاد يخطف غزالا طمعا لنهمه، فصرخ حاتم صرخة هائلة بصوت رهيب: «حذار من الوثوب عليها وإياك من الفتك بها». فجمد الذئب مكانه وقال «لعلك حاتم لرحمتك هذه على الغزال، ولكن أ ليس بين جنبيك ما يرق لحالى ويرحم على ما أطوى وأكابد من ألم الجوع؟» فقال حاتم «وماذا تبتغى؟» قال «مضغة لحم ليس إلا».

فقطع حاتم على فوره قطعة لحم من عجزه ورمى بها إليه. فشبع بها الذئب ثم سأله تقديراً لعطائه: «وما دهاك يا حاتم! حتى هجرت يمن جنة النعيم وآثرت أرضا مسبعة كهذه بأهوالها؟» فأخبره عما حدث له وعن فحصه الاقتراح الأول من أسئلة حسن بانو السبعة لصديق له المغرم بها.

فقال الذئب «أنا أعلم صحراء هويدا مكانك المنشود وستسمع إذا دخلته أنت الصوت نفسه، وإنك إذا مشيت قليلا قدامك فستواجه ملتقى سبيلين من اليمين ومن الشمال، فاختر لك منها ما يذهب بك إلى اليمين. إنه يبلغك إلى المحل المطلوب».

فاتجه حاتم نحو الأمام ومشى خطوات إلا أنه لم يستطع مواصلة السير لتألمه الشديد بما أصاب من الجراحة فى عجزه، فوقع صريعا تحت شجرة يتململ قلقا بالألم يتوكأ على شق مرة ويسند أخرى إلى شق آخر. وكان على مقربة من الشجرة مأوى زوجين من ابن آوى. وقد خرجا إلى بعض الزوايا قبل أن يطلع عليهما حاتم للفحص عما يملأن به فراغ الجوع. فلما فرغا من الأكل عادا.

فوجدا إنسيا يتأوه ويتألم، فخافت الأنثى وحضت على زوجها أن يهجر المأوى، ويهرب إلى جهة أخرى، فما للانس من الوحش. ولكن الزوج أخبرها بأساطير الغابرين وقال « إنى على علم بأن الصريع هذا، هو حاتم ». ثم دار بينهما الحديث عن بنى آدم أشرف المخلوقات وأكرمها، وانتهى إلى أن عزم الزوجان على اسعاف حاتم.

فذهب الزوج إلى صحارى « مازندران » ليأتى بمخ « پريرو » طير تشبه بنيته بنية طاؤس بالتمام، ورأسه كرأس البشر عينا. وبقيت الزوجة على رأس الجريح تراقبه وتحرسه أن يصيب به أى مكروه. فعاد ابن آوى بعد أسبوع كامل بالمخ بلسما لجراحة حاتم، وقد تحمل فى ضرب الأرض من الشدائد والأخطار ما تحمل. ثم وضعه على جراحة حاتم، فتعافى حالا وأصبح لا يشكو ألما ولا وجعا، فشكر لهما على ما أسديا إليه من الجميل وأنقذاه من مخالب الموت. والتمس الزوجان بعد ذلك إلى حاتم أن هناك فى جوارهما الضباع يأكلن صغارهما كل عام، فيا حبذا لو يدبر حيلة تجعل ذريتهما فى مأمن من الفتك والموت. فقام حاتم فعلا وذهب إليهن ينصحهن فلم يكترثن بحاتم وما أراد، فزاد نصحا فزدن طغيانا. فعز ذلك عليه واشتد غضبا حتى كاد أن يذهب بحياتهن، ولكنه عفى عنهن نخلع منهن الأسنان وكفى جزاء بما عصين متمردات. فشكر ابن آوى وشكرت زوجته لحاتم صنيعته، وعندما قام حاتم ليواصل سيره اقترح الزوج أن يرافقه فى سفره وأصر عليه، ولكن أبى حاتم إلا أن يطوى المسافة وحيدا. فودعه شاكرا فى مأواه.

ومضى لشانه فى سبيله حتى بلغ ملتقى السبل من أربعة نواحيها، فوقف محتارا فى الاثناء ريثما اقترن الأدباب من كل حدب. وكانت الأرض أرض مملكة الدب. فأخذن بيده وذهبن به إلى ملكهم الدب الأكبر الذى اهتز طربا حين

رأى حاتم، ورحب بكل حفاوة وابتهاج. والتمس بعد ذلك إليه أن يقبل ابنته كزوجة له. فأبى حاتم وأنكر منه ذلك بداية الأمر ورفض أن يذعن، لما بين الانسان والحيوان من فارق. ولما كان يرى فى ذلك عثرة فى سبيله تشغله عن الوصول إلى غايتــه. ولكنه حبس عقابا على رفضه طلب الملك وألقى فى بئر غطوه بجلود كبير. فرأى فى منامه فى حبسه أن شيخا صالحا يشير إليـه أن نجاحه فى زواجه. فرضى وتزوج وراح يعيش مع زوجتها الدب عيشة السعادة والهناء، متمتعـا بملذات الحياة ومسراتها. ثم أفضى إلى زوجته يوما من الأيام بدخائل صدره ومكنونات فؤاده واستأذنها على أن يعود إليها فى طريقـــه راجعا، فأذنته راضية. وحرصا على سلامته جعلت فى عمامته خرزا يقيه من الطوارى فى أحرج المواقف، ثم ودعته إلى اللقاء.

خرج حاتم من مملكة الدب واستأنف سيره. فمشى أياما وليـالى حتى دخل قاعا صفصفا رمليا لا ترى فيها ظلا يأوى إليه أحد، ولا ماء يشربه شارب. ولا حبة يأكلها طاعم. ولكنه ما زال ماشيا، فكان يسنح له كلما يغدو رجل مبرقع يقدم بين يديه رغيفين وكأسا من الماء. وكذلك عندما يمسى. وحدث أن صادفته فى سبيله يوما حية ضخمة كالجبل. فشعر حاتم رغم كل مجهود منه كأنه يدفعه إليها أحد، كما تدفع الرياح العاصفة أوراق الأشجار عندما تسقط على الأرض. وما هى إلا بضع دقائق حتى دخل حاتم بعمامته جوف التنين. ولكنهـا أصبحت تئن وترن بمـا ابتلعت، وأدركت أن المأكول ليس ميسور الهضم كما كان هين الابتلاع. فما وسعهـا إلا أن قاءت بعد ثلاثة أيام عندما أعياها التعب وبلغ بها الجهد.

خرج حاتم من بطنها سالما بفضل الخرز الذى وضعته زوجته بنت ملك الأدباب فى عمامته عند الوداع. وعاد يمشى فى طريقه أياما إلى أن انتهى إلى

غدير. فجعل يغسل ثيابه جالسا على حافته. وإذا بسمكة خرجت من الماء، وكان صفها الأسفل بشريا. وأخذت يد حاتم وذهبت به إلى منزلها البديع داخل لماء، ثم تحولت إنسيا وبدأت تلاطف حاتم وتداعبه ثملة بالرغبات الجنسية. لكن أخبرها حاتم بما ورائه وأبى النزول عند رغبتها إلا أن تعد أنها ترده إلى حيث أتت به بعد بضعة أيام. ففعلت ثم قضى حاتم معها ثلاثة أيام فى رغد ن العيش.

وخرج بعد ذلك من الماء وواصل السير عدة أسابيع، حتى صعد ربوة رحبة حتفت بالأشجار الباسقات ذات ظلال وأثمار، واكتنفت بالقصور الفخيمة والمبانى لجميلة التى تجرى من تحتها الأنهار. دخلها حاتم وكان تعبا، فما أن استلقى الأرض لخضراء وفراشها الناعم الناضر حتى أدركه المنام. وعندما استيقظ من نومه وجد عنده رجلا وقورا يسئل عنه وعما جاء به إلى هنا. فقال حاتم «إنه يقصد بحراء هويدا». فحذره أن يفعل ويواصل سيره. ولكن اعتذر حاتم ثم قص ليه القصة بما فيها. فقال الرجل «لك ما تريد، ولتعلم أنك إذا بلغت ثغورها ذهبون بك إلى بحر الظلمات، فحذار من الالتفات إلى صوت أو صورة أو قوف عند شبكة أو باب، وإياك أن تميل إلى غادة حسناء عندما تقف أمامك بمالها الساحر. فاذا مددت إليها يدك لتمسكها أو هى أمسكتك بيدها فتلك هى بحراء هويدا».

فقام حاتم شاكرا له على وصاياه ومضى لسبيله، حتى ورد بعد ثمانية أيام بركة بديعة البناء، متقنة الصنع، فى جو لطيف. فجلس يغترف منها. وإذا امرأة عارية برزت من الماء وأمسكت بيدها ذراع حاتم وغاصت به قعر الماء. حيث وجد نفسه فى روضة أنف بين مئات من الفتيات الجميلات الرافلات تكاثفات. فما لبث أن ملن إليه. ولكن تذكر حاتم نصح الرجل فلم

بهن وظل صامتا لا يتعمد إلى تبسط ولا طلب. فقدن إياه إلى قاعة القصر وكانت مؤثثة بأفخر الرياش، منسقة بأبهى الزينات، يتوسطها سرير مرصع من أثمن اليواقيت وأعجب اللآلى. فلما اقترب حاتم، التصقن بجدران القاعة بأنفسهن كأنهن تماثيل أو تصاوير نحتت أو رسمت على صفحات الصروح. ثم اتبع ذلك أن برزت ألوف منهن من زوايا القصر بغتـــة. فاندهش حاتم لما شاهد من عجائب وغرائب.

وما أن جلس حاتم على السرير حتى تحركت أجذبهن جمالا من الجدار وتقدمت بخطواتها نحوه، ثم وقفت بين يديه. فشعر حاتم بجمالها الجذاب أنه سيفقد رشده ويذهب ضحية التيار العاطفى. ولكنه تذكر تنبيه الرجل أخرى، فامتنع وظل يرتقب حتى ثلاثة أيام أن تبسط إليه يدها، ولكنها لم تفعل. وكان عندما يقبل الليل يرى حاتم أن القاعة العالية وغرفها الأخرى تتنور بأنفسها بالشموع من الكافور، فيستمع منهـا الترانيم والنغمات من الأغانى والتوقيعات، ويبصر بعينى رأسه أن تصاوير الجدران تحولت ذات أرواح تتحرك، ترفل وترقص الرقصات، وأن الواقفة بين يديه ترنو إليه وتبتسم دون انقطاع.

فدار برأس حاتم أن صديقه منير يذوق مرارة الصبر وعذاب الانتظـار فى شاه آباد، وأنا أتمتع هنا بهذه النعم، فما هى مسئوليتى عند الله وعند صديقى، فعلى أن أمسك الواقفة هذه. ففعل، وإذا بامرأة أخرى برزت من تحت السرير وضربت حاتم برجلها. فاذا الجو تبدل غير الجو. وأصبح لا يرى غـير القفر الشاسع الهـادى، فلا القصر الجميـل البهى، ولا الروضة الأنيقـة الخضراء، ولا الغانيات الفاتنات. فاحتار حاتم مليا وهام على وجهه، ثم انتبه وأدرك أن ضالته المنشودة هى هذه، وأنه الآن فى صحراء هويدا التى ينادى فيها مناد «رأيته مرة وأتمنى أن أراه أخرى». وإذا به يسمع النداء نفسه. فأسرع وراءها فى ناحية.

فرأى درويشا بلحيته البيضاء جالسا. فتقدم إليـــه بتحية. فقـال الدرويش «من أنت وما يجيئك إلى هنا»؟ فرد حاتم «والله خرجت من مـديقى ألحص عنك وعن رؤيتك التى تتمناها أخرى». فـقال «مهلا يا ضيفى! فأحكى لك ما حدث لى». فلمـا فرغا من العشاء قال الدرويش إنه «وردت ذات يوم بركة بديعـة فى إحـدى نزهاتى، فجلست حافتها أتفرج، وإذا بامرأة مجردة عن الثياب من رأسهـا إلى اخمص قـدميها، برزت من الماء وأخذت بى إلى قاع الماء». ثم أسرد كل ما مر على حاتم نفسه وقال: «منذ ذاك اليوم أهيم على وجهى فى هذا المكان القفر ولا يقر بى القرار». وصرخ صرخة هائلة «شاهدته مرة وأتمنى أن أراه أخرى».

فقال حاتم إنى سوف أرسلك إلى ذاك المحل وأبلغك أمنيتك أيها البائس! فلا تفزع ولا تحزن». فأتى به إلى تلك البركة وأوصاه أن لن يمـد يده إلى الحسناء الواقفـــة أمامه عند ما يستقر على السرير. ثم ودعه بسلام، وعاد إلى شاه آباد عند حسن بانو بعد ما زار كل أصدقائه وزوجته بنت ملك الدب، وعانق صديقه منير معانقة حادة مغمورة بالسرور والحبور. وطلب إلى حسن بانو أن يقدم له اقتراحه الثانى. (لها بقية)

---

# آراء مهاتما غاندى

## فى بعض المسائل الصحية

(تابع لما نشر فى عدد سابق) (لكاتب فاضل)

### (الرياضة)

إن الرياضة ضرورية حداً للانسان كضرورة الهواء والماء والغذاء، فالذى لا يواظب عليها لا يمكن أن يكون صحيحا. نحن لا نقصد «بالرياضة» مجرد التمشى أو الألعاب كالصولجان وكرة القدم، بل ندخل فى الكلمة جميع الأشغال الجسمية والعقلية.

الرياضة ضرورية كضرورة الغذاء للجسم. فالمخ يضعف لعدم الرياضة الجسمية مثل ما يضعف الجسم سواء بسواء. وضعف العقل نوع من المرض بلا ريب. فالمصارع الماهر فى المصارعة لا يعتبر «صحيحاً» بالحقيقة إلا إذا كان عقله كذلك قويا كجسمه. وكما قد بين «أن المخ القوى فى الجسم القوى». هذه القاعدة وحدها تؤسس صحة حقيقية.

ما هى إذن الرياضات التى يحافظ بها على قوة الجسم ونشاط العقل معاً؟ إن الطبيعة قد قدرت ذلك بطريقة تمكننا من أن نمزج الرياضة الجسمية والرياضة العقلية فى وقت واحد. إن الأكثرية الكبيرة من البشر تعيش بالعمل فى المزارع. فالفلاح مضطر أن يقوم بالرياضة البدنية المتعبة على كل حال لأنه لا بد له من أن يشتغل من ٨ إلى ١٠ ساعات، بل أكثر من ذلك أيضا، ليحصل على قوته ولباسه، ثم العمل الجسمى الشاق المتعب يستحيل القيام به إلا إذا كان المخ فى حالة حسنة. والفلاح يكون مخه كذلك، فهو لا بد له من

معرفة التفاصيل الكثيرة للزراعة، وكذلك لا بد من أن يكون له علم وافر بالأرض وأنواعها، والفصول وتقلباتها. بل ربما بحركات الشمس والقمر والنجوم وسيرها، حتى أنه قد يغلب أعلم الناس فى هذه الأمور.....

أجل، الناس كلهم لا يمكن أن يصيروا فلاحين. وإنما نذكر لهم معيشة الفلاح لأننا نعتقد أن حياته هى الحياة الطبيعية للانسان، فكلما نزداد بعدا عن هذه الحياة الطبيعية، نصاب فى صحتنا بالمصائب. وقد علمنا من حياة الفلاح أنه يجب علينا العمل على الأقل ثمانى ساعات كل يوم، ويدخل فيه العمل العقلى كذلك.

أما التجار وغيرهم من الذين يعيشون عيشة القعود، فلا شك أنهم يعملون العمل العقلى إلى حد ما، ولكن شغلهم ضيق النطاق، وأقل بكثير من أن يسمى رياضة...

وإن أحسن الرياضات لرجل اعتيادى، هو أن تكون له حديقة صغيرة قرب بيته، فيشتغل فيها بضع ساعات كل يوم.

أما الذين لا يجدون الوقت لمثل هذه الرياضة، أو لا يحبونها، فيمكنهم أن يواظبوا على المشى الذى هو أحسن الرياضات بعد تلك الرياضة. وقد صدق من قال، إنها «ملكة الرياضات». وإن السبب الحقيقى فى كون صحة الرهبان الهنود حسنة جدا، هو أنهم يمشون فى طول البلاد وعرضها على أقدامهم. والكاتب الأمريكى الكبير، تورو (Thoreau) قال أشياء كثيرة مهمة فى رياضة المشى، فقال: «إن كتابة أولئك الذين يعيشون دائما فى البيوت ولا يخرجون منها أبداً فى الهواء الطلق، تكون ضعيفة كأجسامهم». وقد ذكر تجربته الشخصية قائلا «إن أحسن مؤلفاتى كلها هى التى ألفتها فى الزمن الذى كنت أمشى فيه كثيرا». ولقد كان مشاءاً كبيراً حتى أن مشى أربع أو خمس ساعات كل يوم كان شيئا اعتياديا عنده!

لنكن مغرمين بالرياضة حتى لا نستطيع البقاء بدونها فى حال من الأحوال.

يصعب علينا أن نفهم شدة ضعف شغلنا العقلي وخفته إذا لم تصحبه الرياضة البدنية المتعبة. إن المشي يحرك جميع أجزاء الجسم ويقوى دورة الدم، وذلك لأن الهواء الذي يدخل بقوة في الرئة عندما نمشي بسرعة. ثم هنالك مسرات عظيمة جدا تقدمها إلينا الطبيعة ومناظرها إذا خرجنا إلى الميادين والحقول، تلك المسرة التي تأتينا من التدبر في جمال الطبيعة.

«أما المشي في الأزقة والشوارع، أو في طريق واحد كل يوم، فلا فائدة منه أصلا. يجب أن نخرج إلى الميادين والغابات، وهنالك نجد لذة الطبيعة. وإن المشي ميلا أو ميلين، ليس بمشي، لأن مشي عشرة أو اثني عشر ميلا ضروري للرياضة. والذين لا يستطيعون ذلك كل يوم فليفعلوه أيام الآحاد وأيام العطلة.

ذهب رجل، كان يشكو سوء الهضم إلى طبيب. فنصحه الطبيب بمشي قليل كل يوم، ولكنه اعتذر قائلا. «هيهات ان أمشي فاني ضعيف جدا!» فأخذه الطبيب في عربته وخرج به للنزهة. فلما أبعد عن العمران قليلا أسقط سوطه، فاضطر المريض أن ينزل تأدبا ليأتي به، ولكن الطبيب ساق عربته بدون أن ينتظره فأخذ المسكين يصيح ويجري وراء العربة! ولما اطمأن الطبيب بأن المريض قد مشى كافيا، حمله في العربة قائلا «إن هذه الحيلة دبرتها لتضطر إلى المشي». وبما أن المريض أخذ يشعر بالجوع من ذلك الوقت، عرف نصيحة الطبيب ونسي حكاية السوط. ثم رجع إلى بيته وأكل الطعام برغبة وشهية، فليجرب الذين يشكون سوء الهضم وما شاكله من الأمراض، المشي بأنفسهم، فانهم يعرفون قيمة الرياضة حالا.

## ﴿ اللباس ﴾

اللباس أيضاً علاقة بالصحة إلى حد خاص... ولكن اختيار اللباس ليس

دائماً فى أيدينا، لأننا مكرهون على تقليد أسلافنا. نسى الناس الغرض الأساسى من اللباس، فجعلوه كعنوان لدين صاحبه ووطنه وجنسه وصنعته.

ما الغرض الأساسى من اللباس؟ إن الانسان فى حالتـه الأولى ما كان يلبس لباسا ما، كان يمشى عاريا ويترك كل جسده مكشوفا تقريباً، فكان جلده متينا قويا يقدر على تحمل حرارة الصيف، وصبارة الشتاء ووابل الأمطار... ولكن شاعت عادة اللبس لما أخذ أهالى البلاد الباردة يكسون يوماً فيوماً، فأخذوا يحسون بالضرورة لتغطية أجسادهم، لأنهم ما عادوا بعد ذلك يتحملون البرد، ثم أصبحت هذه العادة للزينة، لا لمجرد الضرورة، ثم أصبح اللباس عنوانا على الوطن والجنس وغيرهما.

إن الطبيعة نفسها قد أعدت كسوة جليلة لنا فى جلدنا، وأما ما يتخيل من أن الجسم العارى يظهر غير جميل، فوهم باطل. إن كنا نغطى حتى الأعضاء العامة من جسدنا، فمعناه أننا نشعر بالخجل أن يراها الناس فى حالتها الطبيعية، أى أننا نجد الخطأ فى ترتيب الطبيعة فنصلحه!

إننا كلما ازددنا غنى وثروة، بالغنا فى زيادة الأغطية والملابس طلبا للزينة، حتى خرجنا فى ذلك عن الحد، وصرنا نطرى جمالنا وحسن منظرنا! مع أنها لو لم تعمنا حماقة التمسك بالعوائد الذميمة لرأينا بلا شك أن الجسم العارى أجمل على الاطلاق من الجسم المكسو بالألبسة، وذلك لأنه يجد صحته التامة فى عراه. واللباس ينقص جماله الطبعى.

《 الحلى 》

ثم إن الانسان لم يكتف باللباس بل أخذ يستعمل الحلى كذلك، إن هذا جنون محض. يصعب جدا أن نفهم كيف تزيد الحلى ذرة من الجمال الطبيعى للجسم، ولكن النساء قد تجاوزن جميع حدود الادراك والحياء فى هذا الشأن،

فلا يستحين من أن يتحلين بالخلاخل الثقيلة التى تقيد أرجلهن وتمنعها من الحركة بسهولة، وأن يثقبن أنوفهن وآذانهن بطريقة بشعة، ليلبسن الخزم فيها والأقراط، ويشوهن سواعدهن وأصابعهن بالأسورة والخواتم من أنواع مختلفة. إن هذه الزينات لا خير فيها، إلا أنها تزيد تراكم الدنس على الجسم، ولا سيما فى الأنف والأذن، فلا تسأل عن وساختها. نحن مخطئون جداً فى زعمنا أن هذه الأوساخ تجلب الجمال، فنضيع المال فى سبيلها، بل لا نتردد فى جعل نفوسنا عرضة لتعديات اللصوص.

الاصلاح التام فى اللباس ليس بسهل، ولكن يمكن بكل سهولة أن نترك استعمال الحلى والملابس الزائدة عن الحاجة بتاتا. يصح أن نبقى بعض أشياء المحافظة على التقاليد ونخلع الباقى خلعا. والذين لم يبتلوا بالوهم الباطل، وهو جعل اللباس زينة، يمكنهم أن يدخلوا التغييرات الكثيرة فى ملابسهم، وينالوا بذلك صحة جيدة.

## { اللباس الأفرنجى }

راجت فى الأيام الأخيرة فكرة توهم الناس أن اللباس الأفرنجى ضرورى للمحافظة على الحشمة والهيبة. ليس هذا مكان البحث فى تفاصيل هذا الأمر، بل تكفى الاشارة إلى أن اللباس الأفرنجى قد يكون صالحا جدا للبلاد الباردة، ولكنه غير موافق للبلاد الحارة.

قد راجت العمامة فينا كثيرا، ولكن مع ذلك ينبغى أن نجتهد فى أن نبقى الرأس مكشوفا أكثر ما يمكن من الزمن.

## { تربية الشعر }

وأما تربية الشعر وتمشيطه وتسريحه وتفريقه من وسطه وغير ذلك مما يفعله الناس، فهمجية بعينها. إن التراب والغبار، وكذلك الصئبان تكثر فى الشعر، وإن

ظهرت البثور فى الرأس، فلا يمكن معالجته كما ينبغى إذا كان الشعر كثيرا، فتربية الذين يستعملون العمائم للشعر، ليست إلا حماقة صريحة!

## ﴿ الحذاء ﴾

إن الأرجل سماسرة الأمراض، فأقدام الذين يلبسون الأحذية الأفرنجية تتوسخ وتعرق عرقا متعفنا، وقد تكون العفونة شديدة على أصحاب حاسة الشم الصحيحة حتى أنهم ليصعب عليهم أن يقفوا بجنب رجل من هولاء عند خلع نعله أو جواربه!

إن بعض الذين تعودوا لبس الأحذية الأفرنجية يشكون أحيانا الصداع، أو الوجع فى الرجل، أو الضعف فى الجسم. ليجربوا المشى حفاة فانهم يدركون حالا فائدة ترك الأقدام حرة، وبعيدة عن العرق بتعرضها للهواء.

## ﴿ الزواج ﴾

أرجو القراء أن يخصوا كلامى هذا بتأمل أكثر. وإنى كما أسلفت لم أدع شيئا من محتويات هذه الفصول، لم أجربه بنفسى ولم أره حقا وحقيقة، ولا سيما هذا الفصل.

إن للصحة مفاتيح كثيرة، وكل منها ضرورى جدا فى مكانه، ولكن هنالك مفتاحا هو أعظم المفاتيح وسيدها على الاطلاق، وهو «التجرد».

«لا ريب أن الهواء النقى، والماء النقى، والطعام الجيد، كل ذلك يساعد فى الصحة، ولكن كيف يمكن أن نكون أصحاء، إن كنا نضيع كل الصحة التى حصلناها؟ كيف نحفظ أنفسنا من الافلاس إن كنا نبذر جميع المال الذى ادخرناه؟ وإن مما لا ريب فيه، هو أن الرجال والنساء لا يمكن أن يكونوا أصحاء أقوياء، إلا إذا راعوا «التجرد» الحقيقى.

ماذا نقصد بالتجرد؟ نقصد به أنه يجب أن يجتنب الرجال والنساء التمتع، أى لا يتلامسوا لفكرة حيوانية، بل لا يتخيلوا ذلك حتى فى أحلامهم. يجب أن تكون نظراتهم بينهم خالية من جميع الأميال الشهوانية الحيوانية. يجب أن نحافظ على القوة التى وهبنا الله إياها بضبط قوى النفس جيداً، وأن نحولها إلى الجد والعمل والقوة، لا إلى الجسم فقط، بل إلى المخ والروح كذلك.

ولكن ما الحالة التى نشاهدها واقعة حولنا؟ نرى الرجال والنساء، الشيوخ والشباب، بدون استثناء، قد وقعوا فى شبكة الشهوة، فعموا بها وصموا، وفقدوا كل تمييز بين الخير والشر! لقد رأيت بنفسى حتى الصبيان والبنات يتعاملون بينهم كالرجال المجانين بجنون الشهوة المهلكة!

ولست أزكى نفسى، فقد فعلت ذلك مسوقاً بهذا المؤثر نفسه الذى لا يمكن أن يؤدى إلى غير هذه النتيجة السيئة!

نحن نضيع فى دقيقة واحدة طلباً للذة وقتية جميع ما خزناه من القوة الحيوية، فاذا أفقنا من الجنون والحق وجدنا أنفسنا فى شقاء وتعاسة، وأحسسنا بكل أسف وخزى فى الصباح التالى بالتعب والضعف، ووجدنا المخ يرفض أداء وظيفته، فعند ذلك نجرى وراء معالجة الشر الذى جلبناه على أنفسنا بأيدينا بتعاطى جميع أنواع «الأدوية المقوية للأعصاب»! ونسلم أنفسنا إلى رحمة الأطباء ليرتقوا ما فتق من صحتنا، ويعيدوا لنا القدرة على التمتع ثانية!

هكذا تمضى الأيام والشهور والسنون حتى تقبل علينا الشيخوخة بآلامها وأوصابها، فنجد أنفسنا قد ضيعنا رأس مالنا كله، ضيعنا الرجولية والعقل على سواء، وأصبحنا صفر الكف بائسين تعسين!

على أن قانون الطبيعة يقضى عكس ذلك تماماً، فكلما ازداد عمرنا ينبغى أن

نزداد فى قوتنا العقلية، نزداد قدرة على نقل ثمار علمنا وتجاربنا المجتمعة إلى بنى جلدتنا من البشر. هكذا تكون بالحقيقة حالة الذين يتمسكون بالتجرد الحقيق، فهم لا يبالون الموت، ولا ينسون الله حتى فى موتهم، ولا يدخلون فى شكاوى باطلة. هم يموتون والتبسم فوق شفاههم، ويقابلون يوم الجزاء بكل جرأة! هم الرجال والنساء حقا! وفيهم وحدهم يصح أن يقال إنهم قد حافظوا على صحتهم.

يصعب علينا أن نفهم أن ترك التجرد، هو الأساس الحقيق لجميع المعايب كالكبر والغضب، والخوف والحسد. إن كان مخنا ليس فى قبضتنا، وإن كنا ننتهك قوانين الصحة مرة أو مرتين كل يوم، فنحن أكثر حمقا حتى من الأطفال الصغار، فأى إثم عسانا لا نرتكبه قصداً منا أو بغير قصد؟ وكيف يمكن لنا أن نقف وقفة لنتأمل فى نتائج أعمالنا مهما كانت دنيئة آثمة؟

لك أن تسأل من الذى وجد متجردا تجردا حقيقيا؟ إن كان يجب أن يصير جميع الناس متجردين، فهلا تهلك الانسانية وتفنى الدنيا كلها؟ نحن لا نتعرض للوجهة الدينية فى المسألة، بل نقتصر فى البحث على وجهتها الدنيوية فقط.

إن هذه الأسئلة فى رأيى ليست إلا دلائل على ضعفنا وخورنا. لأننا لا نملك القوة الارادية لمراعاة التجرد، ولذلك نتعلل بأعذار باطلة للتملص من وظيفتنا. إن نوع المتجردين الحقيقيين لا ينعدم بحال من الأحوال، بل هم موجودون فى كل زمان، وإن كنا لا نعرف أشخاصهم.

وإن كان يلزم من مراقبة التجرد هلاك الدنيا، فلماذا نحزن نحن؟ هل نحن الذين خلقنا الخلق، فنهتم بمستقبل الدنيا هذا الاهتمام الكبير؟ إن الذى خلقها، لهو الذى يدبر دوامها وبقاءها، وليس مما يعنينا أن نبحث عن الناس الآخرين، هل هم متمسكون بالتجرد أم لا؟ أفنحن إذا اتخذنا مهنة التجارة أو المحاماة أو الطب، نفكر يوما فى مستقبل الدنيا إن أصبح جميع الناس مثلنا تجارا أو محامين أو أطباء؟

إن المتجرد الحقيقي يجد بنفسه جوابا لهذه الأسئلة إذا طال عهده بالتجرد.

ولكن كيف يفعل الذين أحاطت بهم الأمور الدنيوية من كل جهة؟ وماذا يفعل الذين لهم أولاد؟

قد بينا أحسن حل لجميع هذه المشاكل آنفا. يجب أن نضع نصب أعيننا هذا المثل الأعلى «التجرد» ونجتهد فى التقرب منه أكثر ما نستطيع. لما نمرن الأطفال على الخط، نقدم إليهم أحسن نماذج الخط، ليجتهدوا فى تقليدها بأكثر ما يستطيعون. هكذا تماما يجب أن نجتهد لهذا المثل الأعلى، حتى نفوز فى آخر الأمر بفهمه والوصول إليه.

وماذا نفعل إن كنا متزوجين؟ إن قانون الطبيعة يقضى بأن لا يخرج الزوجان من حدود التجرد، إلا إذا شعرا شعوراً قويا بالحاجة إلى الولد.

والذين يراعون هذا القانون، فيخرجون من التجرد مرة كل أربع أو خمس سنوات، لا يعدون من عباد الشهوة، ولا هم يضيعون كل ما خزنوه من القوة الحيوية، ولكن وا أسفاه! ما أقل الرجال والنساء الذين يخضعون للشهوة الزوجية طلباً للنسل فقط!

إن الأكثرية الساحقة من البشر لا تباشر الشهوة الحيوانية إلا لارضاء أميالهم الشهوانية، أما الأولاد فيولدون كنتيجة غير مقصودة لهم. نحن إذا جننا بالشهوة فلا نفكر مطلقا فى نتائج عملنا. والرجال يلامون أكثر من النساء فى هذا الأمر، لأنهم هم الذين يعمون بالشهوة إلى درجة لا يبالون بحالة أزواجهم، فيكرهونهن على امتثال أمرهم، وإن كن ضعيفات البنية أو غير قادرات على الحمل.

والغربيون قد تعدوا حتى على حقوق الأدب أيضاً، فهم يتمتعون بشهواتهم ويخترعون طرقا للتخلص من مسئولية الأبوة والأمومة. قد ألفت كتب كثيرة فى

هذا الموضوع، ونفقت سوق التجارة القانونية لايجاد الطرق المانعة للحمل.

وأما نحن معشر الهنود، فان كنا بعيدين إلى الآن من هـذا الاثم، غير أننا أيضـا لا نتردد فى أن نحمل نسائـنا حمل الأمومـة الثقيل، ولا نبالى بأن يولد أولادنا نحاف البنـية، فاقدى الرجوليـــة، ضعاف العقل، بل كلما يولد لنا ولد، نكاد أن نطير فرحاً ونشكر الخالق على ذلك!

هكذا نـسعى فى أن نغش أنفسنا، ونخفى حق أعمالنا عن أعيـننا! ألا يجب علينا عوضا من أن نعد ذلك دليلا على رضاء الله ولطفه بناء، دليلا على سخطه وغضبـه علينا بجعله إيانا نلد أولادا لجارا، عجزة، سفلة، نحاف البنـية، ضعـاف العقل، أليس ذلك لعنة من الله عوضاً من أن يكون رحمة؟

نحن كلنـا نعلم بأن ظهور الثمر قبل أوانه يضعف الشجرة، ولذلك نسعى بجميع الوسائل فى تأخير موعــده، ولكننا ننشد أناشيد الحمد لاله الزواج، ونحمـد الخالق سبحانه، إذا ولد الولد من صبى وبنت صغيرين! هل يوجـد شىء أبشع من هذا الأمر؟ هل نظن أن الدنيا تبتهج بازدحام هـذا الجم الغفير من هؤلاء الأطفال الضعاف البنية والقوى الذين يكثرون كثرة زائدة فى الهنـد وغيرها من البلدان؟ لا ريب أننا فى هذا الأمر لأحط حتى من البهائم، فالثور والبقر لا يقتربان إلا لتوليد العجل فقط.

يجب على الزوجين أن يبقيا متباعـدين من وقت الحمل إلى أن يترك الطفل ثدى أمه، ويريا ذلك واجبا عليهما، ولكننا لا نراعى هذا الواجب المقدس، بل نبقى متمتعين مسرورين، ناسين حتى محبة ولدنا وزوجنا. إن هذا الداء العضال يضعف عقولنا ويقودنا إلى القبر قبل أوانه بعد أن يجعل وجودنا فى الدنيا تعاسة وشقاء. يجب على المتزوجين أن يعلموا الوظيفـــة الصحيحة للزواج، فلا يخرقوا قانون التجرد إلا بقصد أن يلدوا ولد الدوام النوع.

ولكن مراعاة هـذا القانون صعبة جدا فى حالتنا الحاضرة. فغذاؤنا، وطرق معيشتنا، وحديثنا العام، ومحيطنا، كل هذه الأمور تنبه وتساعد على أثارة الشهوة فينا، فالشهوة تجرى فى عروقنا وأعضائنا الرئيسية كالسم، فتنخرها.

فينتج من كل هـذا أن الذين لم يتزوجوا بعـد، يجب أن يجتهدوا فى البقاء غير متزوجين. وإن كانوا لا يستطيعون البقـاء، فليؤخروا الزواج ما استطاعوا. وليعاهد الشباب أنفسهم بأن لا يتزوجوا إلا فى سن ٢٥ أو ٣٠ من العمر.

إن رجائى من الآباء والأمهات أن لا يعلقوا فى أعناق اولادهم حجرا ثقيلا بتزويجهم فى عهد صباهم. بل عليهم أن يراعوا مصلحة أبنائهم أيضا، لا مصلحتهم فقط. ليرموا جانبا جميع أفكار الحق التى جلبها لهم حب الفخار الكاذب، فيتركوا التشبث بجميع هذه الأعمال الباطلة المضرة. وإن كانوا مخلصين حقا لأطفـالهم، فليبذلوا جهدهم فى تحسين صحتهم البدنية والعقلية والأخلاقية. وأى عـداء منهم أكبر وأفظع من أن يكرهوهم على الولوج فى الحياة الزوجيـة مع جميع مسئولياتها المريعة والهموم الكثيرة فى سن. هم لا يزالون فيه صبيانا بكل معنى الكلمة؟

ثم إن القانون الصحى الصحيح يطالب كل رجل يفقـد زوجتـه وكل امرأة تفقد زوجها أن يبقيا عزابا طول العمر. إن هناك اختلافا بين الأطباء فى هل تحتاج الشباب من الرجال والنساء أن يضحوا المجـال لخروج مادتهم المنويـة؟ فبعضهم يوجب ذلك وبعضهم يمنع منه، ولكن هذا لا يجوز لنا الاستمتاع بشهوتنا. إنى استطيع أن أوكد بدون أدنى تردد بحسب تجربتى الشخصية وتجـارب الآخرين بأن الاستمتاع بالشهوة غير ضرورى للمحافظة على الصحة فحسب. بل إنه مضر بنا جـداً. إن القوة البدنيـة والعقلية التى خزنت فى مدة طويلة تذهب كلها بمجرد خروج المادة المنوية ونحتاج لاسترجاع هذه القوة الضائعة إلى مدة طويلة. ثم ليس هناك أى ضمان يضمن لنا رجوعها كاملة. إن المرآة المكسرة مهما رممتهـا

وجعلتها تؤدى وظيفتها فهى لا تزال مرآة مكسرة.

وكما بينا قبل أن حياتنا لا بقاء لهـا بدون الهواء النقى، والماء النقى، والطعام النقى الجيـد، والأفكار النظيفة، كذلك العلاقة بين أسلوب معيشتنا وصحتنا قوية جـــدا، فلا نكون أصحاء تماما إلا إذا جعلنا معيشتنا طاهرة بريئة. فالرجل المجد الذى يتوب من ذنوبه الماضية، ويعيش عيشة رضية، يقطتف فيها ثمار سيرته الحسنة.

إن الذين يقومون بالتجرد، ولو لزمن محـــدود، يرون بأعينهم كيف يترق جسمهم وعقلهم فى النشاط والقوة بسرعة. ثم هم لا يرضون بعد ذلك أن يتنازلوا عن هـذه الخزينة الثمينة مهما دفع لهم فيها من الثمن الغالى. لقـد كنت أرتكب بنفسى هذه الجناية حتى بعد علمى التام بقيمة التجرد. ولا شك أنى قد دفعت لافراطى وتفريطى ثمنا غاليـا. أنا أخجل وآسف جـداً كلما قارنت بين حالتى أثناء ارتكابى تلك الجناية وحالتى بعدها. غير أنى بحمد الله قد تعلمت بعد جنايات الماضى المحافظة على هذه الخزينة الكبيرة، وأنا ممتلىء رجاء وثقة بالتوفيق الالهى بأنى لا أزال أحافظ عليها فى المستقبل أيضا، ولن أتنازل عنها فى حال من الأحوال حتى يأتينى اليقين! وذلك بأنى قد جربت بنفسى فوائد التجرد التى تفوق الحصر.

لقد زوجت فى أيام الصبا، وأصبحت والد الأولاد بينما أنا لم أتجاوز المرحلة الأولى من الشباب. ولما تنبهت لحقيقة حالى، وجدت نفسى قد سقطت فى هوة عميقة من الانحطاط. وإنى لأعدنى قد جوزيت جزاء كبيرا على كتابة هذه الصفحات إن وجد ولو واحد من القراء يعتبر بخطيئاتى وتجاربى ويستفيد منها.

« يقول كثير من الناس، وأنا اعتقد بأنى ممتلىء الآن قوة وهمة ونشاطا، وأن دماغى ليس بضعيف فى حال من الأحوال. نعم لا أنكر أن جسمى وكذلك عقلى لا يزال مصابا ببعض الأمراض، ولكنى مع ذلك، إن قورنت بأصحابى،

فأعد نفسي صحيحا تماما وقويا. وما دمت قد وصلت إلى هذه الدرجة حتى بعد التمتع بالشهوة عشرين سنة كاملة. فكيف تكون صحتي لو لم أخرق قوانين الصحة وأبقيت نفسي طاهرة نظيفة في تلك السنين الماضية الطويلة السوداء؟ وأنا اعتقد كل الاعتقاد بأني لو عشت عيشة التجرد من أول عمري، لكنت أقوى وأنشط بألف مرة مما أنا الآن. ولأمكنني أن أنفق كل قوتي ونشاطي في خدمة وطني ونفسي أكثر من الآن. فاذا كان الرجل الاعتيادي مثلي. يتأكد ذلك. فما أعظم وأعجب تلك القوة — الجسمانية والعقلية والأخلاقية — التي يجود بها علينا «التجرد» الحقيق!

مادام قانون التجرد دقيقا إلى هذه الدرجة فماذا ينبغي أن نقول في أولئك الذين يرتكبون إثم التمتع بالشهوة على طرق غير مشروعة؟ إن الشر الذي يتبع العهارة والبغاء لعظيم جداً ومسألة حيوية في الدين والاخلاق. ولا يمكن إيفاؤها حقا من البحث في عجالة مثل هذه. فلنقتصر هنا على الاشارة إلى أن تلك الألوف المؤلفة الذين يرتكبون هذه الآثام يصابون بالزهري وغيره من الأمراض التي لا يليق ذكرها.

إن القانون الالهي الصارم يعاقب بكل عدل و «سرور» هؤلاء الاباحيين التعساء بحياة مملوءة بأنواع من العذاب والأتعاب التي ليس لها حد. فأمدهم القصير من الحياة يضيع في عبودية لشهوة مخزية وبحث خاسر عن دواء ينجيهم من عذابهم الأليم! لو بطلت الدعارة لبطل على الأقل نصف شغل الأطباء. إن الأمراض التناسلية تكاد أن تقوض أركان الانسانية وتوقع النوع الانساني في شدة وارتباك عظيم، حتى اضطر أحسن الأطباء إلى الاعتراف بأنه ما دام الفسق والتهتك موجوداً، فليس هنالك أمل للنوع الانساني في السعادة والهناء. إن أدوية هذه الأمراض سامة جداً حتى أنها، وان نفعت بادي الرأي نفعاً وقتياً، فانها تسبب أمراضا أخرى كثيرة أشد إيذاء وعذابا وهي تتسلسل بالوراثة في

الأحفاد والأعقاب.

نحن نشير الآن بالاختصار إلى الطريقة التى ينبغى اتباعها للتزوجين لمراعاة التجرد. لا تكفى مراعاة قوانين الصحة المتعلقة بالهواء والماء والغذاء... بل يجب كذلك على الرجل أن يجتنب النوم مع زوجته فى فراش واحد. وإن قليلا من التدبر يدلنا على أن فكرة التخلى بين الرجل والمرأة، إنما هى فكرة للتمتع الشهوانى. فيجب عليهما أن يناما متباعدين فى الليل، وينهمكا فى الأعمال الحسنة طول النهار، ويزاولا قراءة الكتب التى تملأ دماغيهما بأفكار عالية، ويتفكرا فى حياة الناس الكبار، ويعيشا متيقنين بأن التمتع الشهوانى أساس لجميع الأمراض! وإن تولدت فيهما رغبة التمتع فليغتسلا بالماء البارد الذى يبرد حرارة الشهوة ويزيلها، فتنتقل الشهوة إلى نشاط قوى حقيقى. اجل، إن هذا صعب عمله، ولكننا ما خلقنا فى هذه الدنيا، إلا لنصارع المصارع والمشكلات والشهوات ونغلبها. والذى لا يريد أن يفعل ذلك فانه لن يفوز بالبركات العالية فى الصحة الحقيقية.

(من كتابات غاندى)

# الهنـــــد

## جنة المشرق ومطلع النور الشرق

﴿ معادن بلاد الهند ﴾ تابع لما فى العدد السابق

اما المعادن فأهمها الفحم ويخرج من معادن رانى كنج وجهريا وكريده بأرض بنكاله ويوجد فى آسام وأمريا بضم الهمزه فى البلاد المتوسطة وفى سنكارينى من حيدر آباد .

ومنها الحديد ويوجد فى سليم بناحيـــة مدراس وچاندا فى الولاية المتوسطة وفى رانى كنج بأرض بنكاله ويخرج منها الحديد يقرب معدنه من الفحم .

ومنها الذهب ويخرج من معدن كولار فى امارة ميسور .

ومنها الملح ويخرج من المعادن فى بلاد پنجاب ويعمل من ماء البحر المالح بسواحل مدراس ويخرج من ترعة سانبهر فى راجپوتانه .

ومنها المنكنيز ويحتاج إليه فى عمل الفولاذ وذلك يخرج من معادن وزيكاپٹم بناحية مدراس ويوجد فى امارة ميسور ومعادن أخرى فى الولاية المتوسطة .

ومنهـا الطلق يخرج من معادن هزارى باغ فى ناكپور الصغرى ومن معادن مدراس وبنكاله ويوجـــد فيها غير ذلك كالنحـاس والرصاص وانواع الجزع والاحجار .

اما الماس فانه كان يخرج من معادن راول كنـڈة على مسيرة خمسة ايام من كولكنـڈه ومن كولور على مسيرة سبعة ايام ومن نهير كومل فى سليم پور من

أرض بنكاله ومن معدن بيجابور. وكان فى القرون الماضية لا يعلم معدن للالماس غير تلك المعادن إلا فى جزيرة بورنيو وكان الماس هذه المعادن فى غاية النور والصفاء لا يعلم نظيره حتى اليوم وأما فى عصرنا فان الألماس لا يخرج من هذه المعادن اصلا وتخرج قطع صغيرة منه فى پنا بفتح الباء العجمية وتشديد النون بلدة من أرض بنديلكهنڈ ولكنه لا يماثله فى النور والصفاء والوزن والقيمة .

﴿ ظهور الاسلام بأرض الهند ﴾

روى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ولى عثمان بن أبى العاصى الثقفى البحرين وعمان فى سنة ١٥ هجرية . فوجه أخاه الحكم إلى البحرين ومضى إلى عمان، فبعث جيشا إلى تانه . فلما رجع الجيش كتب إلى عمر يعلمه ذلك . فكتب إليه عمر : « يا أخا ثقيف ! حملت دودا على عود وإنى أحلف بالله أن لو أصيبوا لأخذت من قومك مثلهم » . ووجه الحكم أيضا إلى بروص ووجه أخاه المغيرة بن أبى العاصى إلى خور الديبل، فلقى العدو فظفر. فلما ولى عثمان بن عفان رضى الله عنه وولى عبد الله بن عامر بن كريز العراق، كتب إليه يأمره أن يوجه إلى ثغر الهند من يعلم وينصرف إليه بخبره. فوجه حكيم بن جبلة العبدى. فلما رجع أوفده إلى عثمان، فسأله عن حال البلاد، فقال : يا أمير المومنين ! قد عرفتها وتنحرتها . قال : فصفها لى. قال : ماءها وشل وثمرها دقل ولصها بطل، إن قل الجيش فيها ضاعوا وإن كثروا جاعوا. فقال له عثمان : أ خابر أم ساجع؟ قال : بل خابر. فلم يغزها أحداً .

فلما كان آخر سنة ثمان وثلثين وأول سنة تسع وثلاثين فى خلافة على بن أبى طالب رضى الله عنه، توجه إلى ذلك الثغر الحارث بن مرة العبدى متطوعا باذن على، فظفر وأصاب مغنما وسبيا وقسم فى يوم واحد ألف رأس، ثم إنه

قتل ومن معه بأرض القيقـان إلا قليلا. وكان مقتله فى سنة اثنتين وأربعين. والقيقان من بلاد السند مما يلى خراسان. ثم غزا ذلك الثغر المهلب بن أبى صفره فى أيام معاوية (رض) سنة أربع وأربعين. فأتى بنه والاهواز وهما بين ملتان وكابل، فلقيه العدو فقاتله ومن معه. ولقى المهلب ببلاد القيقان ثمانية عشر فارسا من الترك على خيل محذوفة، فقاتلوه فقتلوا جميعاً. فقال المهلب ما جعل هؤلاء الأعاجم أولى بالتشمير منا؟

## ﴿ أول من حذف الخيل ﴾

لحذف الخيل، فكان أول من حذفها من المسلمين. ثم ولى عبد الله بن عامر فى زمن معاوية بن أبى سفيان عبد الله بن سوار العبدى، ويقال ولاه معاوية من قبله ثغر الهند. فغزا القيقان فأصاب مغنما، ثم وفد إلى معاوية وأهدى إليه خيلا قيقانية، وأقام عنده. ثم رجع إلى القيقان. فاستجاشوا الترك فقتلوه. وولى زياد بن أبى سفيان فى أيام معاوية سنان بن سلمة بن المحبق الهذلى. فأتى الثغر ففتح مكران عنوة ومصرها، وأقام بها وضبط البلاد. وقيل إن الذى فتح مكران حكيم بن جبلة العبدى. ثم استعمل زياد على ثغر الهند راشد بن عمرو الجديدى من الازد. فأتى مكران ثم غذا القيقان فظفر، ثم غذا الميد فقتل. وقام بأمر الناس سنان بن سلمة، فولاه زياد الثغر. فأقام به سنتين وغزا عباد بن زياد ثغر الهند من سجستان. فأتى سناروذ ثم أخذ على حوى كهزالى الروذبار من أرض سجستان إلى الهند منذ. فنزل كش وقطع المفازة حتى أتى القندهار، فقاتل أهلها فهزمهم وفلهم، وفتحها بعد أن أصيب رجال من المسلمين.

## ﴿ القلانس الطوال ﴾

ورأى قلانس أهلها طوالا فعمل عليها فسميت العبادية. ثم ولى زياد المنـذر بن الجارود العبدى ويكنى أبا الأشعث ثغر الهند، فغزا البوقان والقيقان. فظفر

المسلمون وغنموا وبث السرايا فى بلادهم وفتح قصدار وسبابها. وكان سنان فتحها إلا أن أهلها انتقضوا وبها مات. ثم ولى عبيد الله بن زياد حرى الباهلى، ففتح الله تلك البلاد عـلى يده وقاتل بها قتالا شديدا، فظفر وغنم. وقال قوم إن عبيد الله بن زياد ولى مسنان بن سلمة وكان حرى على سراياه وأسلم أهل البوقان.

## ﴿ مدينة البيضاء ﴾

وقد بنى عمران بن موسى بن يحيى بن خالد البرمكى بها مدينة سماها البيضاء، وذلك فى خلافة المعتصم بالله. ولما ولى حجاج بن يوسف الثقفى العراق ولى سعيد بن أسلم بن ذرعة الكلابى مكران وذلك الثغر. فخرج عليه معاوية ومحمد ابنا الحارث العلافيان، فقتل وغلب العلافيان الثغر. فولى الحجاج مجاعة بن سعر التميمى ذلك الثغر، فغزا مجاعة فغنم وفتح طوائف من قندابيل. ثم أتم فتحها محمد بن القاسم، ومات مجاعة بعد سنة بمكران. ثم استعمل الحجاج بعد مجاعة محمد بن هارون بن ذراع النمرى، فأهدى إلى الحجاج فى ولايته ملك جزيرة (برهما) الياقوت.

نسوة ولدن فى بلاده مسلمات ومات آباؤهن وكانوا تجارا. فأراد التقرب بهن، فعرض للسفينه التى كن فيها قوم من ميد الديبل فى بوارج، فأخذوا السفينة بما فيها، فنادت امرأة منهن، وكانت من بنى يربوع، «يا حجاج». وبلغ الحجاج ذلك، فقال «يا لبيك». فأرسل إلى داهر يسأله تخلية النسوة. فقال إنما أخذهن لصوص لا أقدر عليهم. فأغزى الحجاج عبيد الله بن نبهان الديبل فقتل. فكتب إلى بديل بن طهفة البجلى، وهو بعمان، يأمره أن يسير إلى الديبل. فلما لقيهم نفر به فرسه فأطاف به العدو فقتلوه. وقال قتله زط البدهه (معرب بهات اهـ). ثم ولى الحجاج محمد بن القاسم الثقفى فى أيام الوليد بن عبد الملك، فغزا السند. وكان محمد بفارس، وقد أمره أن يسير إلى الرى، وعلى مقدمته أبو الأسود جهم

بن زحر الجعفى. فرده إليه وعقد له على ثغر السند، وضم إليه ستة آلاف من جند أهل الشام وخلقا من غيرهم. وجهز بكل ما احتاج إليه حتى الخيوط والمسال. وأمره أن يقيم بشيراز حتى يتتام إليه أصحابه. ويوافيه ما عد له. وعمد الحجاج إلى القطن المحلوج فنقع فى خل الخمر الحاذق ثم جفف فى الظل. فقال إذا صرتم إلى السند فان الخل بها ضيق فانقعوا هذا القطن فى الماء ثم اطبخوا واصطنعوا.

ويقال أن محمداً لما صار إلى الثغر كتب يشكو ضيق الخل عليهم، فبعث إليه بالقطن المنقوع فى الخل. فسار محمد ابن القاسم إلى مكران، فأقام بها أياما، ثم أتى قنزبور ففتحها، ثم أتى ارمائيل ففتحها. وكان محمد بن هارون بن ذراع قد لقيه، فانضم إليه وسار معه، فتوفى بالقرب منها، فدفن بقنبيل. ثم سار محمد بن القاسم إلى ارمائيل ومعه جهم بن زحر الجعفى، فقدم الديبل يوم الجمعة. ووافته سفن كان حمل فيها الرجال والسلاح والاداة. فخندق حين نزل الديبل وركزت الرماح على الخندق ونشرت الأعلام وأنزل الناس على راياتهم. ونصب منجنيقا تعرف بالعروس وكان يمد فيها خمسمائة رجل. وكان بالديبل بد (بتخانه) فيما ذكروا منارة عظيمة تتخذ فى بناء لهم، فيه صنم لهم أو أصنام يشتهر بها. وقد يكون الصنم فى داخل المنارة أيضا.

وكانت كتب الحجاج ترد على محمد وكتب محمد ترد عليه بصفة ما قبله واستطلاع رأيه فيما يعمل به كل ثلاثة أيام. فورد على محمد من الحجاج كتاب أن انصب العروس واقصر منها قائمة ولتكن مما يلى المشرق، ثم ادع صاحبها فره أن يقصد برمته للدقل الذى وصفت لى. فرمى الدقل فكسر فاشتد طرة الكفر من ذلك. ثم إن محمداً ناهضهم وقد خرجوا إليه فهزمهم حتى ردهم. وأمر بالسلاليم فوضعت وصعد عليها الرجال، وكان أولهم صعودا رجل من مراد من أهل

الكوفة. ففتحت عنوة ومكث محمد يقتل من فيها ثلاثة أيام. وهرب عامل داهر عنها وقتل سادن بيت آلهتهم واختط محمد للمسلمين بها وبنى مسجدا وأنزلها أربعة آلاف. وهدم عنبسة بن اسحاق الضبى العامل على السند فى خلافة المعتصم بالله أعلى تلك المنارة وجعل فيها سجنا. وابتدأ فى مرمة المدينة بما نقص من حجارة تلك المنارة، فعزل قبل استتمام ذلك. وولى بعده هارون بن أبى خالد المروزى فقتل بها.

ثم أتى محمد بن القاسم البيرون. وكان أهلها بعثوا سمنين منهم إلى الحجاج، فصالحوه. فأقاموا لمحمد العلوفة وأدخلوه مدينتهم ووفوا بالصلح. وجعل محمد لا يمر بمدينة إلا فتحها حتى عبر نهراً دون مهران. فأتاه سمنيه سرى بدسن فصالحوه عمن خلفهم ووظف عليهم الخراج. وسار إلى سهبان ففتحها، ثم سار إلى مهران فنزل فى وسطه. فبلغ ذلك داهر واستعد لمحاربته. وبعث محمد بن القاسم محمد بن مصعب بن عبد الرحمن الثقفى إلى سدوسان فى خيل وحمارات، فطلب أهلها الأمان والصلح. وسفر بينه وبينهم السمنيه فأمنهم ووظف عليهم خرجا وأخذ منهم رهنا. وانصرف إلى محمد ومعه من الزط أربعة آلاف، فصاروا مع محمد، وولى سدوسان رجلا. ثم إن محمدا احتال لعبور مهران حتى عبره مما يلى بلاد راسل ملك قصة (معرب كچھ) من الهند على جسر عقده، وداهر مستخف به لاه عنه. ولقيه محمد والمسلمون وهو على فيل وحوله الفيلة ومعه التكاكرة، فاقتتلوا قتالاً شديداً لم يسمع بمثله. وترجل داهر وقاتل، فقتل عند المساء وانهزم المشركون. فقتلهم المسلمون كيف شاؤا. ولما قتل داهر غلب محمد بن القاسم على بلاد السند وفتح راور عنوة. وكانت بها امرأة داهر، فخافت أن توخذ، فأحرقت نفسها وجواريها وجميع مالها.

ثم أتى محمد بن القاسم برهمنا باد العتيقة، وهى على رأس فرسخين من

المنصورة، ولم تكن المنصورة يومئذ، إنما كان موضعها غيضة. وكان فل داهر ببرهمناباد هذه، فقاتلوه عامله وهي اليوم خراب. وسار محمد يريد الرور وبغرور، فتلقاه أهل ساوندرى. فسألوه الأمان، فأعطاهم إياه واشترط عليهم ضيافة المسلمين ودلالتهم. ثم تقدم إلى بسمد، فصالح أهلها مثل صلح ساوندرى. وانتهى محمد إلى الرور من مدائن السند، وهي على جبل. فحصرهم أشهرا، ففتحها صلحا على أن لا يقتلهم ولا يعرض لكنائسهم. ووضع عليهم الخراج بالرور وبنى مسجدا. وسار محمد إلى السكة وهي مدينة دون بياس، ففتحها. ثم قطع نهر بياس إلى الملتان، فقاتله أهل الملتان، فأبلى زائده بن عمير الطائي وانهزم المشركون. فدخلوا المدينة وحصرهم محمد ونفدت ازواد المسلمين فأكلوا الحمر. ثم أتاهم رجل مستأمن، فدلهم على مدخل الماء الذى منه شربهم، وهو ماء يجرى من نهر بسمد فيصير فى مجتمع له مثل البركة فى المدينة، وهم يسمونه البلاح. فغوره، فلما عطشوا نزلوا على الحكم فقتل محمد المقاتلة وسبى الذرية وسبى سدنة الكنيسة وهم ستة آلاف، وأصابوا ذهبا كثيرا. فجمعت تلك الأموال فى بيت يكون عشرة أذرع فى ثمانى أذرع يلقى ما أودعه فى كوة مفتوحة فى سطحه. فسميت الملتان فرج بيت الذهب والفرج الثغر. وكان فى كنيسة ملتان صنما تهدى إليه الأموال وينذر له النذور ويحج إليه أهل السند، فيطوفون به ويحلقون رؤسهم ولحاهم عنده، ويزعمون أن ذلك الصنم أيوب النبى صلى الله عليه وسلم.

قالوا، ونظر الحجاج فاذا هو اتفق على محمد بن القاسم ستين ألف ألف ووجد ما حمل إليه عشرين ومائة ألف ألف. فقال شفينا غيظنا وأدركنا ثارنا وازددنا ستين ألف ألف درهم ورأس داهر، ومات الحجاج سنة خمس وتسعين، فأتت محمدا وفاته. فرجع عن الملتان إلى الرور وبغرور، وكان قد فتحها، فأعطى الناس. ووجه إلى البيلمان جيشا فلم يقاتلوا وأعطوا الطاعة. وسالمه أهل سرست، وهى مغزى

أهل البصرة، وأهلها الميد الذى يقطعون فى البحر. ثم أتى محمد الكيرج، فخرج دوهر، فقاتله فانهزم العدو وهرب دوهر، ويقال قتل. ونزل أهل المدينة على حكم محمد فقتل وسبى. ومات الوليد بن عبد الملك وولى سليمان بن عبد الملك سنه ست وتسعين. فاستعمل صالح بن عبد الرحمن على خراج العراق وولى يزيد بن أبى كبشة السكسكى السند. فحمل محمد بن القاسم مقيدا مع معاوية بن المهلب. فبكى أهل الهند على محمد، وصوروه بالكيرج. فحبسه صالح بواسط وعذبه فى رجال من آل أبى عقيل حتى قتلهم. وكان الحجاج قتل آدم أخا صالح وكان يرى راى الخوارج. وأما يزيد بن كبشة فانه مات بعد قدومه أرض السند بثمانية عشر يوما. فاستعمل سليمان بن عبد الملك حبيب بن المهلب على حرب السند. فقدمها وقد رجع ملوك الهند إلى ممالكهم ورجع جيسه (جى سنگه) بن داهر إلى برهمناباد. فنزل حبيب على شاطىء مهران فأعطاه أهل الرور الطاعة. وحارب قوما فظفر بهم.

ثم مات سليمان بن عبد الملك سنة تسع وتسعين واستخلف عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه بعده. فكتب إلى الملوك يدعوهم إلى الاسلام والطاعة، على أن يملكهم ولهم ما للسلمين، وعليهم ما عليهم، وكانت بلغتهم سيرته ومذهبه. فأسلم جيسه والملوك وتسموا بأسماء العرب. وكان عمرو بن مسلم الباهلى عامل عمر على ذلك الثغر، فغزا بعض الهند فظفر. وهرب بنو المهلب إلى السند فى أيام يزيد بن عبد الملك فوجه إليهم هلال بن احوز التميمى. فقتل ملاك بن المهلب بقندابيل، وقتل المفضل وعبد الملك وزياد ومروان ومعاوية بنى المهلب، وقتل معاوية بن يزيد بن المهلب فى آخرين.

وولى الجنيد بن عبد الرحمن المرى ثغر السند من قبل هشام بن عبد الملك سنة سبع ومائة. فأتى الجنيد الديبل ثم نزل شط مهران، فمنعه جيسه العبور

وأرسل إليه أنى قد أسلمت وولآنى الرجل الصالح (يعنى به عمر بن عبد العزيز) بلادى، ولست آمنك. فأعطاه رهنا وأخذ منه رهنا بما على بلاده من الخراج ثم إنما ترادا الرهن وكفر جيسه وحارب. وقيل إنه لم يحارب ولكن الجنيد تجنى عليه. فأتى الهند لجمع جموعا وأخذ السفن واستعد للحرب. فسار إليه الجنيد فى السفن فالتقوا فى بطيحة الشرق. فأخذ جيسه أسيرا وقد جنحت سفينته، فقتله. وهرب صصــه (چچ بالجيم العجميه) بن داهر وهو يريد أن يمضى إلى العراق فيشكوا غدر الجنيد. فلم يزل الجنيد يؤنسه حتى وضع يده فى يده فقتله. وغزا الجنيد الكيرج وكانوا قد نقضوا. فاتخذ كباشا نطاحة، وليس المراد الغنم وإنما هى آلة من خشب وحديد يجرونها بنوع من الحيل فتدق الحائط فينهدم. فصك بها حائط المدينة حتى ثلمه ودخلها عنوة، فقتل وسبى وغنم. ووجه العمال إلى مرمد والمندل ودهنج وبروص. وكان الجنيد يقول القتل فى الجزع أكبر منه فى الصبر. ووجه الجنيد جيشا إلى آزين، ووجه حبيب بن مرة فى جيش إلى أرض المالوه. فأغاروا على آزين وغزوا بهرنمد، فحرقوا ربضها. وفتح الجنيد البيلمان والجزر، وحصل فى منزله سوى ما اعطى زواره أربعين ألف ألف وحمل مثلها.

ثم ولى بعد الجنيد تميم بن زيد العتبى سنة إحدى عشر ومائة، فضعف ووهن ومات قريبا من الديبل بماء يقال له ماء الجواميس. وفى أيام تميم خرج المسلمون عن بلاد الهند ورفضوا مراكزهم فلم يعودوا إليها مدة من الدهر.

ثم ولى الحكم بن عوانة الكلبى وقد كفر أهل الهند إلا أهل قصه (كچهه) فلم ير للمسلمين ملجاء يلجؤن إليه، فبنى من وراء البحيرة مما يلى الهند مدينة سماه المحفوظه وجعلها ماوى لهم.

وكان عمرو بن محمد بن القاسم الثقفى مع الحكم، وكان يفوض إليــه ويقلده جسيم أموره وأعماله، وغزاه من المحفوظه. فلما قدم عليه وقد ظفر أمره، فبنى

دون البحيرة مدينة وسماها المنصورة. فهى التى ينزلها العمال بعده. وتخلص الحكم ما كان فى أيدى العدو مما غلبوا عليه ورضى الناس بولايته. ثم قتل الحكم بها لعله فى سنة اثنتين وعشرين ومائة.

ثم ولى عمرو بن محمد بن القاسم الثقفى على أرض السند من قبل هشام بن عبد الملك وحارب العدو فظفر. وبغى عليه مروان بن يزيد بن المهلب فقتله.

ثم مات هشام بن عبد الملك، وولى الخلافة يزيد بن الوليد بن عبد الملك. فعزل عمرو بن محمد وولى مكانه يزيد بن عرار، لعله فى سنة خمس وعشرين ومائة. فكان يقاتل العدو فيأخذ ما استطف له ويفتح الناحية وقد نكث أهلها حتى جاء منصور بن جمهور الكلبى وقاتل يزيد بن عرار، لعله فى سنة ثلاثين ومائة. فظفر به وقتله واستقل بأرض السند مكانه.

﴿ فلما كان أول الدولة العباسية ﴾

ولى أبو مسلم عبد الرحمن بن مسلم الخراسانى مغلس العبدى ثغر السند. وأخذ على طخارستان وسار حتى صارا إلى منصور بن جمهور الكلبى وهو بالسند. فلقيه منصور فقتله وهزم جنده. فلما بلغ أبا مسلم ذلك عقد لموسى بن كعب التميمى ثم وجهه إلى السند. فلما قدمها كان بينه وبين منصور مهران، ثم التقيا فهزم منصورا وجيشه وقتل منظورا أخاه. وخرج منصور مفلولا هاربا حتى ورد الرمل فمات عطشا. وولى موسى السند سنة أربع وثلاثين ومائة فرم المنصورة وزاد فى مسجدها. وغزا وافتتح، ثم سار إلى العراق واستخلف ابنه عيينة بن موسى على أرض السند. ومات موسى بالعراق بعد ذلك، فخلع عيينة الطاعة. فلما بلغ الخبر إلى المنصور العباسى الخليفة سار بعسكره حتى نزل على جسر البصرة، ووجه عمر بن حفص بن أبى صفرة العتكى عاملا على السند والهند. فحاربه عيينة فسار حتى ورد السند، فغلب عليها سنة اثنتين وأربعين ومائة. وفى أيامه قدم

الهند عبد الله بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن على بن أبى طالب العلوى، جد مصنف هذا الكتاب. فأعطاه الأمان وبايع على يده. ثم اعقد بينه وبين ملك من ملوك السند فأرسل إليه مخافة من المنصور. فلما سمع المنصور ذلك عزله عن السند سنة إحدى وخمسين ومائة، وولى هشام بن عمرو التغلبى. فكره أخذ عبد الله وأقبل يرى الناس أنه يكاتب ذلك الملك. فبينا هو كذلك إذ خرجت خارجة ببلاد السند فوجه هشام أخاه سفيحا فخرج فى جيشه وطريقه بجنبات ذلك الملك. فبينما هو يسير إذ لقيه عبد الله فى عشرة من أصحابه فقاتله، فقتله. فكتب هشام بذلك إلى المنصور، فأمره بمحاربة ذلك الملك. فحاربه حتى ظفر به وغلب على ملكه.

ووجه عمرو بن جمل فى بوراج إلى نارند ووجه إلى ناحية الهند، فافتتح كشميرا وأصاب سبايا ورقيقا كثيرا وفتح الملتان. وكان بقندابيل متغلبة من العرب، فأجلاهم عنها والى قندهار فى السفن. ففتحها وهدم الكنيسة وبنى موضعها مسجدا، فاخصبت البلاد فى ولايته فتبركوا به، ودوخ وأحكم أموره. ثم ولى ثغر السند معبد بن خليل التميمى سنة سبع وخمسين ومائة. ففتح ما استغلق ومات سنة تسع وخمسين ومائة، ومات المنصور قبله سنة ثمان وخمسين ومائة.

فولى ابنه المهدى بن المنصور العباسى روح بن حاتم على أرض السند، ثم عزله فى تلك السنة وولى بسطام بن عمرو التغلبى، وعزله سنة احدى وستين ومائة. وولى روح بن حاتم المذكور مرة ثانية، ثم عزله وولى نصر بن محمد بن الأشعث الخزاعى، ثم عبد الملك بن شهاب المسمعى، ثم نصر بن محمد بن الأشعث المذكور مرة ثانية. فقام بالأمر زمانا ومات بالسند سنة أربع وستين ومائة، ذكره الطبرى فى تاريخه. ثم ولى مصبح بن عمرو التغلبى، ثم ليث بن ظريف الكوفى. ومات المهدى سنة تسع وستين ومائة.

فولى الخلافة ابنه الهادى، ثم هارون الرشيد العباسى. فعزل الليث وولى مكانه سالم اليونسى مولى اسماعيل بن على، فقام بالسند أربع سنين. ثم ولى إسحاق بن سليمان الهاشمى سنة أربع وسبعين ومائة ومات بالسند. فولى ابنه يوسف بن إسحاق فقام بالسند مدة قليلة ثم عزل، وولى طيفور بن عبد الله بن المنصور الحيرى، ثم جابر بن الأشعث الطائى، ثم سعيد بن مسلم بن قتيبه، ثم عيسى بن جعفر المنصور العباسى. وناب عنه محمد بن عدى فى أرض السند، وعزله الرشيد. وولى عبد الرحمن، ثم ايوب بن جعفر بن سليمان.

ولما رأى الرشيد أنهم خابوا فى الولاية ولى داوٗد بن يزيد بن حاتم المهلبى سنة أربع وثمانين ومائة، وكان معه أبو الصمة المتغلب وهو مولى لكنده. ففتح ما استغلق ودوخ الثغر وأحكم أموره، ولم يزل مستقيما. ومات داوٗد سنة خمس ومائتين فكتب مامون بن هارون الرشيد إلى ولده بشير بن داوٗد بولاية الثغر على أن يحمل كل سنة ألف ألف درهم، فعصى وخالف. فوجه إليه حاجب بن صالح سنة إحدى عشرة ومائتين، فهزمه بشير بن داوٗد فانحاز إلى كرمان. ثم وجه إليه المامون الرشيد غسان بن عباد الكوفى سنة ثلاث عشرة ومائتين، فخرج بشير إليه فى الأمان وورد به مدينة السلام. وخلف غسان على الثغر موسى بن يحى بن خالد البرمكى فقتل « بالا » ملك الشرق، وقد بذل له خمسمائة ألف درهم على أن يستبقيه. وكان « بالا » هذا التوى على غسان وكتب إليه فى حضور عسكره فيمن حضره من الملوك. فأبى ذلك وآثر موسى أثرا حسنا، ومات سنة إحدى وعشرين ومائتين.

واستخلف ابنه عمران بن موسى، فكتب إليه المعتصم بالله بولاية الثغر، فخرج إلى القيقان وهم زط. فقاتلهم فغلبهم، وبنى مدينة سماها البيضاء، وأسكنها الجند. ثم أتى المنصورة وسار منها إلى قنداييل، وهى مدينة على جبل، وفيها متغلب

يقال له محمد بن الخليل. فقاتله وفتحها وحمل رؤساؤها إلى قصدار. ثم غزا الميد وقتل منهم ثلثة آلاف وسكر سكرا يعرف بسكر الميدو وعسكر عمران على نهر الرور. ثم نادى بالزط الذين بحضرته، فأتوه، فختم أيديهم وأخذ الجزية منهم، وأمرهم بأن يكون مع كل رجل منهم إذا اعترض عليه كلب. فبلغ الكلب خمسين درهما. ثم غزا الميد ومعه وجوه الزط فحفر من الجسر نهرا أجراه فى بطيحتهم حتى ملح ماءهم وشن الغارات عليهم. ثم وقعت العصبية بين النزارية واليمانية، فمال عمران إلى اليمانية. فسار إليه عمر بن عبد العزيز الهبارى فقتله وهو غار. وكان جد عمر هذا ممن قدم السند مع الحكم بن عوانة الكلبى.

فولى المعتصم بالله العباسى عنبسة بن إسحاق الضبى على بلاد السند، فأذعن أهلها الطاعة له فقام بالملك إلى أيام المتوكل على الله العباسى. وعزله المتوكل وولى على السند هارون بن خالد المروزى. ووقعت العصبية بين القبائل، فقتلوه سنة أربعين ومائتين. فوثب عمر بن عبد العزيز الهبارى المذكور واستولى على ملك السند. وأذعن له الطاعة أهل المنصوره ورضى عنه المتوكل. ولما مات عمر قام بالأمر ولده عبد الله بن عمر، ثم ولده عمر بن عبد الله بن عمر، أدركه المسعودى حين قدم المنصورة سنة ٣٠٣. قال فى مروج الذهب: إن له ولدين محمد وعلى، ووزيره زياد، وله ثمانون فيلة مقاتلة، وثلاثمائة ألف قرى تحت سلطنته، وقاعدة ملكه كانت منصورة. وكان ملك الملتان يومئذ المنبه بن الأسد القرشى ذو جيوش ومنعة، وله عشرون ومائة ألف قرية مما يقع عليه الاحصاء والعد.

## ﴿ استيلاء الملوك الغزنويه والغورية على الهند ﴾

لما استولى الأمير سبكتكين على خراسان بعد أن توفى أبو إسحاق بن البتكين صاحب جيش غزنة السامانية، واتفق الناس عليه سنة ست وستين وثلاثمائة،

ساس أمورهم سياسة حسنة. وسار نحو الهند سنة سبع وستين، فافتتح قلاعا حصينة على شواهق الجبال، وبنى المساجد بها، وعاد إلى غزنه سالما وظافرا. ولما رأى «جيبال» ملك پنجاب ما دهاه وأن بلاده تملك من أطرافها، أخذه ما قدم وحدث. فحشد وجمع واستكثر من الفيول، وسار حتى اتصل بولاية سبكتكين. وسار سبكتكين عن غزنة إليه ومعه عساكره وخلق كثير من المتطوعة. فالتقوا واقتتلوا أياما كثيرة وصبر الفريقان. وبالقرب منهم عقبة غورك فيها عين ماء ولا تقبل نجسا ولا قذرا. وإذا ألقى فيها شيء من ذلك اكفهرت السماء وهبت الرياح وكثر الرعد والبرق والأمطار، ولا تزال كذلك إلى أن تطهر من الذى ألقى فيها. فأمر سبكتكين بالقاء نجاسة فى تلك العين، فجاء الغيم والرعد والبرق وقامت القيامة على المشركين، لأنهم رأوا مالم يروا مثله، وتوالت عليهم الصواعق والأمطار واشتد البرد، حتى هلكوا وعميت عليهم المذاهب واستسلموا لما عاينوه. وأرسل جيبال إلى سبكتكين بطلب الصلح وترددت الرسل. فأجابهم إليه، بعد امتناع من ولده محمود، على مال يؤديه وبلاد يسلمها وخمسين فيلا يدفعها إليه. فاستقر ذلك ورهن عنده جماعة من أهله على تسليم البلاد. وسير معه سبكتكين من يتسلمها، فان المال والفيلة كانت معجلة. فلما أبعد جيبال قبض على من معه من المسلمين، وجعلهم عنده عوضا عن رهائنه. فلما سمع سبكتكين بذلك جمع العساكر وسار نحو الهند. فأخرب كل ما مر عليه من بلادهم. وقصد لمغان، وهى من أحسن قلاعهم، فافتتحها عنوة وهدم بيوت الأصنام وأقام فيها شعار الاسلام: وسار عنها يفتح البلاد ويقتل أهلها. فلما بلغ ما أراده عاد إلى غزنه.

فلما بلغ الخبر إلى جيبال سقط فى يده وجمع العساكر وسار فى مائة ألف مقاتل. فلقيه سبكتكين وأمر أصحابه أن يتناوبوا القتال مع المشركين. ففعلوا ذلك، فضجر المشركون من دوام القتال معهم وحملوا حملة واحدة. فعند ذلك

اشتد الأمر وعظم الخطب. وحمل أيضا المسلمون جميعهم واختلط بعضهم ببعض. فانهزم المشركون وأخذهم السيف من كل جانب، وأسر منهم ما لا يعد، وغنم أموالهم وأثقالهم ودوابهم الكثيرة. وذل المشركون بعد هذه الواقعة ولم يكن لهم بعدها راية. ورضوا بأن لا يطلبوا فى أقاصى بلادهم. ولما قوى سبكتكين بعد هذه الواقعة أطاعه الافغانيون والخلجيون وصاروا فى طاعته.

## ﴿ محمود بن سبكتكين ﴾

ولى الملك بعد والده سنة سبع وثمانين وثلاثمائة، واشتغل بأمر خراسان وملكها، وفرغ منها وخلا وجهه من ذلك. ثم أحب أن يغزو الهند غزوة تكون كفارة لما كان منه فى قتال المسلمين. فثنى عنانه نحو ذلك ودخل الهند سبع عشرة مرة، وجاس البلاد وغنم أموالا.

ونحن نقتصر على أشهر غزواته.

فنها أنه قصد الهند سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة، فنزل على مدينة پشاور. فأتاه جيپال فى عساكر كثيرة. فاختار محمود من عساكره والمطوعة خمسة عشر ألفا وسار نحوه، فالتقوا واقتتلوا وصبر الفريقان. فلما انتصف النهار انهزم المشركون وقتل فيهم مقتلة عظيمة، وأسر جيپال ومعه جماعة كثيرة من أهله وعشيرته. وغنم المسلمون منهم أموالا نفيسة، وأخذ من عنق جيپال قلادة من الجوهر العديم النظير قومت بمائتى ألف دينار، وأصيب من أمثالها فى أعناق مقدمى الاسرى، وغنموا خمسمائة ألف رأس من العبيد. وفتح من بلاد الهند بلادا كثيرة. ثم أحب أن يطلق جيپال ليراه قومه فى شعار الذل، فأطلقه بمال قرره عليه، فأدى المال. ومن عادة المشركين أنهم من حصل منهم فى أيدى المسلمين أسيرا لم تنعقد بعدها رياسته. فلما رأى جيپال حاله بعد خلاصه حلق رأسه ثم ألقى نفسه فى النار فاحترق بنار الدنيا قبل نار الآخرة.

٢ - وأما محمود فانه لما فرغ من أمر جيبال سار نحو ويهند، فأقام عليها محاصرا لها حتى فتحها قهرا. وبلغه أن جماعة من الهند قد اجتمعوا بشعاب تلك الجبال عازمين على الفساد والعناد، فسير إليهم طائفة من عسكره، فأوقعوا بهم وأكثروا القتل فيهم، ولم ينج منهم إلا الشريد الفريد. وعاد إلى غزنه سالما ظافرا سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة.

٣ - ثم غزا بهاطنة من أعمال السند وهى وراء ملتان سنة ثلاث وقيل خمس وتسعين وثلاثمائة، وصاحبها يعرف بيجى راى. وهى مدينة حصينة عالية السور، يحيط بها خندق عميق. فامتنع صاحبها بها، ثم إنه خرج إلى ظاهرها، فقاتل المسلمين ثلاثة أيام. ثم انهزم فى الرابع وطلب المدينة ليدخلها هو وأصحابه، فسبقهم المسلمون إلى باب البلد فملكوه عليهم، وأخذتهم السيوف من بين أيديهم ومن خلفهم. فقتل المقاتلة وسبيت الذرية وأخذت الأموال. وأما بيجى راى فانه لما عاين الهلاك أخذ جماعة من ثقاته وسار إلى رؤس تلك الجبال. فسير إليه محمود سرية. فلم يشعر بهم بيجى راى إلا وقد أحاطوا به وحكموا السيوف فى أصحابه. فلما أيقن بالهلاك أخذ خنجرا معه فقتل به نفسه. وأقام محمود بهاطنة حتى أصلح أمرها ورتب قواعدها وعاد عنها إلى غزنه. واستخلف بها من يعلم من أسلم من أهلها ما يجب عليهم تعليمه. ولقى فى عوده شدة شديدة من الأمطار وكثرتها وزيادة الأنهار، فغرق من عسكره خلق كثير.

٤ - ثم فى سنة ست وتسعين وثلاثمائة غزا ملتان، وقصد صاحبها أبا الفتح داوٗد بن نصير بن حميد القرمطى الملتانى، الذى نقل عنه خبث اعتقاده ونسب إلى مذهب القرامطة، وأنه قد دعا أهل ولايته إلى ما هو عليه، فاجابوه. فرأى محمود أن يجاهده ويستنزله عما هو عليه. فسار نحوه، فرأى الأنهار التى فى طريقه كثيرة الزيادة وعظيمة المد، وخاصة سيحون، فانه منع جانبه من العبور. فأرسل

إلى أنندبال يطلب إليه أن يأذن له فى العبور ببلاده إلى ملتان، فلم يجبه إلى ذلك. فابتدأ به قبل ملتان، وقال نجمع بين غزوتين. فدخل بلاده وجاسها وأكثر القتل فيها والنهب لاموال أهلها والاحرق لأبنيتها. ففر أنند بال من بين يديه وهو فى أثره كالشهاب فى أثر الشيطان من مضيق إلى مضيق، إلى أن وصل إلى كشمير. ولما سمع أبو الفتح بخبر إقباله عليه علم بعجزه عن الوقوف بين يديه والعصيان عليه، فنقل أمواله إلى كشمير وأخلى ملتان. فوصل محمود إليها ونازلها، فاذا أهلها فى ضلالهم يعمهون. فحصرهم وضيق عليهم وتابع القتال حتى افتتحها عنوة وألزم أهلها عشرين ألف ألف درهم عقوبة لعصيانهم.

٥ - وسمع محمود فى سنة سبع وتسعين وثلاثمائة أن سكهبال ارتد عن الاسلام وكان قد أسلم على يده قبل ذلك. وكان أمره على ويهند. فسار إليه مجدا، فحين قاربه فر الهندى من بين يديه. واستعاد محمود تلك الولاية وأعادها إلى حكم الاسلام. واستخلف عليها بعض أصحابه وعاد إلى غزنه واستراح هو وعساكره.

٦ - ثم استعد لغزوة أخرى سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة. فسار نحو الهند، فانتهى إلى شاطىء نهر هنـــدمند. فلاقاه هنـاك برهمن بال بن أننـد بال فى جيوش الهند. فاقتتلوا ساعات من النهار، وكاد المشركون يظفرون بالمسلمين، ثم إن الله تعالى جاء بالنصر فظفر بهم المسلمون. فانهزموا على أعقابهم وأخذهم المسلمون بالسيف وتبع محمود أثر برهمن بال حتى بلغ نكر كوث، وكانت على جبل عال. وكان المشركون قد جعلوها خزانة لصنمهم الأعظم، فينقلون إليها أنواع الذخائر قرنا بعد قرن، وأعلاق الجواهر. وهم يعتقدون ذلك دينا وعبادة. فاجتمع فيها على طول الأزمان ما لم يسمع بمثله. فنازلهم محمود وحصرهم وقاتلهم. فلما رأى المشركون كثرة جمعه وحرصهم على القتال وزحفهم إليه مرة بعد أخرى خافوا وجبنوا وطلبوا الأمان وفتحوا باب الحصن. وملك المسلمون القلعة وصعد

ـود إليها فى خواص أصحابه وثقاته. فأخذ منها من الجواهر ما لا يحد، ومن ـدراهم تسعين ألف ألف درهم شاهية، ومن الأوانى الذهبية والفضية سبعمائة ـف وأربعمائة من. وكان فيها بيت مملوء من فضـة، طوله ثلاثون ذراعا وعرضه ـمسة عشر ذراعا إلى غير ذلك من الأمتعة. وعاد إلى غزنه بهذه الغنائم.

٧ ـ وسار نحو الهند سنة أربعمائة، عازما على غزوها. فسار إليها واخترقها ـواستباحها ونكس أصنامها. فلما رأى ملك الهند أنه لا قوة له به راسله فى ـالصلح، والهدنة على مال يؤديه، وخمسين فيلا، وأن يكون له فى خدمته ألفا فارس ـلا يزالون. فقبض منه ما بذله وعاد عنه إلى غزنه. وتتابعت القوافل بين خراسان وبلاد الهند فى ضمان الأمان والرفاهية والاطمينان. وتسمى هذه الغزوة ـرقعة نارائن.

٨ ـ ثم سار إلى الهند سنة أربع وأربعمائة فى جمع عظيم وحشد كثير، وقصد ـواسطة البلاد من الهند. فسار شهرين حتى قارب مقصده، ورتب أصحابه ـوعساكره. فسمع عظيم الهند به فجمع من عنده من قواده وأصحابه وبرز إلى جبـل هناك، صعب المرتقى ضيق المسالك. فاحتمى به وطاول المسلمين، وكتب الى المشركين يستدعيهم من كل ناحية. فاجتمع عليه منهم كل من يحمل سلاحا. فلما تكاملت عدته نزل من الجبل وتصاف هو والمسلمون، واشتد القتال وعظم ـالأمر. ثم إن الله تعالى منح المسلمين أكتافهم، فهزموهم وأكثروا القتل فيهم، وغنموا ما معهم من مال وفيل وسلاح وغير ذلك. ووجد فى كنيسة من كنائسهم حجرا منقورا دلت كتابته على أنه مبنى منذ أربعين ألف سنة، فعجب الناس لقلة عقولهم. وتسمى هذه الغزوة بفتح ماردين، وكانت قلعة ماردين على جبل بالـ[illegible]

٩ ـ ثم سار إلى الهند سنة خمس وأربعمائة وعزم على غزوة تهانيسر، فسار ـفى الجنود والعساكر والمتطوعة. فلق فى طريقه أودية بعيدة القعر وعرة المسالك،

وقفارا فسيحة الأقطار والأطراف بعيدة الأكناف والماء بها قليل. فلقوا شدة وقاسوا مشقة إلى أن قطعوها. فلما قاربوا مقصدهم لقوا نهرا شديد الجرية صعب المخاضة. وقد وقف صاحب تلك البلاد على طرفه يمنع من عبوره ومعه عساكره وفيله. فأمر محمود شجعان عسكره بعبور النهر واشغال الكافر بالقتال، ليتمكن باقي العسكر من العبور. ففعلوا ذلك وقاتلوا المشركين وشغلوهم عن حفظ النهر حتى عبر سائر العسكر في المخاضات. وقاتلوهم من جميع جهاتهم إلى آخر النهار. فانهزم المشركون وظفر المسلمون وغنموا ما معهم من أموال وفيلة. وكان فيها معبد للشركين من أعظم المعابد، فهدمه وأخذ الجواهر النفيسة والذهب والفضة وغيرها من الأموال الطائلة، وكانت فيها ياقوتة حمراء وزنها أربعمائة وخمسون مثقالا. ثم رجع إلى غزنه.

١٠ ـ وسار نحو الهند على عادته سنة ست وأربعمائة. فضل أدلائه الطريق ووقع هو وعسكره في مياه فاضت من البحر، فغرق كثير ممن معه. وخاض الماء بنفسه أياما حتى تخلص وعاد إلى خراسان. وقيل إنه سار إلى كشمير وحاصر قلعة لوه كوث مدة من الزمان. واضطر الناس ممن يلازم ركابه من البرد والثلج إلى ترك المحاصرة، فرجع إلى غزنه.

١١ ـ ثم سار نحو الهند على عادته سنة سبع وأربعمائة عازما على غزو كشمير، إذ كان قد استولى على بلاد الهند ما بينه وبين كشمير. وأتاه من المتطوعة نحو عشرين ألف مقاتل مما وراء النهر وغيره من البلاد. وسار إليها من غزنه ثلاثة أشهر سيرا دائما وعبر نهر سيحون وجيلم، وهما نهران عميقان شديدا الجرية، فوطئ أرض الهند. وأتاه رسل ملوكها بالطاعة وبذل الاتاوة. فلما بلغ درب كشمير أتاه صاحبها وسار بين يديه يريد قنوج. ففتح ما حولها من الولايات الفسيحة والحصون المنيعة حتى بلغ حصن قنوج، وكان حصنها منيعا عاليا لا يكاد

أن يفتح. ولكن الله سبحانه ألقى الرعب فى قلب صاحبها كوره. فخرج فى نحو عشرة آلاف يطلب الأمان، فقبله محمود.

ثم سار محمود بعد ثلاثة أيام إلى حصن ميرث. وصاحبها هردت لما علم عجزه عن الوقوف بين يديه والعصيان عليه سلم الحصن إلى بعض أصحابه وخرج منها. فوصل محمود إليها ونازلها وتابع القتال وضيق عليهم. فأرسلوا إليه يطلبون الأمان، فقبله وأخذ منهم الأموال الطائلة.

ثم سار إلى حصن مهاون كان على شاطىء نهر جمنا، وصاحبها كلچند كان من أعيان الهند. وكان على طريقه غياض ملتفة لا يقدر السالك على قطعها إلا بمشقة. فسير كلچند عساكره وفيوله إلى أطراف تلك الغياض يمنعون من سلوكها. فترك محمود عليهم من يقاتلهم وسلك طريقا مختصرا إلى الحصن، فلم يشعروا به إلا وهو معهم. فقاتلهم قتالا شديدا، فلم يطيقوا الصبر على حد السيوف، فانهزموا. وأخذهم السيف من خلفهم ولقوا نهرا عميقا بين أيديهم، فاقتحموه، فغرق أكثرهم. وكان القتلى والغرقى قريبا من خمسين ألفا. وعمد كلچند إلى زوجته فقتلها ثم قتل نفسه. وبعدها غنم المسلمون أمواله وملكوا حصونه.

ثم سار إلى متهرا مولد كرشن، وكان فيها معبدا للشركين من أحسن الأبنية على نهر جمنا. ولهم به من الأصنام كثير، منها خمسة أصنام من الذهب الأحمر مرصعة بالجواهر، وكان فيها من الذهب ستمائة وتسعون ألفا وثلاثمائة مثقال، وكان بها من الأصنام المصوغة من الفضة نحو مائتى صنم. فأخذ جميعه وأحرق الباقى.

وسار بعد عشرين يوما إلى حصون غير ما ذكرناه. فرأى أن صاحبها راجپال قد فارقها وعبر الماء المسمى بكنك. فأخذها محمود وهى سبع على الماء المذكور. وفيها قريب من عشرة آلاف بيت صنم، يذكرون أنها عملت من مائتى ألف

سنة إلى ثلاثمائة ألف كذبا منهم وزورا. ولما فتحها أباحها عسكره.

ثم سار إلى قلعة البراهمة، فقاتلوه وثبتوا. فلما عضهم السلاح علموا أنهم لا طاقة لهم، فاستسلموا للسيف. فقتلوا ولم ينج منهم إلا الشريد.

ثم سار نحو قلعة آسي وصاحبها چند پال. فلما قاربه هرب چند پال وأخذ محمود حصنه وما فيه.

ثم سار إلى قلعة شروه وصاحبها چندراى. فلما قاربه نقل ماله وفيوله نحو جبال هناك منيعة يحتمى بها. وعمى خبره فلم يدر أين هو. فنازل محمود حصينه فافتتحه وغنم ما فيه. وسار فى طلب چندراى جريدة، وقد بلغه خبره. فلحق به، فقاتله، فقتل أكثر جنده وأسر كثيرا منهم، وغنم ما معه من مال وفيل. وهرب چندراى فى نفر من أصحابه فنجا. وكان السبى فى هذه الغزوة كثيرا حتى أن أحدهم كان يباع بأقل من عشرة دراهم. ثم عاد إلى غزنه.

١٢ ـ وفى سنه تسع وأربعمائة سار إلى الهند غازيا، واحتشد وجمع واستعد وأعد أكثر مما تقدم. وسبب هذا الاهتمام أنه لما فتح قنوج وأطاعه صاحبها، ثم عاد إلى غزنه، أرسل ندا ملك كالنجر إلى كوره ملك قنوج يوبخه على انهزامه وإسلام بلاده للمسلمين. وطال الكلام بينهما وآل أمرهما إلى الاختلاف، وتأهب كل واحد منهما لصاحبه وسار إليه. فالتقوا واقتتلوا، فقتل كوره وأتى القتل على أكثر جنوده. فازداد ندا بما اتفق له شرا وعتوا. وقصده بعض ملوك الهند الذين ملك محمود بلادهم والتجأ إليه. فوعده بإعادة ملكه إليه. فنمت هذه الأخبار إلى محمود، فأزعجته. وتجهز للغزو وقصد كالنجر وسار عن غزنه.

وابتدأ فى طريقه بالأفغانية، وهم كفار يسكنون الجبال ويفسدون فى الأرض، ويقطعون الطريق بين غزنه وبينه. فقصد بلادهم، وسلك مضائقها وفتح مغالقها،

وخرب عامرها وغنم أموالهم وأكثر القتل فيهم والأسر. وغنم المسلمون من أموالهم الكثير.

ثم استقل على المسير وعبر نهر كنك. فلما جازه رأى قوافل قد بلغت عدة أحمالهم ألفا، فغنمها. وهى من العود والأمتعة الفائقة.

وجد به السير فأتاه فى الطريق خبر حفيد جيپال الذى تقدم ذكره قد سار بين يديه ملتجئا إلى نندا. فطوى المراحل ولحق به، وكان بينه وبين المشركين نهر عميق. فعبر إليهم بعض أصحابه وشغلهم بالقتال. ثم عبر هو وباقى العسكر إليهم، فاقتتلوا عامة نهارهم. وانهزم حفيد جيپال ومن معه، وكثر فيهم القتل والأسر، وأسلموا أموالهم وأهليهم. فغنمها المسلمون وأخذوا منهم الكثير من الجواهر وأخذ ما يزيد على مائتى فيل وسار المسلمون يقتفون آثارهم. وانهزم ملكهم جريحا، وتحير فى أمره، وأرسل إلى محمود يطلب الأمان. فلم يومنه وقتل من عساكره ما لا يحصى. وسار الملك المذكور ليلحق بنندا، فانفرد به بعض المشركين فقتله. فلما رأى ملوك الهند ذلك تابعوا رسلهم إلى محمود، يبذلون له الطاعة.

وسار محمود بعد هذه الواقعة إلى بارى وهى من أحصن القلاع والبلاد وأقواها. فرآها من سكانها خالية وعلى عروشها خاوية. فأمر بهدمها وتخريبها وعشر قلاع منها الحصانة. وقتل من أهلها خلقا كثيرا.

وسار يطلب نندا فلحقه. وقد نزل إلى جانب نهر وأجرى الماء من بين يديه، فصار وحلا وترك عن يمينه وشماله طريقا يبسا يقاتل منه إذا أراد القتال. وكان عدة من معه ستة وخمسين ألف فارس، ومائة ألف وأربعة وثمانين ألف راجل، وسبعمائة وستة وأربعين فيلا. فأرسل محمود طائفة من عسكره للقتال، فأخرج إليهم نندا مثلهم. ولم يزل كل عسكر يمد أصحابه حتى كثر الجمعان واشتد الضرب

والطعان. فأدركهم الليل وحجز بينهم. فلما كان الغد بكر محمود إليهم، فرأى الديار منهم بلاقع وركب كل فرقة منهم طريقا مخالفا لطريق الأخرى ووجد خزائنه والأموال والسلاح بحالها. فغنم الجميع واقتفى آثار المنهزمين، فلحقهم فى الغياض والآجام وأكثر فيهم القتل والأسر. ونجا نندا فريدا وحيدا. وعاد محمود إلى غزنه.

١٣ ـ وقدم الهند سنة اثنى عشرة وأربعمائة عازما على الغزو. فقصد كشمير وحاصر قلعة لوه كوث، وأدام الحصار شهرا كاملا وضيق عليهم واستمر القتال. ثم استيأس من الفتح ورجع إلى لاهور، فسير جيوشه إلى ناحيتها، فغنم المسلمون كثيرا من المال. ولما رأى حفيده جيپال عجزه عن المقاومة انحاز إلى اجمير واحتمى بصاحبها، فقبض محمود على لاهور وقبض على ما والاها من البلاد، وأقام الخطبة له وأمر بها أحدا من أمرائه. ثم رجع إلى غزنه.

١٤ ـ وسار نحو الهند سنة ثلاث عشرة وأربعمائة وقصد نندا. فلما وصل إلى كوالير، وهى على رأس جبل منيع ليس له مصعد إلا من موضع واحد، تسع خلقا. وفيها من الغلات والمياه وجميع ما يحتاج إليه الناس. فحصر أهلها وأدام الحصار، وضيق عليهم واستمر القتال، فقتل منهم كثير. فلما رأوا ما حل بهم أذعنوا له وطلبوا الأمان. فأمنهم. وهرب صاحبها نندا إلى كالنجر فسار خلفه إليها، وهو حصن كبير يسع خمسمائة ألف إنسان، وفيه خمسمائة فيل وعشرون ألف دابة، وفى الحصن ما يكفى الجميع مدة. فلما قاربها وبقى بينهما سبعة فراسخ رأى من الغياض المانعة من سلوك الطريق ما لا قدرة عليه. فأمر بقطعها. ورأى فى الطريق خندقا عظيم العمق بعيد القعر، فأمر أن يطم منه مقدار ما يسع عشرين فارسا. فطموه بالجلود والمملوة ترابا. ووصل إلى القلعة فحصرها ثلاثة وأربعين

يوما وراسله صاحبها فى الصلح، فلم يجبه. ثم صالحه على خمسمائة فيل وثلاثة آلاف من فضـــة. ذكرها ابن الاثير فى «الكامل» من ماجريات سنة ست وتسعين وثلاثمائة، والله اعلم.

١٥ - ورحل من غزنه فى عاشر شعبان سنة ست عشرة وأربعمائة عازما إلى سومنـات، وكانت بلدة كبيرة على ساحل البحر. فافتتحها عنوة وكسر الصنم المعروف بـ «سومنـات». والمشركون يزعمون أنه يحيي ويميت ويفعـل ما يشاء ويحكم ما يريد، وأنه إذا شاء أبرء من العلل. وربماكان يتفق لشقوتهم، ابلال عليل يقصده، فيوافقه طيب الهواء وكثرة الحركة، فيزيدون به افتتانا ويقصدونه من أقاصى البلاد رجالا وركبانا. ومن لم يصادف منهم انـتعاشا احتج بالذنب، وقال إنه لم يخلص له الطاعـــة، ولم يستحق منه الاجابة. ويزعمون أن الأرواح إذا فارقت الأجسام اجتمعت لديه على مذهب أهل التناسخ.

وكانوا بحكم هذا الاعتقاد يحجون إليه كل ليلة خسوف من كل صقع بعيـد ويأتون من كل فج عميق، ويتحفونه بكل مال نفيس. ولم يبق فى بلاد الهنـد على تباعد أقطارها وتفاوت أديانها ملك ولا سوقة إلا تقرب إلى هذا الصنم، بما عز عليه من أمواله وذخائره. حتى بلغت أوقافه عشرة آلاف قرية مشهورة فى تلك البقاع، وامتلأت خزائنه من أصناف الأموال. وفى خدمته من البراهمة ألف رجل يخدمونه، وثلاثمائة يحلقون رؤس حجيجه ولحاهم عند الورود عليه، وثلاثمائة رجل وخمسمائة إمرأة يغنون ويرقصون عند بابه، ويجرى من مال الأوقاف المرصدة له لكل طائفة من هؤلاء رزق معلوم.

وكان بين المسلمين وبين القلعة التى فيها الصنم مسيرة شهر فى مفازة موصوفة بقلة المياه وصعوبة المسالك واستيلاء الرمل على طرقها. فسار إليها محمود فى ثلاثين

ألف فارس جريدة مختارة من بين عدد كثير سوى المتطوعة. وأنفق عليهم من الأموال ما لا يحصى. وسلك سبيل ملتان، وفى طريقه إلى الهند قفر، لا ساكن فيها ولا ماء ولا ميرة. فتجهز هو وعسكره على قدر الحاجة، ثم زاد بعد الحاجة عشرين ألف جمل تحمل الماء والميرة.

وقصد أنهلواره (أى نهرواله). فلما قطع المفازة رأى فى طرقها حصونا مشحونة بالرجال، وعندها آبار قد غوروها ليتعذر عليه حصرها، فيسرها الله تعالى فتحها عند قربه منها، بالرعب الذى قذفه فى قلوبهم. وتسلمها وأهلك أوثانها، واستقوا الماء وامتاروا ما يحتاجون إليه. وسار إلى انهلواژه، فرأى صاحبها «بهيم» قد أجفل عنها وتركها وقصد حصنا يحتمى به. فاستولى محمود على المدينة. وسار إلى سومنات، فلقى فى طريقه عدة حصون فيها كثير من الأوثان شبه الحجاب والنقباء لسومنات. فقاتل من بها وفتحها وخربها وكسر أصنامها. وسار إلى سومنات فى مفازة قفرة قليلة الماء. فلقى فيها عشرين ألف مقاتل، فأرسل إليهم السرايا. فقاتلوهم وهزموهم وغنموا مالهم وامتاروا من عندهم.

وساروا حتى بلغوا ديولواژه، وهى على مرحلتين من سومنات. وقد ثبت أهلها ظنا منهم أن سومنات يمنعهم ويدافع عنهم: فاستولى عليها وقتل رجالها وغنم أموالها. وسار عنها إلى سومنات، فرأى حصنا حصينا مبنيا على ساحل البحر بحيث تبلغه أمواجه. وأهله على الأسوار يتفرجون على المسلمين، واثقين أن معبودهم يقطع دابرهم ويهلكهم. فلما كان الغد زحف وقاتل من به. فرأى المشركون من المسلمين قتالا لم يعهدوا مثله، ففارقوا السور. فنصب المسلمون عليه السلالم وصعدوا إليه، وأعلنوا بكلمة الاخلاص واظهروا شعار الاسلام. فحينئذ اشتد القتال وعظم الخطب. وتقدم جماعة المشركين إلى سومنات، فعفروا

له خدودهم وسألوه النصر. وأدركهم الليل فكف بعضهم عن بعض. فلما كان الغد بكر المسلمون إليهم وقاتلوهم، فأكثروا فيهم القتل وأجلوهم عن المدينة إلى بيت صنمهم، فقاتلوا على بابه أشد قتال حتى كاد الفناء يستوعبهم. فدخلوا البحر إلى مركبين لهم لينجوا فيها. فأدركهم المسلمون فقتلوا بعضا وغرق بعض. وأما البيت الذى فيه سومنات فكان مبنيا على ست وخمسين سارية من الساج المصفح بالرصاص، وسومنات من حجر، طوله خمسة أذرع، ثلاثة مدورة ظاهرة، وذراعان فى البناء، وليس بصورة مصورة. فأخذه محمود، فكسره وأحرق بعضه وأخذ بعضه معه إلى غزنه، فجعله عتبة الجامع. وكان بيت الصنم مظلما، وإنما الضوء الذى عنده من قناديل الجوهر الفائق. وكان عنده سلسلة ذهب فيها جرس، وزنها مائتا من. كلما مضى طائفة معلومة من الليل حركت السلسلة، فيصوت الجرس فيقوم طائفة من البراهمة إلى عبادتهم. وعنده خزانة فيها عدة من الأصنام الذهبية والفضية، وعليها الستور المعلقة المرصعة بالجوهر. كل واحد منها منسوب إلى عظيم من عظمائهم. وقيمة ما فى البيوت يزيد على عشرين ألف ألف دينار. فأخذ الجميع وكانت عدة القتلى تزيد على خمسين ألف قتيل.

ثم إن محمود ورد عليه الخبر أن «بهيم» صاحب انهلواژه قد قصد قلعة تسمى كندهه فى البحر بينها وبين البرمن، جهة سومنات أربعون فرسخا. فسار إليها من سومنات. فلما حاذ القلعة رأى رجلين من الصيادين، فسألهما عن خوض البحر هناك. فعرفاه أنه يمكن خوضه، لكن إن هبت الريح ولو يسيرا، غرق من فيه. فاستخار الله تعالى وخاضه هو ومن معه، فخرجوا سالمين. فرأوا بهيم، وقد فارق القلعة وأخلاها. فعاد عنها وقصد المنصورة، وكان صاحبها ارتد عن الإسلام. فلما بلغه خبر مجىء محمود احتمى بغياض أشبة. فقصده محمود من موضعين، فأحاط به وبمن معه. فقتلوا أكثرهم وغرق منهم كثير، ولم ينج منهم إلا القليل. ثم

سار إلى بهاطه، فأطاعه أهلها ودانوا له. فرحل إلى غزنه، فوصلها عاشر صفر سنة سبع عشرة وأربعمائة.

وتوفى سنة إحدى وعشرين وأربعمائة بغزنه. فقام مقامه ولده محمد بن محمود بوصيته ثم خرج عليه مسعود بن محمود وقبض عليه وولى بالملك.

(لها بقية)

## من أخبار الهند الثقافية

كثر الذين زاروا الهند عام ١٩٥٤ وطافوا مدنها وأقاليمها، حتى بلغ عدد السائحين إلى أربعين ألف، بينما نزل الهند عام ١٩٥٣ ما يزيد على ٢٨ ألف سائح.

* * *

سيقوم وفد تجارى هندى مولف من ٢٠ عضوا بجولة فى يابان وبلدان أخرى فى الشرق الأقصى يهدف انعاش التجارة فيما وراء البحار.

* * *

قررت حكومة الهند أن تقوم عما قريب بأعداد سجل منظم لما تحتاج إليه البلاد من قوات الكهرباء.

* * *

عقدت لجنة السجلات التاريخية الهندية جلستها الحادية والثلاثين من جلساتها السنوية فى مدينة «ميسور» وقد افتتحها حاكم الولاية وحضرها من كافة انحاء الهند أمناء المحفوظات البارزون وآخرون من أساتذة الجوامع، ومما هو جدير بالذكر أن جدول أعمال اللجنة يتضمن دراسة ٣٢ وثيقا أصلية عن نواح مجهولة من التاريخ الهندى الحديث، ويبحث عن التقدم الذى احرزته دائرة الارشيف الوطنية حتى عام ١٩٥٤ وكذلك يدرس بعض المشاكل العاجلة التى يواجهها أمناء المحفوظات فى الهند اليوم. وما دامت هذه الدائرة هى أضخم مرجع للارشيف فى الهند. فمن الطبيعى أن تعتنى اللجنة اعتناء شديدا، ومن المواضيع الأخرى التى يتضمن جدول الأعمال فى دورة السنة الحالية ما يتصل منها بتسهيلات الابحاث فى قسم الارشيف الوطنى واعداد قائمات وصفية للسجلات من قبل المحفوظات

فى الولايات ثم حفظ ارشيف للمعاهد الصناعية والدينية.

* * *

إن انتاج الورق فى الهند قد زاد خلال الأعوام الأربعة الماضية قدر خمسين ألف طن بما انشئت مصانع جديدة للورق فى البلاد تنفيذاً للمشاريع التوسعية، فستكون الهند مكتفية بذاتها من ناحية الورق فى أواخر العام القادم.

* * *

وافقت حكومة الهند على مشروع لانشاء مصنع لانتاج سيارات ديزل فى جمشيدپور وسيكون فى وسع المصنع انتاج ثلاثة آلاف من السيارات سنويا.

# THAQĀFATU'L-HIND

(INDIAN CULTURE)

*PUBLISHED QUARTERLY*

in

MARCH, JUNE, SEPTEMBER and DECEMBER

CONTENTS




**ANNUAL SUBSCRIPTION**: Inland Rs. 8. Abroad Sh. 8. **SINGLE COPY**: Rs. 2.

INDIAN COUNCIL FOR CULTURAL RELATIONS

PATAUDI HOUSE, NEW DELHI 1

PRINTED AT Q PRESS BY

KHALEEL SHARAFUDDIN, 39 MUHAMMADALI ROAD, BOMBAY 3. AND PUBLISHED BY

MR. I. R. KHAN

SECRETARY INDIAN COUNCIL FOR CULTURAL RELATIONS PATAUDI HOUSE, NEW DELHI 1

# THAQĀFATU'L-HIND

(INDIAN CULTURE)

*A QUARTERLY ORGAN OF*
*INDIAN COUNCIL FOR CULTURAL RELATIONS*

**DECEMBER 1954**